

# أكلو اللوتس

الجزء الثاني

أبريل 2017

رواية

418

تأليف: تاتيانا سولي

ترجمة: زهرة حسن

مراجعة: د. أحمد البكري



**أكلو اللوتس**

**الجزء الثاني**



# أكلو اللوتس

## الجزء الثاني

### رواية

تأليف: تاتيانا سولي

ترجمة: زهرة حسن

مراجعة: د. أحمد البكري

# إبداعات عالمية

---

تصدر كل شهرين من  
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

---

المشرف العام:  
م. علي حسين اليوحة

---

مستشار التحرير:  
أ. وليد جاسم الرقيب

---

هيئة التحرير:  
أ. د. سليمان علي الشطي  
د. ليلى عثمان فضل  
د. زبيدة علي أشكناني  
د. علي عجيل العنزي  
د. حنان عبدالمحسن مظفر

---

مديرة التحرير: لمياء خضر القبندي  
سكرتير التحرير: جعفر حسين حيدر

---

التضيد والإخراج والتنفيذ: وحدة الإنتاج  
في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
التدقيق اللغوي: وائل أحمد حمزة

---

[www.nccal.gov.kw](http://www.nccal.gov.kw)  
[ebdaat\\_alamia@nccal.gov.kw](mailto:ebdaat_alamia@nccal.gov.kw)  
[ebdaat\\_alamia@yahoo.com](mailto:ebdaat_alamia@yahoo.com)

---

ISBN: 978-99906-0-551-8

---

# آكلو اللوتس رواية

الأحرف والأصلي

## Lotus-eaters

© Carlson and Lerner Literary Agency

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2017م

إبداعات عالمية - العدد 418

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1923 - 1990)





## المقدمة

نتابع في الجزء الثاني من «أكلو اللوتس»، أحداث الرواية هناك في غابات فيتنام وطبيعتها الساكنة التي تنتظر شيئاً ليوقظها، مع شخصياتها وحياتهم المهددة طوال الوقت، حيث يفقدون إحساسهم بالوقت والزمن وحتى بالوجود الذي حولهم، كما لو أنهم الوحيدون على وجه الأرض. ولحظات الخطر تلك تجعلنا نحن كقراء متورطين معهم حتى نشم روائح النار والبارود ونتمكن من سماع دقات قلوبنا وقلوب شخص هذه الرواية المثيرة.

«أكلو اللوتس»، أكثر بكثير من تسجيل أحداث تاريخي عن مكان أظهر عدم اكتراث للعنف.. مع كل صفحة سيشعر القارئ ببراء الأسلوب والحدث والحالة الإنسانية كما لو أنه جزء منها ويعيشها وتعنيه بكل جوانبها.

نتابع مع هيلين ودارو ولين أحداث الحرب التي انفرست في أرواحهم كعقيدة فادمنوها، وأصبحت جزءاً منهم ومن كياناتهم وحياتهم، فأصبح صخب المعركة إدماناً قوياً، وكاد أن يكون قاتلاً ليعاود سحبهم كل مرة إلى معارك جديدة. فهم لم يكونوا جنوداً مجبرين على اتباع الأوامر، وبصرف النظر عن كل الميزات والمجد والتقدم المهني والهيبة، فكل ذلك كان فارغاً وزائفاً في وجه الموت، لكنهم شربوا أسطورة الحرب ولم يتمكنوا من العودة إلى الحياة الطبيعية التي لا يمكن لها أن تنافس شغف الحرب وقوتها.

قالت له: «الشيء الرائع في حالتنا يا حبيبي أنه حين تنتهي هذه الحرب هناك دوماً حرب أخرى...».

ثم كان الحب، كان لين الرجل الجيد، لم تحبه منذ البداية، لأن الخطأ الذي ترتكبه المرأة في بعض الأحيان أنها تغفل عن الرجل الجيد وتحب الأناني، تغفل عن الرجل الجيد لأنه لن يحاول أن يكون لطيفا أو مدهنا، ولن يحاول أن يكذب عليها ليحمي مشاعرها، لكن كل ما سيفعله هو المحاولة بالقيام بما هو جيد وصحيح وأخلاقي، ولذا حاول لين احترام ذكرى دارو بإعادة هيلين إلى وطنها بأمان، وهو الأمر الذي أزعجها وجعلها تظن أنه يرفضها ويجدها عبئا عليه.

داهمهما الحب، ولم يجرؤ في البداية على النظر إليها وجها لوجه بعد كل الخسائر، لكن لم يكن باليد حيلة فقد عرفا أن حياتهما ستتغير إن التقيا، وأنها ستتغير وتذوي إن لم يفعلا، ببساطة حان الوقت ليكونا عشاقا، وكانا.. لقد كان حبهما مختلفا عن أنانية حب هيلين ودارو، لقد أحبا بعضهما كقديسين وعرفا آلام بعضهما وشعرا بها. جمعتهم الخسائر، فهيلين خسرت أخاها من قبل، مما دفعها للقدوم إلى فيتنام منذ البداية، ثم خسرت حبيبها ومعلمها دارو، ولين خسر زوجته وعائلته بأكملها في الحرب.. ليتابعا حياتهما رغم كل ذلك مستعينين بقوة الحب المخلصة من رعب الحرب.

ومع هذا، رغم خسائر لين وغموض شخصيته وتكشفها التدريجي أمام القارئ، ومع أنه وجد نفسه محاطا بعدد من الغرياء، فلم يفقد صلته بوطنه، وانفطر قلبه لما كان يحدث فيه، لكنه لم يستطع أن يشرح لهيلين التمني اليائس لوجود أي شيء يوقف هذا الدمار، كان قلبه معلقا بالرجال والنساء والحيوانات والأشجار والعشب وقمم التلال وحقول الأرز.

وإذا قارنا بين القصتين، يدفعنا ذلك للتساؤل: ما الذي جعل هيلين ترتبط بدارو المتزوج الذي ما كانت لتفكر فيه وهي في وطنها؟

هل تختلف معاييرنا في الحكم على الأشياء باختلاف الظروف؟  
هل كانت هيلين لتقبل بعلاقتها بدارو المتزوج وهي في وطنها  
كاليفورنيا؟ ونجد أنها ربما انبهرت به ووجدت فيه معلما ومثلا  
أعلى لدى وصولها كفتاة غيرة إلى فيتنام. هل كذبت على نفسها  
حين حاولت عدم تصديق وجود زوجة في حياته أو عدم إعطائها أية  
أهمية؟ هل كان عليها العودة، حين وصلت إلى استنتاج أن المرأة لن  
تكون يوما أهم ما في حياة الرجل كما هو في حياتها؟

وحتى بعد رحيل دارو سألوها: «متى ستغادرين؟». قالت:  
«قريبا...». قالوا لها: «كوني الأفضل وعملك لن يخونك». لكنهم  
أخطؤوا، فقد خانها العمل أو هي التي خانته وأصبحت جزءا من  
الحكاية، كما سيصبح القارئ أيضا جزءا منها. فالصورة تخون  
صاحبها، لأن الصورة الأولى وحتى الخامسة وحتى المئة كان لها  
قوة، لكن التكرار في النهاية جعل من الرعب سائغا، ومع ذلك فقد  
أثبتت نفسها كمصورة، ونجحت كامرأة وسط أغلبية من الرجال،  
لكن مع كل خروج إلى الميدان كانت الأسباب التي تجعلها تغادر  
تقل تباعا. فكلما مرت ببالها فكرة العودة للوطن أو قابلت شخصا  
جديدا آتيا من هناك، بكامل براءته، شعرت بأن تلك الأرض  
الغريبة وطنها، ولدى رؤية اسمها على الصور في المجلات كانت  
تشعر بأنها مصدر من مصادر صناعة التاريخ لا الكتابة عنه.

سينجذب القارئ للحب، والشغف، والطموح والولاء والكثير من  
الحالات الإنسانية الثرية الذي ستجعله يستمتع بقراءة هذه الرواية  
بتفاصيلها الجميلة التي تغلف كل أحداثها وتصورها كأنها حقيقة.

زهرة حسن



## الجزء الثاني



(11)

## «باوتشي» الصحافي

في الصّباح كانت هيلين ستذهب في حملة مع أولسن، نهضت وحزمت أغراضها وجهّزت نفسها ليأتي لين ويأخذها في السّاعة الثّالثة والنّصف صباحا. فتحت الباب على إثر طرق خفيف.

قال لين وهو يقف هناك: «لديّ مشكلة مع عائلتي وتحديدًا أخت زوجتي، طفلها يعاني من مرض الخنّاق، وهي حديثة العهد بسايغون، عليّ أن أساعدها لتجد طبيبا». تفاجأت هيلين لأنّه لم يتحدّث عن عائلته من قبل.

«بالأكيد. أيمكنني المساعدة؟».

«لا. هل تستطيعين الذهاب من دوني؟».

«لا تقلق. سأكون بخير».

حاول دارو جاهدا النّهوض من السّريّر ومشى خلفها وقال:

«ما الأمر؟».

حملت هيلين حقائب كاميرتها وقالت: «لين لا يستطيع

الذهاب».

فرك دارو عينيه، ولبس نظّارته: «تعالني معي إلى ماي ثو

عصر اليوم عوضا عن ذلك».

«وعَدْتُ أن أغطّي هذا الحدث. بالإضافة إلى ذلك سأكون مع رفاقي القدماء في وحدة الكابتن أولسن، لم أره منذ أن التقطت صور الكابتن تونغ». شعرت بالثقة لأنها تستطيع الاعتناء بنفسها، وبحماس قليل أيضا لأنها تستطيع أن تذهب وحدها، بعد أن تمّ اتخاذ القرار بالمفادرة القريبة. أضفت هذه المهمّات الأخيرة عليها شعورا بالحنين إلى الماضي.

عبس دارو ونظر إلى لين وقال: «هل أنت متأكّد أنّك لا تستطيع الذهاب معها؟».

قالت: «سأكون بخير». امتعّضت من معاملته لها كما لو أنّها غير كفء بما فيه الكفاية لتذهب وحدها، فأصبحت أكثر تصميمًا من قبل. بالإضافة إلى ذلك فإنّ معاملتها له بالمثل يمكن أن تجعل أمور الرّحيل تمضي بشكل أسرع.

بعد مفادرة لين، جلس دارو على السّرير، شاهدها تحزم أمتعتها ومعدّاتها الإضافيّة التي ستضطرّ لحملها وحدها. وقال لها: «لا تذهبي».

«أنت تسحّف الأمر».

«إكراما لي لا تذهبي». لم يكن ينوي هذا القول لكنّ الأمر أصبح الآن نوعا من الاختبار؛ اختبار لن تخضع هي له. «أتذكر السّؤال: لمّ الناس الذين من المفترض أن يحبّونا أكثر هم أنفسهم من يحاولون إيقافنا عن فعل ما نحبّه؟».

لقد التقى بالشخص المناسب له ولم يعد يهتمّ بالأمر كثيرا. دمرت المشكلات مهمّتهم على الفور. ففي بيان (هوا)، تمّ تحويل مسار المروحيّات أو إلغاء إقلاعها، لذلك لم تصل إلى القرية الصّغيرة التي تركزت فيها وحدة الكابتن أولسن حتّى وقت متأخّر بعد الظّهر.



كانت القرية تلتصق بطرف الأدغال، وكان قد تمّ إخلاؤها وتفجيرها الشهر الماضي. لم يبقَ إلا أكوامٌ من الأنقاض والحجارة وعدّة جدران واقفة دون أيّة دعامة تملؤها فتحات الرصاص. منذ لقائها بأول جنديّ وهي تسمع الأخبار السيئة تتزايد أكثر فأكثر، كان الكابتن أولسن قد أصيب بانتكاسة (مالاريا) وتمّ إبعاده قبل خمسة أيام. لم يكلف أحدٌ نفسه عناء إخبارها. وكان البديل عنه هو الكابتن هورنر حديث التدريب والذي لم يمض على وصوله إلى البلاد سوى أسبوعين.

أتى صموئيل إلى زاوية الجدار: «سمعت أنك عدت وأعدت إلينا تعويذة الحظّ الجيد، أيجب أن تحرق العلقات ركبتيك الجميلتين؟». عانقته هيلين وقد سعدت برؤية وجه مألوف، وقالت: «كيف الحال؟».

هزّ صموئيل رأسه باتجاه الجنديّ الواقف إلى جانبها: «سيخبرك بكلّ شيء. إنّه مخزّب، لقد فقدنا ثلاثة رجال منذ وصوله إلى هنا إنّه أحمق».

حاولت هيلين تجاهل الرجفة التي تتسلّق ظهرها. كان ذلك هو أوّل تشقّق أصاب ثقتها بنفسها. كانت ابتسامتها مليئة بالشك. أكان عليها الإصغاء إلى دارو؟.

«سنكون محظوظين إن لم يتسبّب في قتلنا هذا الحقير. أفكر أن أرحل وأخرج من هنا مع أوّل مركبة تقلّني. ثم أعود ثانية عندما يكون أولسن هنا».

«لن يكون لديك شيءٌ تشتكي منه حينها». تمتّ لو لم يكن صموئيل أمامها وإلا لكانت عادت إلى متن المروحية. «كلّ ما أقوله لك هو أن تكوني حذرة، وأن تدبّري لنا بعض السحر كما فعلت المرّة الماضية».

«أنا نفسي أحتاج إلى بعض السّحر».  
كان هناك حملةٌ آتيةٌ من طريق طويل وفي منتصفها رجلٌ  
نحيفٌ وضامر الأطراف، كان يتحلّق حول الجميع ويتعرّق بوفرة  
ويطلق الشّتائم.  
«ذلك». قال صموئيل وهو يضع يديه حول كتفها: «هو  
قائدنا».

مشى الكابتن إلى هيلين كما لو أنّها كانت عقبة أخرى في  
طريقه يجب عليه التغلّب عليها قبل إتمام الطريق الطّويل.  
«أعرّفك بصاحبتي». قال صموئيل.  
كان هورنر ذا رقبة طويلة ونحيلة يتوسّطها بروزٌ لتفاحة آدم  
التي كانت تهتزّ كلّما ابتلع شيئاً: «أخمن أنّك الصّحافيّة التي عليّ  
أن أسمح لها بمرافقتنا».  
أبعدت هيلين ذراع صموئيل بضربة خفيفة وقالت: «هذا  
صحيح».

«أخبروني أنّ اسمك آدامز».  
«لم يخبروك الكثير». أحسّت بالتعب مسبقاً من القتال  
القادم.

تفصّص وجهه كما لو أنّه أكل شيئاً حامضاً: «أخمن أنّهم  
يجعلون المرء يبدأ من الأسفل؛ من نساء صحافيّات إلى جنود من  
الدّرجة الثّانية».

شرد ذهن هيلين بما قاله صموئيل فلم تستوعب الإهانة  
كاملة. كلّ شيء كان يبدو كدليل على أنّها ارتكبت خطأ بعدم  
العودة، وبالمغادرة على الفور.

«عليك الاعتماد على نفسك بالّلحاق بنا ويُمَنع الاختلاط  
والتّكلم مع الرّجال».

«إلى من أتحدث إذن؟».

«أنت مصوِّرة لماذا تحتاجين الكلام؟». أدار وجهه قليلا ليبصق

ثم مشى مبتعدا .

قال صموئيل: «أخبرتكَ بأنه ساحر، ما زال لديك وقتٌ

للزَّحيل».

أنزلت هيلين حقيبتها وقالت: «سيعذِّبه الأمر أكثر لو بقيت».

في تلك اللَّيلة أمرَ هورنر بتعليق ستائر بلاستيكيَّة بشكل

مثَلث على الجدار المتفتَّت بهدف حماية هيلين من بقيَّة الجنود .

استلقت في الظَّلام وهي ترتدي كامل لباسها وحذاءها . كانت

النَّجوم تخفق فوق رأسها كما لو أنَّها بقع نار صغيرة أعادت

ذاكرتها إلى مواعد لياالي الصَّيف على الشَّاطئ في وطنها .

بعد القرية عنها جسده أصوات اللَّيل وصرخات دعر الطَّيور

في أعماق الأدغال، كما أن همهمة الحشرات أشعرتها بالأنس

والسَّكينة . لم يكن الطرفان يحاربان حربا واحدة . كان كلُّ شيء

معروفا بالنَّسبة للفيتناميِّين فقد كان هذا هو وطنهم حتَّى لو

كانوا من السَّمال . أمَّا بالنَّسبة للأمريكان فحتَّى أصوات اللَّيل

كانت غريبة ومهدِّدة بالخطر .

ضايقتها فكرة أنَّها فقدت فرصتها مع دارو بإصرارها

على الدَّهاب وحدها . لكنه كان مسلَّما بالأمر وعده بدهيَّا أنَّها

ستتخلَّى عن أيِّ شيء لأجله . وعلى العكس منه لم يكن قد مضى

على وجودها كثيرٌ من الوقت في فيتنام، كانت قد بدأت لتوها .

أصدر العازل البلاستيكيَّ صوتَ صرير وظهر رجلٌ من تحته

وهمس: «صه ... صه» .

أغلقت هيلين عينيها قليلا لعدم قدرتها على التَّعرف على

الوجه لكنَّها عرفت الصَّوت وقالت: «اخرج يا صموئيل» .

«ما رأيك ببعض مما كنا نحصل عليه في فندق لاوس أو ربّما  
ترغبين بجرعة من نبيذ داجو ريد؟».

«لا.. شكرا» صدرت منه رائحةٌ عفنةٌ، فقد كانوا في مهمّة  
لعدة أيّام بينما هي كانت مستحمةً ذلك الصّباح.

«حدّثيني، أخبريني عن العالم الكبير الرّائع».

«إذا وجدك القائد هنا سوف يسجنني».

«إنّه يصدر صوت شخير ولديّ من يراقبه».

«ليست هذه فكرة جيّدة». كانت تدعو الله كما لو كانت طفلة

لكن الوضع كان خطيرا.

«رائعٌ أن أراك من جديد.. ليس لديك أدنى فكرة، عن روعة

لمس شيء ناعم». مدّ يده ووضعها على معدتها.

«إذا لم ترحل عندما أعدّ إلى ثلاثة فسأصرخ وأوقظ

الجميع».

سحب يده وقال: «تذكّري هذا فقط؛ إنني أذهب إلى النّوم

كلّ ليلة وأنا أحلم بالاستلقاء إلى جانبك في وكر الثّعلب ذاك.

وهذا أقرب ما استطعت أن أصل إليه مع أية امرأة منذ فترة».

«لقد حطّمت قلبي، طابت ليلتك يا صموئيل». قالت بصوت

عال وذهب تحت غطاء بلاستيكي آخر. سمعت الضّحكات من

حولها في الظلام.

تركوا المخيم عند الفجر وبدؤوا المشي بطابور واحد على

طول الطّريق الثّرابيّ الضّيق، وقد شكّلت كثافة جذوع الأشجار

والكرمة والشّجيرات على كلّ طرف جدارا سميكاً انحنى فوقهم

ليشكّل نفقا يظلمهم.

تجنّبها صموئيل طوال الصّباح ومشى في المقدمة بينما

مشّت هي بتثاقل خلف الكابتن هورنر. من الممكن أن يكون وجه

الكابتن بدا أكثر نحولا وعظام وجهه بدت أكثر بروزا من اليوم السابق. عندما تحدّث معها. منظر تفاحة آدم جعله يبدو ضعيفا بشكل غريب.

الآن وبعد أن أبعدت نفسها عن صموئيل والرّجال الآخرين بدا أنّ هورنر غير رأيه وتحقّق ليشملها في المهمّة ويجعلها ترى الأمور من وجهة نظره: «هذه المنطقة هي طريق تجارة رئيسيّ تأتي منها المؤن من الشّمال وعلينا أن نعرف مكانهم ثمّ نستعد للتدخل الجويّ».

«يبدو الأمر صعبا». تساءلت إن كان تمّ خداعه ولا يعرف إن كان تمّ إرساله كطعم ليعرف ما في المنطقة.  
«أتعلمين؟ لا يتمّ سؤالي عن رأيي بالمهامّ».  
«آسفة».

«هدفه هو أن أعيد كلّ هؤلاء الرّجال إلى القاعدة في خمسة أيّام».  
«فهمت».

كان مظهره الجانبيّ مواجهها لها ورأت كيف كانت تفّاحة آدم في عنقه تصعد وتنزل مرّتين قبل أن يتحدّث. «لم أرد أن يموت أولئك الرّجال».

نظرت هيلين إليه متفاجئة، لكنّ عيون هورنر الصغيرة المتحجّرة لم تكشف عن أيّ شيء، وبدا أنّ الكلام لم يكن آتيا منه، قالت: «مفهوم».

«لكّك لا تكتبين، أعني أنّك تصوّرين فقط؟».

كان هورنر يفرض نظاما قاسيا على الرّجال، يأمرهم بعدم التحدّث وترك خمسة أقدام بين كلّ رجل وآخر ومنع إطلاق النّار

إلا إذا تمّ الإطلاق عليهم. زغما عنها حاز على إعجابها. مشوا ليومين في عمق نواحي الرّيف النّائية دون أن يلتقوا بإنسان آخر. تذكّرت هيلين الحملة الّتي كان فيها غموضٌ وهلوساتٌ، وصمّتٌ كاملٌ يجعل الأذن ترنّ. إذا وقف المرء ساكنا تمكّن من سماع تيّار تحتيّ وصوت همهمة في الغابة. حتّى صوت الماء على الأوراق الّتي كانت تقطر كما لو أنّها تفرز عرقا.

حجبت الشّمس جذوع السّاج الضّخمة، وكانت الخضرة في غاية الكثافة تتشابك في الأسفل، حيث كانوا يسمعون أصوات حيوانات لم يروها تركض في الأجمة، بينما تصرخ الطّيور في الأعلى. طافت في الهواء سحابة غبار خمريّة اللّون. والأرض الّتي كانت كسماد ناعم جعلتهم يتركون خلفهم آثار أقدام كاملة، وفكّرت هيلين بهانسل وغريتل وكأنّهما قد تركا أثرا خلفهما. وخلال حرارة اليوم كان الهواء ساخنا وسميكا جدّا لدرجة أنّ مذاقه كان أخضر على اللّسان كما لو أنّهم يبتلعون بركة ماء.

لم يكن من مهامّ هيلين أن تعرف مكان وجودها، كان عليها فقط أن تتبع الرّجال الّذين أمامها، فأصبحت الأيام سلسلة من الطّرقات المحفورة الّتي تسلّقوها ومشوا فيها، والوديان الخضراء الضيّقة الّتي اجتازوها، ومجاري الأنهار الجافّة والصخريّة الّتي عبروها. استيقظوا في الصّباح ليجدوا ضبابا كثيفا قلّ مجال الرّؤية لدرجة أنّه لم يتجاوز السّدّاع الواحدة، مع صوت خنق أصواتهم حتّى بدت وكأنّها منزوعةٌ. وبحلول فترة الظهيرة حرقت أشعة الشمس فلول الضباب. وعندما وصلوا إلى إحدى الساحات بزغ ضوء الشمس قاسيا وشاحبا ومنذرا بالوعيد.

كانوا مرهقين ومشتّتي الانتباه ودائما على حذر من كمين أو من الألغام، وكان الصّمت الملموس كضوء الشّمس يجعلهم حاملين.

وجدت هيلين تفكيرها خاليا لفترات طويلة من الوقت، أفكارها متوقفة، حاضرها ومستقبلها الوشيك وحتى ماضيها كل شيء تراجع.

شعرت بالحرية كلها؛ الحرية التي شعرت بها طوال حياتها. زاد الوهم في داخلها وكأنها عاشت طوال الوقت في تلك الغابة. بدا في بعض الأوقات أنهم البشر الوحيدون الذين تبقوا على وجه الأرض، وبدا وجود مدن مثل سايفون ولوس أنجلوس مجرد خيال.

بعد ليلتين من حادثة صموئيل وضعت هيلين علبة سجائر على فراشه. وفي الصباح التالي وجدت هرما صغيرا من الدراق المملب عند أغراضها.

عاود صموئيل المشي أمام هيلين من جديد مستعيدا بذلك دور أخيها الأكبر.

«امشي خلفي تماما، فأنا مسحور ولن ينال مني أي لغم».

في صباح اليوم الخامس وصلوا إلى هدفهم، وهو هضبة صغيرة تطل على واد توجد قرية في أسفله. الراحة التي ظهرت على وجه هورنر جعلت هيلين تبدأ بالإعجاب بالرجل. عندما بدؤوا بالاتصال اللاسلكي تلقوا أوامر بترك المسير في الحملة بأسرع وقت ممكن والتحرك نحو الطريق الرئيسي والتوجه شمالا. ستأخذهم قافلة على طريق آخر وتضمهم إلى مجموعتين تعرضتا إلى إطلاق نار كثيف من قوات جيش فيتنام الشمالي.

انتشروا وتحركوا بسرعة على المنحدر العشبي الناعم. حركت خطواتهم السريعة والطويلة مئات الجرادات الخضراء المصفرة لتقفز في وجوههم بعلو الخصر. شعرت هيلين بأنها

كمقدمة سفينة والعشب يضرب فخذها وقد وقفت حشرات  
ذهبية خضراء مثل رشاش الماء على مقدمة السفينة.  
كانت الشمس ثقيلة، وكانت هناك أصوات خانقة والصمت  
العظيم للغابة يمتد إلى الوادي، فشعروا أنهم مسحورون.  
صمت الطبيعة وانتظرت منهم خطوة واحدة خاطئة  
لتستيقظ.

وصلوا إلى حقول الأرض المحيطة بالقرية. لم يروا أي إنسان  
في أي اتجاه على مدى البصر، واستمر السحر يلزمهم. تغطت  
أسطح الحقول بنسيم غير مدرك بالحواس.  
قال هورنر: «سنكلف ثلاثة رجال عبور الحقول».

نظر الرجال إلى الأسفل أو بعيدا. لن يتوجهوا عائدين إلى  
القاعدة بل سيتوجهون إلى القتال، لم يُرد أحد منهم ذلك الخطر  
الإضافي لعبور الحقل.

أخبر الرجال هيلين مسبقا بأن هورنر أمر الرجال الذين  
ماتوا باستكشاف حقل بعد أن أخبره أحد سكان القرية بأنه  
ملغم.

سأل هورنر مرة ثانية: «من يريد التطلع؟». والتزم الرجال  
الصمت من جديد.

شعرت هيلين بالغثيان والضيق مع مضي هدوء الأسبوع  
الماضي. لأول مرة منذ خمسة أيام شعرت بحاجة يائسة إلى  
وجود لين أو دارو.

أخيرا سعل صموئيل وقال: «كابتن نحن بحاجة لأن نلتقي  
بالقافلة، فلم لا نطوف حول الحقل والقرية لنصل إلى الطريق  
بشكل أسرع؟».

«طلبك غير مجاب، سننتهي المهمة الأصلية».



أخذ صموئيل نفسا عميقا وأرادت هيلين أن ترسل إشارة تحذيرية لكنها لم تفعل.

«مع كامل الاحترام يا سيدي فحقل فارغ في منتصف اليوم هو حقل حي».

هزرجلان رأسيهما وشرعا في تسلم معدّات إضافية. أوما هورنر برأسه راضيا وقال وهو يحدّق في خريطة: «سنحتاج إلى رجل ثالث».

قال صموئيل وهو يزيل معدّاته عنه: «اللّعة، حسنا».

قرفصت هيلين وأخذت صورة للرجال الثلاثة وهم واقفون على حافة الحقل. أخذت صورة لصموئيل وهو يخوض في الماء حتى الركبة وهو يستدير ليرفع إبهامه مشجعا الرجلين الآخرين بذراعه التي يغطيها وشم التّين.

سمعت بعد عشر دقائق صرخة صفير من مدفع هاون آت من القرية. انخفضوا جميعا لكن هيلين نظرت في الوقت المناسب لترى انفجار الماء حول صموئيل. الرجلان الآخران في الحقل تطلّعا بالماء ووصلوا إلى صموئيل كما وصلت الطلقات من مصدر إطلاقها الرئيسي. ركضوا جميعا إلى مأوى خندق الحقل.

صاح هورنر: «اللّعة». تمّدّد على الأرض وعندما رأى هيلين تنهض لتأخذ صورة صاح بها: «انبطحي». توقّف إطلاق القذائف بعد خمس دقائق. الرجال الثلاثة عدّوا عائدتين عبر الماء واندفعوا ليتسلّقوا الضّفة وانهاروا إلى جانب هيلين.

كان صموئيل يلهث: «لم نصب بخدش».

ضحك الرجال وانتشروا، شربوا الماء من قريهم.

بعد أن فكّرت أنها أخذت كفايتها من الصّور نزعّت هيلين عدسة كاميرتها ووضعت الكاميرا بعيدا لتدخّن.

قال أحدهم: «كان ذلك قريبا جدا من الهدف».

قال هورنر: «هل الجميع بخير؟».

قال صموئيل محدّقا بهورنر: «لا. كان ذلك بفضلك أيّها الأحمق».

عاين هورنر القرية بمنظاره ولم يقل شيئا، والجنديان الآخران بقيا صامتين. كان الهواء كثيفا، تمتّ هيلين أن يتم إطلاق قذيفة أخرى لتشتيت انتباههم.

تابع صموئيل: «انظر ناحية الغرب أيّها الأحمق».

سأل هورنر بحزن: «هل وصلت إلى الطّرف الآخر من الحقل؟».

نفخ صموئيل الهواء من شفّتيه باستهجان بطيء بعد أن تغلّب على لحظة القتال.

«لا أظنّ أنّك فعلت ذلك». بدا هورنر متعبا غير أنّه كان لطيفا كأب يشجّع ابنه لينهي مهمّة ضروريّة: «عد واعبره».

تحرك الرّجال الآخرون لكنّ هورنر رفع يده وقال: «صموئيل فقط».

لم يكن هناك أيّة حركة إلّا منظار هورنر الذي يفحص الحقل.

قال صموئيل: «لا».

تهدّ هورنر وأنزل المنظار. ونفض عن قميصه عشبّة جافّة وقال: «هذا أمر».

وقف صموئيل من فوره على قدميه بعد أن نزع عنه قراب المسدّس وقال: «اذهب أنت».

احمرّ جلد هورنر وبدا مُهانا أكثر ممّا بدا خائفا: «ستتعرّض لمحكمة عسكريّة يا سيّد إن لم تحمل هذا الشّيء». قال وصوته يكاد يكون هامسا.

عندما لم تصدر أيّة حركة من صموئيل مال إلى الأمام وقال: «الآن، قلت».

«إنّه غير معبأ أيّها الأحمق». قال قبل أن يقترب هورنر خطوة أخرى، أدار صموئيل المسدّس إلى رأسه هو وعبس وأطلق النّار. انخفض الجميع للحظة غير قادرين على استيعاب ما حدث. بعد أن مدّوه. اتصل هورنر باللاسلكي أمرا إخلاء طبيّا. ركعت هيلين بجانب الجثة.

كانت خوذة صموئيل لا تزال على رأسه فسحب المسعف المكبس من تحت أنفه ورقبته، مرّت موجة من السّواد أمام عينيّ هيلين. الجبهة، العيون، الأنف كلّها كانت لصموئيل القديم لكن الفكّ الأسفل كان مفقودا.

كان الدّم يسيل على صدره وافرا بتدفّق. كانت أسنانه العلويّة مكشوفة بشكل كامل، فاستدارت بعيدا بسرعة. أمسك مجنّد بكفاءة ووضعها في الفتحة التي تحت الأنف. «امسكها بشكل جيّد، حسنا».

أومأت هيلين وأمسكت بها، النّفس انقطع وكان الصّغط يشتدّ خلف عينيها كما لو أنّها أوشكت على الإغماء. «لا تضغطي على الرّقبة». صاح المجنّد وهو يثقب الجلد لفتح القصبة الهوائيّة: «ستفلقين مجرى النّفس».

نقّذت هيلين الأوامر بشكل طبيعيّ. نظرت إلى عينيّ صموئيل ونظرته، قالت: «إنّه لم يكن يصدّق حقيقة ما كان يجري أيضا». فنزلت إلى محاذاة إذنه وقالت: «لا تستسلم وتتركني».

بعد عدّة دقائق تعرّض جسمه لاضطرابات عنيفة وكان جذعه يصعد وينزل كما لو أنّ تيّارا كهربائيّا نبض فيه، ورجلاه الممتدّتان ترتجفان وذراعا الممتدّتان تدفعان هيلين والمجنّد بعيدا.

«أحتاج مساعدة لإبقائه مكانه».

أتى أحد الجنود وانحنى على الجانب الآخر من جسم صموئيل وثبت ذراعيه. لم يستطع المسعف إعطاء المورفين لأن الجرح كان في الرأس. استرخى جسم صموئيل بعد دقيقة وزال التوتر. عيناه اللتان كانت جامحتين وقاسيتين من شدة الألم أصبحتا الآن تنظران بشكل أفقي. عندما نظرت إلى عينيه كانت نظرتيه هادئة وحيادية ويظهر فيها بُعد ووحدة.

وضع المسعف رباطا مطاطيا حول الضمادة فوق الخوذة .  
«لا تخلعوها لكيلا ينزف».

تحركت هيلين ويداهما ملطختان بالدم. لم ترد أن تخرج منديلها من حقيبة الكاميرا لكي لا تلطخ معداتها بالدم. كانت خائفة من القناصة، فلم تقترب لتحصل على الماء من الحقل، بل اكتفت بمسح يديها بسروالها. جلس هورنر على صخرة وحيدا ووجهه متعب ومغضن وسنوات التدريب كلها تمر من أمام عينيه. عندما عادت إلى صموئيل ركزت على ذراعيه البرونزيّتين اللتين ما زالتا في حالة جيّدة ووشم الثنين ما زال على العضلة الأمامية للذراع اليسارية. أمسكت يده بيدها.

عندما وضعوه على مروحية صعدت هيلين معه وقالت:  
«لا أريده أن يكون وحيدا».

أمسك المجنّد بكتيفيها وقال: «لن ينجو.. حسنا؟ وما من شيء تستطيعين فعله لتغيير ذلك».

في المستشفى الميداني ركض حاملو النقالة بصموئيل إلى الخيمة. مرّت ساعة. وبدأ ضجيج المروحيات وسيارات الجيب وعجلة الطاقم الطبي غير حقيقي. بعد أن صمتت الغابة.  
بعد ذلك أتت ممرضة لتدخن سيجارة وعرضت واحدة على

هيلين وقالت: «عزيزتي أنت بحاجة لأن تفتسلي».  
مسحت هيلين يديها على بنطالها وشعرت بجفافه وخشونته.  
قالت الممرضة: «هناك، في مبنى المؤن يوجد ماءً حارّ وصابون  
وسريّرٌ نَقال لتستلقي، أنت بحاجة لذلك».  
«صموئيل؟» قالت هيلين وهي بالكاد قادرة على إخراج  
الكلمات من فمها الجافّ ولسانها الثقيل.  
«آسفة يا عزيزتي لم يصل إلى غرفة العمليّات. كان يجب أن  
يخبرك أحدٌ ما بذلك».

أومأت هيلين برأسها. قبل ذلك كان في داخلها شيءٌ صغيرٌ  
برّاقٌ جعلها منيعة ضدّ أيّ شيءٍ يمكن أن يحدث، وعرفت الآن  
أنّه جهلها بما يحدث، وشعرت أنّها تسقط في مكان مظلم عميق.  
قالت المرأة: «تعالى اغتسلي وكلي».

بعد أن عادت الممرضة إلى واجبها عادت هيلين إلى مبنى  
المؤن الذي كان ضيقًا وحارًا ومظلمًا والضوء الوحيد الظاهر  
فيه كان مجموعة من المصابيح البادية في مقدّمة المبنى وبعض  
الشقوق غير المتساوية في الجدران المعدنية. كانت هناك مساند  
رفوف معدنيّة بطول ثمانية أقدام تكوّمت عليها المؤن كما لو  
كانت حُرّم أغراض في مكتبة. كانت رائحة الهواء تفوح برائحة  
الكرتون والبلاستيك. وكما وعدتها الممرضة كان هناك سريّرٌ  
نَقالٌ في أحد الصّفوف.

وضعت هيلين معدّاتها تحت السّريّر وتمدّدت. استدارت  
لتنام على جانبها وهي تجرّ حذاءها الملطّخ بالوحل على البطّانيّة  
متعبة لدرجة أنّها لا تستطيع خلعه. ارتجف جسمها من ذراعيها  
إلى قدميها وصدرها فاضطرّت أن تطبق أسنانها كأنّها تشعر  
بالبرد، ومع ذلك كان جسمها مغمورًا بالعرق. وفيما عدا الدّموع

كانت تتوق إلى أي شيء حتى لو كان ألما جسدياً ليشبثها عمّا  
كانت تشعر به.  
«آدامز».

لم تعرف كم مرّ من الوقت لكنّها استيقظت على صوت  
مروحيّة تحطّ في المكان. كانت الرّحلات الجويّة مستمرّة، كما  
تم نقل وحدة هورنر لاسلكيّاً لكي ينضمّوا إلى الجرحى الذين  
تمّ إحضارهم. قامت بالدعاء متمنّية أن يؤجّلوا إحضار وحدة  
هورنر لكنّها عرفت أنّهم لن يفعلوا ذلك.

كما أنّ هورنر لن يأخذ اللّوم على عاتقه بسبب ما حدث  
لصموئيل. مع أنّه الآن سيموت وهو يشعر بالعار، صموئيل  
ببساطة اختار طريقة انتحاره، أمّا طريقة هورنر فقد كانت  
ستكسبه ميداليّة شجاعة. جعلها ذلك تشعر بالفثيان. سمعت  
صوت جنديّ يناديها من جديد. كان ذلك نداءً ليقبّلوها وتتضمّن  
إلى المجموعة من جديد.

نهضت من السّرير وحبّت على يديها ورجليها بين الصّفوف  
لتصل إلى أبعد زاوية وأكثرها ظلاماً. جلست على الأرض متكوّرة  
وظهرها على أحد الصّناديق وركبتها أمام صدرها وجبهتها  
تستريح على ركبتيها.  
«آدامز؟ أين هي؟».

انفتح الباب وسمعت صدى اسمها على الجدران المعدنية  
الرّقيقة. تهذّت هيلين وحبست أنفاسها حتى تمكّنت من سماع  
نبضها. وانغلق الباب.  
«إلى أين ذهبت الفتاة المصوّرة؟».

استدارت هيلين إلى جانبها حيث كانت الأرض باردة تفوح  
منها رائحة الرّطوبة كما لو أنّه قبو رطبّ. وضعت قبضتها تحت

ذقتها . عندما أغلقت عينيها رأت صموئيل كما لو أنه كان بجانبها تحت العازل البلاستيكي ثم غطت في النوم .

بعد عدّة ساعات تركت مبنى المؤن وفُتشت عن المراقب الجوي . «لم نستطع العثور عليك من أجل المغادرة» .

«لديّ ما يكفي من الأفلام وأحتاج إلى أن أرسلها . متى تكون الرّحلة القادمة إلى دانانغ؟» . حبست أنفاسها فقد كانت كذبتها في غاية الوضوح .

نظر إلى لوح المواعيد في ملل وقال : «رحلات الحمولة ستكون عند المغيب» .

«سأكون في خيمة المؤن» .

جلست على مقعد وحدّقت في الطّاوله . وقفت في منطقة الهبوط لمدّة نصف ساعة قبل أن تصبح الطّائرة جاهزة للإقلاع . كانت قد صعدت إلى الطّائرة قبل أن يركض أحد الجنود إليها بحقيبة كاميرتها ومعدّاتها بعد أن نسيتها في مبنى المعدّات .

عندما عادت هيلين إلى سايفون شعرت بالراحة عندما وجدت أنّ دارو ولين كانا في مهمّة في خليج كام ران . تابعت الاختباء في الشّقة تحت غطاء السّرير الأخضر بلون النّعناع ، وحاولت أن تتسّى ما حدث ، حتّى عندما تمت إهانتها . خفق ألّمّ خلف عينيها ، ولم تستطع الكفّ عن التّفكير بصموئيل وموته الّذي أصبح كما المرض في داخلها . كلّما فكّرت في الأمر أكثر قلّ فهمها لما حدث وعلى من يجب أن يقع اللّوم .

كان الفيلم في الحقيبة بمثابة اتّهام ، فإنها إن لم تعرف التّوايا الحقيقيّة لصموئيل فلن تستطيع أن تتشر تلك الصّور بضمير مرتاح ، فبدلاً عن الحزن على فقد صديقها كان عليها أن تتصرّف كحكّم على تصرّفاته . من الواضح أنّ هورنر كان

مخطئا، فقد أضعف معنويات رجاله، لكن صموئيل كان جنديًا عريقًا في كلتا الرحلتين، وكان عليه أن يكون قادرًا على التعامل مع هورنر بسهولة. أكان ما حصل حادثًا غيبًا مريعًا؟ أم أن صموئيل غضب بشكل سريع مفاجئ؟ أكان الضياع والغباء هو ما قضى عليه؟

كان هناك خيارات أسوأ لتفكر فيها. أكانت الأمور في غاية الضبابية لدرجة أن صموئيل لم يهتم إن كان المسدس معبأ أم لا؟ أتى غاري غاضبًا ليأخذ الأفلام بنفسه، وأعطته إيّاها بتردد، فإن جعلت منها قضية كان عليها أن تدين صموئيل. سيقوم أحد المساعدين بتظهير الأفلام. نظر غاري إلى هيلين نظرة واحدة واتصل بالطبيب، ووعدّها بأن يعود بعد أن يقوم بتحريض الفيلم. عندما فحصها الطبيب هزّ رأسه وقال: «إجهاد ما بعد التوتر».

«أنت طبيبي. صحيح؟ يمكن أن تعتبر ذلك نقصًا في الفيتامينات».

كانت الأغذية مٌسخة، فهي لم تغيّرّها منذ أسابيع بسبب انشغالها الشديد عن الحياة الطبيعية. جلس غاري على طرف السرير بحذر شديد: «ما الذي حدث يا عزيزتي؟ لم يرد أن يكون مسؤولًا عن انهيار تلك المصورة الشهيرة، وأن تكون تلك هي القصة التي سيتم نشرها».

هزّت هيلين رأسها وعيناها تبتعدان عنه: «لا أعرف ماذا حصل هناك». كانت تعرف ما حصل في داخلها وانزعاج صموئيل، لكن ألم يُرد أن يجعل الأمر يبدو تحديًا؟ أن يثير مشهدًا؟ أن يصبح الأمر مقلبًا صبيانياً؟



كانت الغرفة حارّة وجبهة غاري تقطر عرقاً: «لماذا تعيشين هنا؟ فأننا أدفع لك ما يمكّنك من العيش في مكان أفضل من هذا».

«إنّها فيتنام الحقيقيّة».

«مَن يهتمّ بذلك؟ ألم تلاحظي؟ فيتنام الحقيقيّة بؤرة قذارة».  
ركل غاري وسادة كانت ملقاة على الأرض. كان من السيئ بما فيه الكفاية أن يرى الإصابات والحوادث العسكريّة، لكنّ مراسليه الآن كانوا يتساقطون. كان يعيش مع الإحساس بالذنب كلّ يوم وهو يرسلهم إلى عالم مليء بالأخطار المُحدقة بهم والتدوب التي سيتركها عليهم إن تأدّوا؟ ادّعاءً وتظاهر، كلامه كرعاة الأبقار: أن لا شيء كان سيئاً وأنهم سيكونون بخير إذا أخذوا احتياطاتهم، والآن فتاته المراسلة مرهقة وقد تعرّضت للأذى.

«لماذا إذا هو مكان يليق بنا أن نموت لأجله؟».

«الأمر فلسفيّ وعميق. ولكن لديّ مشكلاتي الخاصّة. انظري يا عزيزتي عندما أعرف الوقت المناسب لأخبرك فسأفعل ذلك الآن».

المساعد الجديد كان متسرّعاً واستخدم حرارة شديدة في إظهار الأفلام فذابت الصّور.

فاجأتها صدمة أنّ كلّ شيء أصبح غير صالح، «كلّ شيء؟».  
على الرّغم من تردّدها بنشرها لكنّ الخبر أصابها بالشلل والاختناق. فأصبح من الواضح لها أنّها لم تكن لتخفي الصّور أبداً. لقد تعرّض صموئيل للخيانة من جديد لأنّه سيُنسى الآن.  
«بالطّبع لم تفسد كل الصّور. نصفها فقط، لكن اسمعي، ما تبقيّ منها سيكون جيّداً لصور غلاف، وسأضعف أجرك أيضاً، ليس الأمر في غاية السّوء أليس كذلك؟».

كان غاري خبيثًا، فقد شكّت أنّه يخدعها لتدرك مدى أهميّة صورها.

«أجري تضاعف ثلاثة أضعاف، وسينشر اسمي على كلّ صورة». استدارت عائدة إلى السرير وهي تشعر بالامتعاض من هذا الطّموح القويّ الضئيل الذي في داخلها. «ماذا عن صور صموئيل وهو واقفٌ على طرف الحقل؟».

«ثلاثة أضعاف طبعًا ألم أقل ذلك؟ وسوف أطمأن بنفسني على وجود الاسم. أيتها الفتاة الجشعة. وسوف يكون هذا الجندي الذي يخصك هو صورة الغلاف». أراحه طمعها. تلك الكميّة القليلة من القسوة ستفيدها بشكل جيّد؛ كما أنها تعني أنّ كلّ فترة استلقائها في السرير كانت منظرا مفتعلا.

«لا لم تقل ذلك».

«طبعًا». قال غاري وهو يمرّر يديه للأعلى والأسفل على غطاء السرير «بعد معرفة نتيجة المعركة سيتمّ تخليده».

أغلقت عينيها وهي تفكّر بالقرار الذي اتخذته: «حتّى لو كان قد أطلق النّار على نفسه؟».

توقّف غاري مرتاحا بعد أن عرف سبب تصرّفها: «أنا لم أسمع ذلك».

«هل أنت ساخرٌ إلى هذه الدّرجة؟».

نظر إليها بابتسامة شاحبة صغيرة ثمّ نهض مبتعدا عنها: «يا إلهي إنّ الحرارة شديدةٌ هنا. أنا لست إلّا رجلا يرتبط بموعد عمل محدّد عليّ الالتزام به. صموئيل سون».

«صموئيل».

«أيّا كان. لقد كان جنديًا شجاعا ولديّ براهينٌ على ذلك. أنت بالتأكيد لا تعرفين ما حصل. فلا يمكن الحكم على الأشياء

التي تحصل هناك بمعايير الحياة العادية يا فتاتي الصغيرة». حتى لو أنّ غاري عرف بالضبط ما حصل فلن يشكّل الأمر فرقاً.

«فكرني بهذا، اذهبي إلى واشنطن وقدمي نسخة من صورة صموئيل إلى والديه أو صديقته أو زوجته أو أي من أقاربه. وسيكون ذلك تغطية رائعة».

هزّت رأسها وقالت: «لقد انتهيت». «ألهذا طلبت مني أن أعطيك ثلاثة أضعاف أجرك؟ أنت بحاجة إلى الراحة». تمشّى في الغرفة وهو يتعرق ويمسح جبهته بمناديل ورقية. «ماذا لو أرسلت إليك بعض الوجبات من مخبز جيفرال؟».

«أنت لا تستطيع شرائي. حسناً؟». قالت من تحت البطانية. لكن كلاهما عرف أنه قد أراح نفسه. «سيكون ذلك على نفقة الحساب الجاري، حسناً؟ وستحصلين على اسمك في الجريدة». «لا يهمني ذلك».

نظر إليها للحظة: «حتى لو أنّ الشاب قد استشاط غضباً للحظة ما، وهو أمرٌ أنفيه رسمياً، ماذا عن الأوقات التي كان فيها بطلا ولم يصوّره أحد؟ ابن السيئة ذاك يُعدّ شجاعاً فقط لكونه موجوداً في فيتنام، وهي اسم آخر للجحيم». التقط حقيبته ليفادر.

«نلتقي في المشفى الميداني؟». «سأخبرك شيئاً ليس عليّ إخبارك به. لقد أنقذت دارو في أنفكور. لا تخبريه بذلك. كان يختبئ بين الصّخور واستشاط غضباً، يا إلهي إنه يخاف من خياله. لسك متأكداً ماذا كان

سيحصل لو لم يظهر لين». إنّه يبالغ بالطّبع. لكن لسبب جيّد.  
 لم تسمع هيلين عن الوقت الذي قضوه هناك في إنغكور، كلّ  
 ما عرفته أنّ دارو كان مهووسا بالعودة إلى هناك.  
 «عليك أن تكوني واحدة من أفضل المصوّرين لديّ. لن يخونك  
 عملك أبدا. أنا أحبّ دارو لكّته يسير في طريق خاطئ من جديد،  
 وما حدث مع تانر كان أمرا غبيّا، إنني أعتمد عليك وعلى لين  
 لتعيدها إلى رشده».

لكنّ غاري كان مخطئا؛ فقد خانها العمل أو إنّها هي التي  
 خانته وحقّقت نبوءة (ماك كراي)، وأصبحت جزءا من فيلمهم.  
 الصّبيّة الصّغار من أمثال مايكل كانوا يرون صور صموئيل  
 ويتبعون خطا رجل قامر بحياته.

عندما غادر غاري نهضت هيلين من السرير وارتدت ملابسها  
 لتواجه الحياة من جديد. ارتشفت المارتيني المتلّج على الغداء  
 مع آنوك، ابتلعت شرابها كما لو كان ماء. نعومة غطاء الطاولة  
 ووجود التّلج في الكؤوس والضّحكات على الطّاولات المحيطة،  
 كانت كلّها أشياء هدأت من روعها. أوما لها رجلٌ من الطّرف  
 الآخر من الغرفة وهي ابتسمت له. أحضر لها التّادل مشروبات  
 أرسلها الرّجل ليتّقرب منها.

قالت آنوك وهي تشعل سيجارة: «تبدّين غريبة هذه اللّيلة».  
 لاحظت هيلين بقعة الحُمرة التي تركتها صديقتها على كأسها  
 وهي تبعدّها عن شفاهها والنّظافة الأصيلة للخزف الصّيني  
 (لم يكن لأيّ شيء أن يكون بتلك النّظافة في الميدان)، كما  
 لاحظت حفيف فستان امرأة مرّت بالقرب منهم.  
 «كنتُ جبانة».

نفخت آنوك دخانَ سيجارتها وامتنعت: «لقد نجحت بالعودة

بسلام إلى سايفون، وهذا هو الانتصار الوحيد المهم». نظرت خلف كتفها إلى الرجل وقالت: «أظن أنك تعجبينه».

«ربما عليّ أن أدعوه إلى هنا». أشارت هيلين بذقنها باتجاه الرجل. «دوّامة من الرّومانسيّة، سنتزوّج وسيأخذني إلى أمريكا لألتقي بأمّه، لم لا؟».

«أنت ثملة».

«المشكلة أنّي لا أستطيع أن أثمل، فسأحتاج إلى منوم للفيلة لإعادتي إلى حالتي الطّبيعيّة».

أنهت صديققتها شرابها وبدأت تحتسي شراباً جديداً: «لكن ربّما عليك الرّواج منه. فالحديث الذي يدور بين الجميع الآن هو عن زوجة دارو التي ستأتي إلى فيتنام».

وضعت هيلين كأسها بهدوء.

«أتت إليه في زيارة مفاجئة وانتظرتة في غرفة الفندق ويقال: إنّ شائعة وصلت إليها في أمريكا عن صحبته بمصوِّرة حرّة».

وُجِدت الرّوجة الخرافيّة في زمان ومكان بعيدين جدّاً عن الشّقة الملتوية، ممّا مكّن هيلين من تجاهل الموقف. حتّى دارو نفسه لم يعط زواجه إلّا القليل من المصداقيّة، فلم تستطع تصديق حقيقة وجود زوجة دارو المفاجئ في سايفون والتّصرف على هذا الأساس. لكنّ الرّوجة الآن هنا وتحاول إقحام نفسها في مكان لا تنتمي إليه. أصاب هيلين وسواس التّفكير في حياتها القديمة؛ فإن كانت قد التقت بدارو في أمريكا كان سيمنعها زواجه من رؤيته، لكنّ آلاف الأميال وطبيعة الحرب أغرتها وجعلت حياتها في وطنها غريبة ومبهمّة.

«يجب ألا تهتمّي، فهو يحبّك أنت وليس هي».

كانت فكرة كونها المرأة الأخرى سخيفة جداً. مقارنة بما رآته

لنؤمها. أليس يمكن دارو محققاً، ألم يكن الأمر ضئيلاً وغير مهم؟ أرادت أن تكون حياتها نظيفة وصحيحة وأن تمتلك أشياء خاصة بها. يجب أن يكون هذا أول شيء يغيره، مالت هيلين قليلاً إلى الأمام وجذعها على الطاولة: «ماذا عليّ أن أفعل؟ أعود إلى الوطن؟».

«لن تكون المرأة أهم شيء في حياة الرجل أبداً كما هو في حياتها. أنت تقاتلين من أجل أشياء تافهة. لماذا لا تقومين بعملك فقط؟».

لوّحت هيلين بيدها كما لو أنها تصرف عنها حشرة مزعجة. تابعت أنوك: «توقفي عن التصوير إذاً، فقد أثبت وجودك». «كلما ذهبك إلى ميدان القتال قلت معرفتي بالأسباب التي تجعلني أذهب. لكن تمرّ لحظات أشعر فيها أن سبب حياتي وهدفها هو القيام بهذا العمل».

«خذي إجازة قصيرة إذاً، رحلة إلى سنغافورة». أطفأت أنوك عقب سيجارتها: «بعض الناس يقضون حياتهم في تجنب الألم ويلهون أنفسهم». أحضر النادل طبقاً من الفواكه وابتسمت له أنوك ابتسامة مبالغا فيها حتى غادر.

ابتسمت هيلين إلى مغازلها، «ماذا عنك؟ أعرف أنك تلهين نفسك».

عدلت أنوك من جلستها وأصبح تصرفها كما لو أنها تعمل فهي متجربها وقالت: «بما أنك ذكرت ذلك الحديث، أتمنمين إن واهدك روبرت؟».

شمّرت هيلين بنزعة التملك لكتفها سرعان ما طردت هذا الشّعور بعيداً. بالطبع الحياة ستستمرّ ولم يكن ذنب أحد أنها خربت حياتها، «يجب أن يكون أحد ما سعيداً في سايغون».

«لا تكوني سخيفة. هذا مكانٌ صغيرٌ وعلينا الاستفادة من بعضنا. تظنّين أنه بريء لكّك مخطئة. إنه يفهم علاقتك مع دارو. إنه يشبهني في أنه يعرف أنّ هذه الحرب لا تعني شيئاً، ربّما سيفيدنا التّغيير كلينا، ربّما سيكون العيش في نيو أورليانز ممتعاً؟».

استلقت هيلين في الفراش في ذلك اليوم ولم تعرف النّوم. بعد أن ثملت مع صديقتها. أملت أن تغفو لكن كلّما أغلقت عينيها كانت تطاردها صورة صموئيل. ندمت على بعض الأشياء، وأصبحت الأفكار المجنونة لديها أقوى بسبب غياب المنطق. سواء في ما فعلته أو في ما فشلتُ في فعله. كان وصول زوجة دارو بمثابة إنذار بالتّغيير لكن إلى ماذا؟ غطّيت في نوم متقطع ثمّ حلمت من جديد بالأولاد يدورون حولها ويلمسونها، لكن عندما حاولت التّكلم معهم كانوا يبتعدون عنها.

أيقظتها بعد منتصف اللّيل خطواتٌ على الدّرج وصوت مفتاح في القفل، والآن أصبح التّغيير قريباً وتمنّت لو بقيت بعيدة فترة أطول.

استشعر دارو طريقه في الظّلام: «هل أنت مستيقظة؟».

«نعم».

أضاء المصباح الأحمر. «كنتُ آمل أن تكوني هنا». جلس على السّرير: «قدتُ سيّارتي عائداً مباشرة من (بيان هوا) ولم أهتم بحظر النّجول».

سكنتُ لدقيقة بين ذراعيه لتشعر أنّها آمنةٌ ومحميةٌ لأقل جزء من الوقت. كانت تفوح منه رائحة العرق والوسخ التي جعلتها تشمئز، لكنّها تحتضنه أكثر. كان جسمه قويّاً لكنّه لم يكن يختلف عن صموئيل في عدم حصانة اللحم البشريّ.

«زوجتك في سايفون في غرفتك بالفندق».

تركها من بين ذراعيه وقال: «ليس الآن».

«لم يكن ذلك خيارى».

«كيف عرفت؟».

«أتقصد إن كنت قد رأيته؟ لا».

سحب دارو نظارته وفرك أنفه وقال: «لقد هددتني بالمجيء».

تحركت هيلين مبتعدة ولقت الغطاء حولها: «لم تذكرني إليها،

أليس كذلك؟»، كان هو من أوصل الأمور إلى هذا الحد بعد

أن تسبب بمجيئها. كانت مشاعر هيلين واضحة بشكل مفاجئ.

«مررت بتجربتي الدينية الصغيرة هناك. ربما لم تخبرها عن

علاقتنا لسبب ما. أنا بحاجة لشيء يخصني وحدي. لست أنت

هذا الشيء ولم تكن يوماً. إن علاقتنا ليست سوى مجرد إلهاء».

«ما سبب هذا الكلام؟» غضب من سرعة قدرتها على التخلي

عن علاقتها.

«هذا رائع. تشعر بالغيرة الآن».

وقف دارو وسحب كرسيًا بقوة عبر الغرفة. أصدر الكرسي

صوت جلجلة كما لو أنه وقع على جانبه. «ألم تلحظي أن الحرب

مستعرة؟ ماذا يعني زواجي ومشاعرك في هذه الظروف؟».

«الشيء الرائع في حالتنا يا حبيبي أنه عندما تنتهي هذه

الحرب هناك دوماً حربٌ أخرى، وليس من الضروري أن تنتهي

الحرب لدينا أبداً. ماذا ستفعل دون الحرب كعذر لك؟».

«اطلبي مني أن أتركها».

«هذا شيء رومانسي، لكنه غير عملي».

ركل دارو الباب بقوة حتى ارتد وترك المقبض فجوة بحجم

قبضة اليد في ورق الجدار. «سأنهي هذا الزواج الآن إن كنت



هنا عندما أعود أو لم تكوني». كان ظهر هيلين مواجهًا له وهو واقفٌ في مدخل الباب يلتقط أنفاسه ويقول: «كوني هنا عندما أعود».

أصدرت سيارةً عسكريّةً صوتًا في الشارع وهي تمرّ بجانب دارو. كان هناك ثلاثة جنود من جيش جمهوريّة فيتنام الشماليّة جالسون في مقدّمتها واثان حشرا نفسيهما في الخلف. كانوا قد أنهوا لتّوهم غداء جيّدًا وشربوا الكثير من الجعة، وقد أصرّوا على توصيل دارو إلى فندقه لكيلا يضايقه الجنود الأقلّ تحرّرًا بسبب خروجه بعد وقت حظر التّجول. بدا أنّه إن لم يوافق فسيكونون هم أنفسهم من سيضايقونه. صعد إلى السيّارة معهم وعرض عليهم السّجائر. وبعد أن أرضى الجنود نسوا أمره وبدؤوا الكلام مع بعضهم.

كانت هيلين محمّّة بالطّبع. لم يكشف دارو عن نفسه أو لم تكن أساسيّات سيرته الدّاتيّة مهمّة. كان دوما يعطي نسخة محدّدة واعتباطيّة عن الحقيقة. ابتسم في الظّلام مدركًا أنّ ما عرضه كان كذبا. والد زوجته كان يمتلك مجلّة كبيرة عمل لديها في بداياته، وعرف أنّ ذلك هو سبب التّشكيك في نزاهته وقدرته، وما عناه ذلك في الواقع أنّه عمل بجدّ أكبر ليثبت نفسه ويثبت جدارته، وأنّ ما حمّقه كان بفضل تلك الجدارة على الرّغم من كلّ شيء.

لكنّ المنع وإخفاء المعلومات كان قد بدأ باكرا أكثر، فهو لم يخبر زوجته عن تغيير اسمه. شعر في ذلك الوقت أنّ هذا الأمر أصابه بغرور أحقّ يدعو للإحراج، وكان ذلك عارضا من عوارض أيّام المراهقة. الآن مضى الكثير من الوقت وفات أوان الإفصاح عن الحقيقة، فقد مضى على زواجهما ستّ سنوات لم

يقض منها أكثر من عدّة أسابيع متّصلة معها أو مع الصّبي. لا، إن إخفاء الأمر عن زوجته يتضمن شيئاً أعمق كان يريد هو إخفاءه. لقد وقعت الزوجة بحبّ سام دارو مصوّر الحرب الشهير، لكنّه ما زال ذاته السّاب المتزعزع المصمّم على خلق شخصيّته الأسطوريّة. عندما أخبرها لأوّل مرّة أنّه مفادراً إلى الشرق الأوسط بكت كثيراً وأرادته أن ينقل المقالات، وأن يقوم بتصوير السّياسيّين ونجوم الأفلام. لم تفهم أنّ للوجود الإنساني مستحقّاته التي كان يطالب بها.

جلس على أريكة مغطّاة بقطن مزركش في غرفة المعيشة. كان الرّواج خطأ فادحاً، وقد عرض عليها الطّلاق مباشرة وإبطال الرّواج من أجلها، لكنّها أصرّت على الانتظار إلى ما بعد ولادة الطّفل، وتلك كانت طريقتها في الإعلان عن حملها. أغضب والد زوجته أنّه اغتتم العرض الذي أتاه من مجلة (لايف) مباشرة، ولم يكن ممنونا أو معترفا بجميله عليه. رحل وتركها، إذا كان يسعدها أن تبقى متزوّجة لم ير سبباً أن يسبّب لها معاناة إضافية أكثر من التي سبّبها.

كان الهواء باردا ورطباً عند مرور سيّارة الجيب في الشّوارع الفارغة. وكان لا يزال متعباً من الحملة، لكنّه لم يكن في عجلة لكي يصل إلى وجهته، فما من مكان يرغب أن يكون فيه إلّا سايفون، وما من حياة أخرى يفضّلها.

كان بالكاد يعرف المرأة التي تنتظره في غرفة الفندق. فقد افترض أنّها كانت فتاة لطيفة ومحبة وتفكر أنّ زواجها منه خيبة أمل كبيرة. لام نفسه على الضّعف. كان هناك سببٌ آخر لزواجه، لكنّه لم يعترف به لهيلين، وهو خوفه من عدم العودة، وكان ذلك تأميناً أنّ هناك أحداً ما ينتظره. لكنّ حبّ هذه المرأة لم يشجّعها

لا على الأمان ولا على الحذر.

توقفت سيارّة الجيب أمام الأوتيل، ونزل دارو منها بعد أن أعطى السائق بقيّة علبة السجائر وتلقّى إيماءة سعادة ردّا على ذلك، ومضت السيّارة في طريقها.

شعر بعدم راحة مبهمة كما لو أنّها عضلة متشنّجة خوفاً من أن تتغير حالته، على الرّغم من أنّها ليست على ما يرام. سينحسه ذلك ويبعد عنه الحظّ الجيّد؟ كان حبّ هيلين صعباً، فقد سلب منه خفّته وجراته.

طلع ضوء الشّمس وانتشر على أوراق الشّجر المتوهّجة التي حرّكتها الرّياح خارج النّافذة. لم تتم هيلين محاولة أن تتصالح مع مستقبل ما سيجري، ولم تنزل حتّى وقت متأخر من الصّباح مستلقية في السّرير تشعر بثقل وهي نصف مستيقظة.

سمعت قفل الباب ووجدت دارو واقفاً في غرفة الثّوم. حدّقت في وجهه بعينيها نصف المغلقتين، وتخيّلت أنّها استدعته بأحلامها. فاجأتها الفكرة أنّه لن يحبّ أحداً كما أحبّها. كانت تعبيرات وجهه تشي بالتحدي وهو يخلع خاتم زواجه ويلقيه على الأرض. كلاهما سمعا صوت دورانه على الأرض في ذلك الصّمت.



(12)

## إغفاءة الأرض

مرّت شهوْرٌ.. وانتهت مهمّة روبرت، وكان ينتظر ترفيعه وإرساله إلى لوس أنجلوس ليعمل كرئيس دائرة... عندما دعا هيلين إلى غداء أخير جلسا على طاولة شرفة نادي (سيركل سبورتيف) حَجَلين كما لو كانا عاشقين صغيرين بعمر الشّباب لم ينتهيا بعد من عشق بعضهما. ادّعت هيلين أنّها تتشمّس وهي تميل برأسها وتغلق عينيها، ومع أنّها كانت تستمتع بصحبته دوما لكنها لم تكن ترغب أن تعرف شيئا عن علاقته مع آنوك التي امتدّت على طول الأشهر القليلة الماضية. كانت آنوك قد ألمحت لها أنّ تلك العلاقة لم تعد مرضية لها. وفي الخارج.. على بركة السّباحة كانت بنات العائلات الثريّة في فيتنام يتشمّسن وهنّ يرتدين البكيني الفرنسيّ ويطلبن المشروبات من النّادل الذين كانوا يخدمون هناك من زمن الفترة الاستعماريّة.

ارتدى روبرت قميصه الأبيض وسرواله الخاكي النّظيفين وجلس بوجهه الحليق النّاعم. ومع ذلك كانت هناك دوائر حول عينيه وخصلة شعر فوق جبينه لم تعرف الثّبات. كان فيه فسوقٌ وخلاعة بشكل غامض، كما لو أنّ المدارات والأجواء قد فعلت فعلها معه أخيرا. كان قد كبر قرنا في ذاك العام والنّصف الذي عرفته هيلين فيهما.

قال روبرت: «إذا حصلت ثورة، فيجب أن تبدأ من هنا، ألا تظنين ذلك؟ أتمنى أن يكون ذاك التادل هناك عميل جبهة تحرير فييتنام وقريبا من العم هوتشي».

قالت وهي تشير حفيظته وفضوله في آن واحد: «المراسلون أصبحوا يعدّون فييتنام أمرا ضروريًا في سيرهم الذاتية. كيف تستطيع أن تترك كل هذا؟».

«أخذتُ أكثر من كفايتي من هذا المكان، فعامان في سايفون هما بمنزلة عمر كامل». نظر إليها بابتسامة متصنّعة وسألها: «متى ستفادرين؟».

«قريبا». رفرفت يدها باتجاه حمام السباحة والمدينة التي يطلّ عليها، قبل أن تنفد منها القوة وتضعها مجدداً على حجرها. استمرّ دارو بتأجيل المغادرة للمرّة الثالثة والرابعة حيث كان موعد المغادرة لا يزال معلقاً: «ليت الأمور تستقر هنا بدلا من أن تزداد صعوبة، أزمة بعد أخرى».

انتابه شعور سيئ بسبب استفزازها، وقد تبين له أن علاقتها مع دارو هي من زاوية واحدة: «هل ستأتيان كلاكما إلى حفلة وداعي؟».

«وهل تقوتنا حفلة؟». في الحقيقة إذا كان دارو في مهمّة فسيدفن نفسه بين حشد من الناس أو في بيوت الناس أو في اجتماعات مرتجلة في شقّة (تشولون). لن يكونا وحيدين بعدها لمرة واحدة، لا شكّ أنّه نوى الارتجال ليحمي نفسه من إلحاحها. «لم تنجح علاقتي مع آنوك، الوضع هكذا أسهل، أتمنى ألاّ تغيري رأيك بشأن المجيء». وقف روبرت: «عليّ أن أعود إلى حجر الرّحى».

رجعت هيلين بظهرها إلى الخلف لتتهض: «ماذا حدث؟».

«إنها امرأة مجنونة وليست سوى حادثة أخرى من حوادث الحرب. لكن من غير اللباقة برجل محترم مثلي أن أنشر أخبارها.. ابقِ واستمتعي بقهوتك».

جلست وظللت عينيها لتتمكّن من النظر إليه: «هذا سيّئ لكنني افتقدتك.. لم تعطني أيّا من وقتك كأنني لست الآن إلا فتاة تقضي معها وقتك الضائع. بالإضافة للعمل الذي أبقى قريبة منه».

تساءل إن كان سبب انجذابه إليها هو جزئيًا سبب رفضها له، لكن إمكانية ذلك أصبحت الآن من الماضي، وفكر أنه على الأرجح محظوظ: «أنا أقلق عليك وقد أبقيت فمي مغلقًا لأنّ كلّ شيء بدا خارج قدرتي في الحصول عليه». قال روبرت: «الامر مختلف مع ديلرو والحرب مختلفة ورأيت هذا أيضًا في رجال آخرين. إنّه لا يستطيع التخلّي عنها. هو دائم البحث عمّا هو أكثر من الصورة عندما يخرج إلى الميدان، هل فهمت؟».

التقطت هيلين فنجان قهوتها وأبقته معلقًا في الهواء ووضعتة مجددًا على الطاولة دون أن تأخذ منه رشفة: «ماذا تعني بقولك هذا؟».

قال روبرت: «أن يخوض مخاطر ليس مضطرًا لخوضها لتظهر الصور التي يلتقطها على أحد الأغلفة».

«أنت مخطئ فقد أراد المغادرة إلى (إنفكور) منذ فترة».

«أتمنى أن أكون مخطئًا من أجلك فقط».

«على أية حال سنفادر المكان بعدك مباشرة وسيأتون بمن يحلّ مكانه».

«لكن أتظنّ أنّه سيبقى بعيدًا؟ رجل مثله تظنّين أنّه سيكتفي بالعيش في بيت مع زوجة وكلب ويخرج كيس القمامة في ليلة الإثنين؟».

هزّت هيلين رأسها: «يوجد هناك أشياء أخرى لفعلها، وهناك قصص ليس بالضرورة أن تكون قصصا عن الحرب، مثل قصة إنغكور مثلاً».

«هل هذا خياره؟».

«خيارنا. كلانا نريد ذلك».

تتهّد روبرت وقال: «لماذا توقّفت عن الخروج إذا؟».

امتعضت هيلين. منذ موت صموئيل لم تعد إلى الميدان، وصارت تختلق الأعذار لغاري الذي كان يقبلها على الفور. تمّ استغلال صورة صموئيل كثيرا ونسخها على العديد من المقالات. وكانت كلّ طائفة آتية محمّلة بالجنود من حقول (تان سون نهات) تشعرها بالذنب أكثر. «سأخذ عطلة ولا أسبّبُ ضررا لأحد».

«لا تدعيه يفرقك معه». انحنى وقبّل خدّها، لكنّها أدارت وجهها وقبّلتة، وهمست: «لا تقلق عليّ، أنا من سأُنقذه وأنقذ نفسي».

لكنّ الأيام مرّت في تتابع وتأجيل وتأخير وأعذار ومشاجرات وكذب. كما لو أنّ كلمات روبرت التي قالها بصوت عال قد تحقّقت من تلقاء نفسها. كان دارو مسحورا ومأخوذا، ولم يكن هناك ما تستطيع هيلين فعله.

في إحدى المهامّ ربّ غاري لهم أن يقوموا بتغطية إخبارية لمركز للصليب الأحمر للأطفال. ذهب دارو إلى هناك لمدة أسبوع بينما قامت هيلين بعمل ترتيبات عودتهم إلى الولايات المتحدة. وفي اليوم الذي أخذها فيه إلى هناك لاحظت فيه حماسا غريبا. كانت الحديقة القائمة أمام فيلا تم تحويلها لهذا الغرض مليئة بالأطفال المعاقين الذين يفتقدون طرفا من أطرافهم، ولكن ما زال بإمكانهم الجلوس أو الحبو أو العرج في المكان.



مرّوا في طريقهم حول الأولاد الجالسين فوق رمل الحديقة الأبيض الناعم. شاهدت هيلين صبيًا صغيرًا يقطف وردة حمراء ويضعها في فمه.

كان الأقلّ حظًا منهم مختبئين داخل المبنى، ومنهم من أصيب بشلل بسبب شظايا قذيفة هاون أو أصيب باحتراق من قنابل النابالم أو الفوسفور الأبيض التي أذابت اللحم والعضلات. «كنتُ أمشي بين الأجنحة عندما وقعت عيناى على (لان)، ستعرفينها عندما تلتقين بها. ما أفكر فيه هو التركيز على طفلة واحدة والبقاء معها طوال فترة إعادة التأهيل حتى نتمكن من جعل الناس يتعلّقون بقصّتها».

مشى دارو بسرعة وهو يسحب هيلين من ذراعها. دخلا إلى غرفة حارّة منخفضة السّقف ومظلمة كما لو أنّهما كانا داخل فرن، مزدحمة بالأسرّة وفي كلّ سرير طفلان أشبه بعلب السّردين.. الرّجلان بجانب الرّأس. كانت الأغشية تفوح برائحة البول والعرق. كانت هناك ممرّضة تعمل بعجلة للإشراف على ثلاثين طفلا، كانت إسكتلنديّة بوجه غائر وأرداف عريضة تعطي إيحاء بالأمومة. أمّا الأولاد الأكثر حظًا فكان لديهم عائلات تجلب لهم الطّعام وتقوم بتنظيفهم، وأمّا الآخرون فقد ضاعوا في إهمال جماعيّ. كانت (لان) مريضة مقطوعة الرّجل تمّ جلبها بالطائرة من منطقة قتال حرّ في داناغ.

قاد دارو هيلين إلى سرير صغير بجانب النّافذة المحطّمة. وجلس القرفصاء على رجليه وتحدّث بنعومة قائلاً: «كيف حال حبيبتي؟».

تحرّكت كومة من تحت غطاء السّريّر الرّماديّ القطنيّ وظهر وجهٌ رقيقٌ تتوسّطه عينان واسعتان وبشرةٌ لوزيّة صافيةٌ وشعرٌ

مربوط للخلف برياط رأس أبيض وتنزل من الأذنين الأشبه  
ببتلات الزهر حلقات ذهبية ناعمة.

«الن تتدقق علينا الثبرعات من أجل هذا الوجه؟» ابتسم  
كوالد فخور.

حاولت هيلين أن ترى الفتاة أمامها.. لكن على الرغم من كل  
روعتها كان دارو يرى شيئاً أكبر من الطفلة التي أمامه.

«افكر أن نبقي حتى نجمع ما يكفي من الثبرعات حتى  
تستطيع المجيء معنا إلى أمريكا ونقدم أوراقا بطلب الأطراف  
الاصطناعية وإعادة التأهيل وكل شيء».

جلست هيلين على الأرض الوسخة بين الأسرة الممتلئة  
وأخرجت كيساً من الحلوى «سيأخذ الأمر شهراً على الأقل أو  
اثنين أو ربّما أكثر».

«لكن يمكن للأمر أن يشكّل فرقا».

«لماذا لا ندفع نحن ثمن تذكرتها؟».

هزّ دارو رأسه وقال: «لا لا. ألا ترين؟ سنجمع ما يكفي  
لإرسال عشرات الأطفال».

«ستقوم بجعلها طفلة الإعلان عن الحملة؟ وتوَجِّل علاجها؟».

«ماذا يشكّل شهر آخر؟ أريد أن أحقق شيئاً ملموساً وهذه

هي فرصتي».

هزّت الفتاة نفسها لترتمي على صدر دارو وذراعاها

النحيلتان كما الأغصان هما كل ما يسند وزنها. عندما رأت

كيس الحلوى اندفعت متكة على ركبتَي دارو والتقطت الكيس

مما تسبّب بخدش يد هيلين.

«احذري!».

ضحك دارو و(لان) تمرّق السلوفان وتفتح كيس الحلوى

بطمع لتحشو الحلوى في فمها. تذمر الولد الذي كان يشاركها السرير، ومدّ يدا مرتجفة لينال نصيبه.

«إنها جامعة كمتشرد جوال». قال دارو.

فتح دارو كيس حلوى الكاراميل وأعطائها للولد.

«أتظنّ أنّه من الحكمة تمييز طفلة واحدة؟» سألته هيلين.

ابتسم: «أنا أعرف قوّة الصّورة». أمسك دارو بذقن (لان):

«ستقع إحدى الأمّهات من ولاية أيوا هي حبّ هذا الوجه وهي تطعم عائلتها الخبز والبيض للفطور. وسترسل عشرة أو عشرين دولارا».

نزلت هيلين على قدميها: «لنلتقط بعض الصّور».

بعد عدّة ساعات أنهوا عملهم في ذلك اليوم وحزموا

أغراضهم. اقتربت امرأة فيتناميّة حاملّة سلّة خيزران مليئة بالطّعام وتحدّثت مع (لان). ثم نظرت إلى هيلين باهتمام.

سألت هيلين: «هل هذه أمّها؟».

«لا. هذه ثاو أخت زوجة لين، دفعتُ لها بعض المال لتقوم

بالاهتمام بالطفلة».

خرجت الكلمات من فمها قبل أن تفكر: «ألا تظنّ أنّك متورّط

كثيرا في الأمر؟».

تحوّل دارو ليصبح صارما أكثر وقال: «هذه هي إحدى

مستلزمات العمل، أن نكون في موقع الحدث».

«لماذا نذهب إلى الولايات المتّحدة الآن إذا؟».

أصبحت هيلين كالآخرين، كزوجته. كان يقلق عليها عندما

كانت تخرج في مهمّات لكنّ وجودها بالقرب منه كان أسوأ.

والآن بدأت تحسّ بالغيرة. «نحتاج أن نستخدمها قليلا من أجل

الدّعاية وسيكون لدينا قصّة نعمل عليها في كاليفورنيا. ربّما

سينتهي الأمر بأن تساعد أطفالاً أكثر بكثير، لا يمكن أن تكوني ضدّ هذا الأمر، أليس كذلك؟».

كان قد وضعها في موضوع مقارنة مع طفلة يتيمة، فردّت قائلة: «بالطبع لا». كيف يمكن أن تظهر بصورة سيّئة في مقارنة كهذه؟ لكن إذا كانت مضطّرة للبقاء حتّى يتمّ نقل آخر طفل يتيّم، فالوضع يختلف.

عندما حمل دارو حقائبه ليغادر، أطلقت (لان) صرخة اعتراض. عاد ليجلس وتعلّقت هي ب صدره. وهزّها وهو يغني لها أغنية. لكنه حاول الابتعاد بعدها بوقت قصير وردّت بالتذمّر. قال دارو: «سأعود في الغد، اتّفقنا؟». تخلّت عنه الفتاة ببطء وقبّلتها قبلة صغيرة على خدّه.

انحنى هيلين لتعانق الفتاة واستنشقت عفن رائحة العرق والحليب الحامض. كانت الإلتهابات الخفيفة قد ملأت وجهها وعنقها من القذارة.

نظرت الفتاة بعمق إلى عيني هيلين وأخذت نفساً وبدأت تبكي ممّا أتى بالمرّضة بطيئة الحركة. قالت الممرضة: «إنها فتاة مزاجيّة». «ستعتاد على فكرة أنّنا سنعود. لنذهب».

تنفّست هيلين الصّعداء لخروجها إلى الحديقة حيث كانت الشّمس تملأ المكان بالضوء. جعلتها رائحة اللحم المشويّ فوق مجمرة بائع على الرّصيف تشعر بالدوار من شدّة الجوع. «دعنا نأكل».

لم تستطع هيلين وهي تتناول اللحم المشوي والمشروب البارد أن تمنع نفسها من التفكير في الحالة التي شاهدها، أو من تجاهلها، كما لو أنّها كانت ألماً في أسنانها. «هل هي يتيمة؟».

أكل دارو لقمة ثانية ثم مسح فمه. «يمكنك أن تعدّيها كذلك، فعائلتها في غاية الفقر، ولا تستطيع فعل ما سنفعله لأجلها، وبرأيهم هي مجرد فتاة».

«على الأرجح لديك الأولويّة والأقدميّة في الأمر، ونستطيع أن ننتهي منه في كاليفورنيا».

استدار دارو وأشار للنادل أن يحضر طبقا آخر: «أريد أن أتابع تطوّر حالتها بشكل كامل، وسنتابع مباشرة مهامّ أخرى في الوقت ذاته».

«كنت أظنّ...».

توقّف ونظر إليها. فهم خوفها، لكنّه فهم أيضا على العكس منها أنّها ستتغلب على هذا الخوف. مدّ يديه عبر الطاولة وأخذ يدها بينما كان الفيتناميّون على الطاولات المجاورة يضحكون ضحكات مكبوتة.

«الوقت في صالحنا».

نظرت هيلين عبر الشّارع إلى جدران المركز التي كان لها هيئة عاتمة وجامدة وقاسية.

عادت ثاو إلى المنزل متعبة من الفتاة المشاغبة التي كانت تهتمّ بها بعد أن تأكّدت أن المرأة الأمريكيّة سبب عدم استجابة لين لعاطفتها. كان واجبه أن يتزوّج منها، ولم يكن ذلك شيئا غير اعتياديّ خلال الحرب، بل كان زيجة ملائمة لمصلحة الجميع. بدا لها لين ضائعا، كانت تستطيع أن تكون زوجة جيّدة وتحافظ على ماله وتهتمّ به بينما هو يعتني بها هي وأولادها.

في تلك اللّيلة دعتّه إلى الغداء على حسابها من التّقود التي كسبتها من الاعتناء بالطّفلة (لان)، اشترت ثوبا وسروالا جديدين ووسائد جديدة للشّقة. لم تعرف تلك الرّفاهية من قبل.

أتت ثاو وماي من أسرة فقيرة وكانتا فتاتين قويتين متعافيتين،  
ماي امتلكت الجمال وثاو كان لديها الذكاء.

طلبت من جارتها أن تهتم بطفلها ذاك المساء. والطفل كان  
نائما. لم تكن ستنتظر لين أكثر، كما لم تكن لتتظر الأحلام التي  
رسمها لنفسه. في النهاية هو ليس إلا رجلا، وهي كانت تعرف  
كيف تتعامل مع الرجل.

عندما وصل لين كانت تفوح من الشقة رائحة طبخ زكية،  
وعلى غير العادة ساد الهدوء في المكان.

«أين الأولاد؟» كان السبب الرئيسي لزيارته هو المتعة التي  
كان يشعر بها من اللعب معهم.

«البنت عند الجيران والطفل نائم».

جلس لين. عندما خرجت ثاو أصابه ذهولٌ من تغيرها، فقد  
وضعت الزيوت على شعرها والمساحيق على وجهها، وارتدت ثوبا  
حريريا بلون وردي خجول.

قال: «تبدين جميلة». ما قصده كان أنها بدت تشبه زوجته  
المتوفاة ماي. ابتسمت وصبت له شراب البراندي الذي كانت قد  
اشتريته من أجل تلك المناسبة.

«ما كل هذا؟».

«لا شيء هو مجرد شكر على ما فعلته لأجلنا».

استمرت الأمسية التي كانت فيها ثاو مضيئة رائعة تمطره  
بكؤوس الكحول وتقدم له طبق (السلطعون) المفضل لديه مع  
حساء الهليون. كانت تكوم الطعام على طبقه وتسأله عن عمله  
أسئلة تظهر الذكاء والمداهنة. عندما انتهى الغداء جعلته يجلس  
على الوسائد الجديدة التي اشترتها للأريكة غريبة التصميم،  
والتي أتت مع الشقة.

«أنا متعبٌ، سكران». قال لها.

«دعني أدلك عنقك». قالت وأبعدته عنها لتخفض حدة الضوء، وتبدأ بتدليك عضلات رقبته. «الكثير من الضغط».

جلسا بعد ذلك إلى جانب بعضهما ليحتسبا الشاي. نظر لين في الظلام إليها وكاد قلبه يتوقف متصوراً ماي أمامه. مع أنه كان واعياً للأمر لكنه لم يستطع مقاومة ثاو وإغواها الذي استمر طوال تلك الأشهر. ضرب ذراعها ضربة خفيفة، لكن بعد ذلك بوقت قصير كانت أمامه وعندما شعر بالرغبة أصابه شعورٌ بأنه يدس ذكرى ماي. أي رجل ضعيف كان؟ ابتعد عنها وأخفى رأسه بين يديه ممثلاً بالقرف والارتباك. نهضت ثاو ورمت كوباً في الحوض بغضب وذهبت لتتفقد الطفل.

مرّت أسابيع وما زال وقت الرحيل يبتعد أكثر وأكثر كلما اقتربوا منه. كان دارو مأخوذاً مع تيار الحرب، وإذا سأله هيلين عن الرحيل يعطيها إجابات مقتضبة.

قبلت مهمة الذهاب معه ومع لين إلى الميدان بيأس. انضم إليهم أربعة مراسلين آخرين في مقاطعة كوانغ نغاي. كان دارو يفضل أن يعمل وحيداً في أغلب الأوقات لأنه يكره الجولات الجماعية، لكنه اضطرّ إلى قبول ذلك الوضع. كان ذلك بالنسبة لهيلين إثباتاً لكلام روبرت في معرفة رغبة دارو أن يغطي بصوره أي شيء دون تمييز. لم يدركوا أنّ تانر كان أحد المراسلين الأربعة حتى ركبوا طائرة الحمولة الأولى المُنْجَهة إلى دانانغ. وحالما لاحظ وجود دارو أتى إليه مبتسماً ابتسامة صغيرة بأسنانه المصفرة. ثم مدّ إليه يده الكبيرة وقال: «لننس ما حصل ذاك اليوم».

توقف دارو قليلاً ثم أمسك بيد الرجل الذي أمامه وقال: «أي يوم تقصد؟».

أوما تانر برأسه الطويل التحيل وقال: «معك حق يا رجل. يكفيننا سوء الحرب ولسنا بحاجة أن نقاتل بعضنا».

انقسم الصحافيون إلى فريقين. أغضب هيلين رؤية تانر ينضم إلى فريقهم، فوجوده سيتسبب بإزعاج دارو، وهذا سيجلب حظًا سيئًا. كان لديهم أوامر بمسح ثلاث قرى والعودة، ليلتقوا في القاعدة العسكرية إذا لم يواجهوا أية صعوبة.

عندما التقوا الضابط المسؤول الكابتن (مولينا) الذي كان رجلاً نحيلًا غامق البشرة خفيف الظل، أخبرهم بأن فريقه تعرّض لكمين في اليوم السابق، مع ذلك لم تكن هناك إصابات. ناقض التوتر الواضح هدوءه في نقل ما حصل في وحدته العسكرية. رأت هيلين وجوها مرعوبة حيث كانت عيون الجنود قاسية ومرتابّة وعصبية. كان الجو حارًا والجنود لا ينامون؛ يمشون في السرية وأيديهم على الرّناد. خلق وجود لين إثارة بين الجنود حيث كانوا يتذمّرون حيال ما يحدث وينظرون إليه نظرات طويلة قاسية. ذهب مولينا للحديث مع صفّ الضابط في سريته وعاد.

«لا يمكنه المجيء معنا». قال مشيرًا بإبهامه إلى لين.

مدّ دارو ذراعيه فوق رأسه ثمّ انحنى ليربط أربطة حذائه.

«هل لديك جلد حذاء داخليّ زائد يمكن أن تعطيني إيّاه؟

أظنّ أنّ لديّ بداية تقرح».

خلع مولينا خوذته ومسح وجهه وقال: «أكيد».

فكّ دارو رباط حذائه وبدأ يخلع حذاءه: «إنّ لين معتمد لدى

السلطات، وهو مساعدي منذ أربع سنوات ولا أستطيع تأدية عمل من دونه».

اقترب مولينا وقال: «الرجال متوتّرون قليلاً منذ البارحة وأنا

لا أستطيع أن أضمن سلامته بينهم».



«هل أستطيع أن أنقل كلامك هذا للمسؤولين؟ أنت ضابطهم المسؤول؟». خلع داو حذاءه وجوربه: «أضف إلى ذلك.. مَنْ منهم يتحدث الفيتنامية لاستجواب أولئك القرويين؟».

كان تانر واقفا يستمع. «استمع يا مولينا هؤلاء الرجال جيّدون». قال: «وسيجعلون رجالك يبدون كالأبطال». عاد الكابتن إلى رجاله ليتكلّم معهم.

انتظروا تحت ظلّ صخرة صوّان كبيرة يشربون مشروبات غازيّة دافئة اختلسها أحدهم. أوما دارو لتانر بينما كان لين يقف إلى جانبه. «هذا كثير. أليس كذلك؟» قال دارو وهو يدور بعينه: «هذا كثير، أيّ كابتن هذا الذي يعترف أنّه غير قادر على التّحكم برجاله؟». أتى مولينا بعد خمس عشرة دقيقة وقال بتردد إنهم قد وافقوا.

«لين هو أفضل كشّاف يمكن أن تأمل بالحصول عليه». تجهّم مولينا وقال: «سيكون أوّل من يقع إذا قادنا إلى كمين». بعد أن مشى مبتعدا شدّت هيلين ذراع دارو وقالت: «لديّ شعورٌ سيئٌ حول هذا الأمر، لنفادر المكان». «أنت خائفة؟».

تحرك الجنود في نسق واحد على طول الطّريق الضّيق الّذي يحتوي على قذيفة محطّمة حفرت طريقها في كثبان الرّمّل العالية. مشى تانر في الأمام وهو يغني «هاي هو هاي هو». إلى العمل، إلى العمل». ممّا جعل الجنود من حوله تحمحم. انتصف الصّباح وارتفعت درجة الحرارة إلى فوق المئة<sup>(\*)</sup>، وبدت السّماء منخفضة مظلمة وبيضاء كالمح. ارتدى الجنود سترات

(\*) يبدو أن المقصود مئة درجة فهرنهايت. (الفاحص)

واقية فتحوها فوق صدورهم العارية. ارتدوا أربطة رأس تحت  
خوذاتهم ليمنعوا العرق من الدّخول إلى عيونهم.

القرية الأولى كان فيها خمسون شخصا بالغاً حيث تجمّعت  
أكواخها عند قاعدة منحدر كلسيّ منقوش بجانب البحر. بدا  
سكّان القرية ودودين بما فيه الكفاية حيث كانوا مبتسمين  
يكملون التمثيلية كما لو أنّ الجنود لم يكونوا موجودين. لم ينتج  
شيءٌ عن التفتيش الكامل للمكان واستعدّ الجنود للتّحرك من  
هناك مجدداً.

دخل لين وهيلين إلى أحد الأكواخ تحت إصرار امرأة عجوز  
لوّحت لهما ليدخلا. كانت الغرفة صغيرة ومظلمة مملوءة من  
الأرض إلى السّقف بورق الأزهار في صفوف من الألوان: أحمر  
وأصفر وأبيض. تردّد لين وهو يمسح وجهه. «إنّها تعمل في  
تحضير أوراق الرّهور للاحتفالات ومذابح الكنائس».

تحدّثت العجوز بتمتعة منخفضة مع لين.

سألته هيلين: «ماذا تقول؟».

«تقول إنّها خائفة من أن يقوم الجنود بحرق القرية، فلديها  
عمل سنة كاملة في الدّاخل وكلّه في طريقه لأن يباع في دانانغ».

«أخبرها أنّنا على وشك الخروج».

سمعوا صوت صفير قذيفة هاون بين أشجار التّخيل بينما  
كانوا متجمّعين على طرف القرية يشربون الماء من قريّهم في  
حرارة الجو المشتعلة ويشعلون السّجائر. ارتمى الجميع على  
الأرض، لكن عندما عادوا ووقفوا كان هناك أربعة رجال قتلى  
على الطّرف الأيسر للشّجرة واثنان آخران يزحفان على الأرض.

عندما سمع لين وهيلين الضّربة ألقيا بنفسيهما خلف كثيب  
رمليّ بجانب بيت العجوز. وكلّ الخوف الذي ظنّت هيلين أنّها

قد تعافت منه عاد إليها عشرة أضعاف. كانت رجالها عديمتي  
الفائدة وتشعر بحرقه في حلقها. ركض دارو وكاميراته تضرب  
صدره من عجلته ووضع يده خلف رأسها وقال: «هل أنت بخير؟»  
أومات.

«اعتن بها يا لين».

عاد دارو ليختفي في سحب الدخان.

أمر الكابتن كولينا بسحب من تعرّضوا لإصابات إلى الطريق  
وأنصل بقوَّات جويّة لأخذهم. شاهدته هيلين وهو يحمل جهاز  
الاتصال ووجهه مبلّل ومشدود، ورأت الارتجاف في يده وهو  
يعيد جهاز الاتصال إلى الموظّف.

كانت الطائرات المروحية ستأتي من الغرب، لكي تجبر  
الفيتناميين على الهرب باتجاه المحيط، حيث تتلقاهم الفرق  
الأخرى وتحاصرهم من الشمال والجنوب. وكان الصبي  
(كوستيللو) قد أصيب بجروح في كلتا رجليه بينما اخترقت جلده  
ثقوب سوداء. فقام دارو وتانر بسحبه مع الجرحى الآخرين  
نحو الطريق العام. وعندما أخذت الصدمة وقتها الكافي ارتعد  
الصبي دون أن يصدر عنه أي صوت.

شعرت هيلين بالفثيان بسبب اشتداد الحرارة والدم  
والصّجيج، لكنّها تماكنت نفسّها، وركّزت على عدسة الكاميرا.  
وقف مولينا فوق الصّبيّ ووجهه منقّط باللّون الأحمر وشفتاه  
مشدودتان خلف أسنانه. في عدسة الكاميرا التقطت له صورة  
بدا فيها أنّه يمتلك نوعاً رهيباً من القوّة. صورته هيلين صورة  
أخرى ممسكا بجهاز الاتصال وهو جالسٌ القرفصاء بجانب  
الموظّف وإصبعه داخل أذنه بسبب صدور صوت قذيفة هاون  
أخرى، بينما كان وجهه حاسم الملامح متعلّقا من دون حماس

بطرف الحبل. لَوَّح مولينا بذراعه ثم أنزلها بقوة على فخذه كما لو أنه استطاع أن يتحكَّم بظهور المروحية غافلا عن الأدخنة المتصاعدة من السَّقْف المَقْشَّش الذي خلفه، وغافلا عن الصَّبِيّ الذي دخل في غيبوبة عند قدميه. لو كان قد لاحظ كوستيللو لكان على الأرجح سيطلق النار عليه.

أنزلت هيلين كاميرتها في حيرة عندما رأت أشكالا سوداء ترفرف في الهواء كأنها فراشات سوداء. أمّا كوستيللو فقد أصابه الجمود من منظر رجليه المصابتين، بينما تقوم هيلين بلفّ كيس بلاستيكي حول الجزء الأسفل من جسمه.

قال كوستيللو: «دعيني أرها».

قال المسعف: «إصابتك ليست بهذه الخطورة».

لكنّ كوستيللو لم يكن يسمعه.

قالت هيلين: «ستكون بخير». قالت الكلمات بشكل روتيني كأنها تُطمئن طفلا، لكنّها شعرت بالفضب من حساسيته المفرطة على الرّغم من وجود قتلى على بعد ياردات قليلة منه. كان هناك إحساسٌ بالتحرر وبالبرودة التي أحسّت بها وقلة قلقها على ما حدث للرجل. هي لم ترد أن تعرف اسمه أو رتبته أو صورته، أرادت فقط أن تنساه في اللحظة التي صعد فيها إلى المروحية. خلال عدّة دقائق حلّقت مروحيات مقاتلة فوقهم، ورشّت الطلقات والقنابل فوق القرية. خلقت نارا جهنميّة وريحا حارّة، حرارةٌ غبّدت حرارة الجو حتّى شعرت هيلين بأنّ كلّ نفس كانت تتنفسه كان يحرق رئتيها.

أشار لين، ولاحظت هيلين من جديد سرب أشكال سوداء مرفرفة بدت مثل طيور السنونو أو خفافيش ترتفع فوق كوخ المرأة العجوز: «أزهارها».

تذكّرت هيلين والدها عندما عاد من أداء الواجب في إيطاليا. أحضر لها علبة قصديرية حمراء من البسكويت حيث أخذت الغلاف الشّمعيّ الأحمر وأكلت قطع البسكويت وأشعلت شمعة تحت الغطاء الشّمعيّ، وابتسمت وهو يطير باتجاه السّماء كما لو أنّه روحٌ أو شبحٌ وهي تصرخ من الفرح.

مع أنّهم شاهدوا كوخ المرأة يحترق ويتحوّل إلى رماد لكنّ المرأة لم تكن على مرأى من أحد في أيّ مكان.

بدا أنّ المعركة شارفت على الانتهاء، لذا أصيب الجميع بصدمة عندما خرجت مجموعة رجال من نفق على طرف القرية، الحرارة النّاجمة عن الكوخ المحروق فوق المدخل كانت تشويهم داخل النفق وأجزاء من ملابسهم كشفت عن ظهورهم واللّهب يأكلها. ركضوا إلى الشّاطئ ليصلوا إلى الماء ويغطسوا في الرّطوبة ليوقفوا الاحتراق لكنّ ركضهم حرّك الجنود ونبّههم فأطلقوا عليهم النّار.

صرخ لين لكنّ دارو أمسك به وقال: «لا!» مشيراً إلى هيلين «ابقّي بينها وبين الجنود». أمسكت هي بكتف لين وشعرت بارتجاف عضلاته.

قال: «إنّهم من أهل القرية وليسوا من جبهة التّحرير». ركض دارو باتجاه صوت نار الأسلحة الأوتوماتيكية. كان هناك الكثير من الدّخان وأصوات مروحيّات تصمّ الأذان حيث كان من المستحيل استيعاب ما حصل بوضوح.

ذهبت المروحيّات بعد خمس عشرة دقيقة. كان الشّاطئ مليئاً بالأجساد المتناثرة على الرّمال حتّى بداية الأمواج. حلّ صمتٌ غريبٌ عدا عن صوت عويل نساء القرية اللّواتي رأين الشّاطئ. تحوّل مزاج الجنود إلى مزاج إجراميّ حيث عادوا مرّات عديدة

إلى الأجساد الميتة كأنهم خافوا أن تُبعث فيها الرّوح. أخذ تانر  
الصور وقام بتحريك الجثث برجله لتكون في موضع تصويري  
مناسب أكثر. «لا تظن أنهم سيهربون إلى أي مكان». قال لجندي  
حدّق إلى الأسفل مصوّبا حرية سلاحه باتجاه الجثة.  
تفصّنت جبهة دارو وانخفض رأسه عندما مشى باتجاه هيلين  
«هذا يكفي فالنساء يشاهدننا».

استدار تانر وضيق عينيه قليلا: «لا تشعر بالغيرة يا سام  
فأنت لست المصوّر الوحيد في فينتام».

حدّق الجنود إلى لين وهو يمشي على الشاطئ مع هيلين «لم  
لم يحذّرنا؟» سألوا مرّة بعد مرّة.

قال دارو: «لأنّه لم يكن يعرف، إنّه إلى جانبنا».

عندما حطّ الفريق الطّبيّ الأوّل انضمّ دارو إلى هيلين ولين  
«لنخرج ما لدينا، لقد حصلنا على ما يكفي».  
بقي تانر مع الفريق.

كان أهل القرية تحت الحراسة وهم يمشون إلى جانب  
الجنود، شعرت هيلين بعيونهم عليها. كانت النّساء ممسكات  
بأطفالهنّ بالقرب من أجسادهنّ لحمايتهم من الأسلحة.  
«لم لا يطلقون سراحهم؟».

«من أجل التّحقيق فلا يمكنهم أن يسألوا الموتى إن كانوا من  
جبهة تحرير فينتام».

قالت هيلين: «ربّما يجب علينا البقاء».

«الفريق خارج عن السيطرة. وهذا هو بالأحرى أسلوب تانر».  
شعرت بالخوف ولم تكن لديها طاقة أو قدرة على الجدل  
لكنّها ستندم لاحقا على المغادرة والاستسلام. أثبت لها التّغيير في  
نفسها قلة تفكيرها بمصير القرويين وقلة ارتياحها أثناء وجودها

مع جنودها. طاروا إلى المشفى الميداني ووضعوا كوستيللو فيه ليتلقى العناية حيث أعطوه هناك كمية كبيرة من المورفين مقًا جملة غافلا عن وداعهم له. كانت رحلة العودة إلى سايفون رحلة مظلمة.

في تلك الليلة وبينما كانت تحضر نفسها لتأخذ حمامًا لاحظت أن أطراف شعرها كانت خشنة فقزبتها من أنفها وشمت رائحة احتراق. وبعد أن بقيت تحت اندفاع المساء لفترة طويلة أحست ببرودته، وعندما خرجت من الحمام بملابسها الداخلية وحالة الصدر وشعرها يقطر ماء، جلست على غطاء السرير بجانب دارو. تمدد هو على السرير بعينيه المغلقتين. ثم قال: «أنت تقطرين ماء على غطاء السرير.»

«لا يهمني.»

فتح عينيه: «لنذهب ونرى لان في الغد.»

أخفضت هيلين رأسها. كيف لها أن تتمكن من الاعتراف بما شمعت به بعد الظهر حين عادت إلى البيت؟ كان الأمر لا يزال واضحًا كما لو أنهم قد غادروا الشاطئ للتو، لم تكن الصورة كافية. إنها لم تساعد أحدا. الجنود ماتوا والمدنيون عانوا، ولم تخفف أية عملية تصوير أو فتح مصراع الكاميرا وإغلاقه شيئًا من ذلك كله. كان الضوء يضرب على الطبقة الحساسة وكل ما كان يفعله هو التقاط الصور لمعاناتهم وبؤسهم. لم يكن هناك أي دفاع ضد الشر الذي تغفل في النفوس. كل ما تم على الشاطئ ذلك اليوم لم يكن إلا فشلاً. حتى أفضل صورة كانت ستسسى وستقلب الصفحة عليها.

همست هيلين معذرة للوسادة غير قادرة على ملاقة عينيه:

«لا أستطيع الاستمرار بفعل هذا.»

أحاط دارو بها بجسمه وعانقها: «هذا أوّل شيء يذهب، الإيمان. من الأفضل أن تتخلّي عنه».

كانت الوقائع القاسية صعبة بسبب تعرّضها للتّحوير والتّلاعب من قبل كل من يتناقلها طبقا لحاجاته أو لنزواته. فلم يكن للوقائع المدركة تأثيرٌ على الحقيقة وهي مدفونة في الجرائد أو التّقارير الحكوميّة. ومع ذلك كانت الشّائعة تنتقل كالنّار في الهشيم وتطير بسرعة الأحداث نفسها إن لم يكن أسرع، وتعيش في أذهان مستمعيها وتطاردهم.

لم يمض على وجودهم في سايفون إلّا ساعاتٌ قليلةٌ عندما بدؤوا بتناقل الإشاعات الأولى عن مولينا وفرقته.

كانت النّسخة الرّسميّة عن واحدة من أعضاء فرقة تحرير فيتنام الّتي تسلّلت خارجة من أحد الأنفاق وفتحت النّار على الجنود مستخدمة سلاح الكلاشنكوف، مع أنّه لم يتمّ العثور على أيّ سلاح أو طلقات، وبعد الهجوم الأوّل لم يقتل أو يجرح أيّ جنديّ أمريكيّ.

نسخةٌ أخرى من الحكاية هي أنّ امرأة من القرية شاهدت زوجها وهم يطلقون النّار عليه على الشّاطئ، فقامت بسحب مسدس فرنسيّ قديم يدويّ الصّنع. أكان لقتل نفسها أم لقتل الأمريكيّ؟ فارتعب الجنود وفتحوا النّار وقتلوا جميع الأطفال والنّسوة الهاربين. تمّ فحص المسدّس لاحقا ليكتشف أنّه صدّي وفارغٌ من الطلقات.

قصةٌ أخرى أكثر بؤسا هي أنّ مولينا لم يحتمل ضغط الإصابات وتحديّ النّساء فأمر الجنود بفتح النّار عليهنّ. مشى مولينا في اليوم التّالي في المقدّمة لإحدى جولاته وداس على أحد مقاتلي كليمور المقتولين، منهايا بذلك كلّ التّحقيقات.



أيّا كانت الحقيقة، تمكّن تانر من الوصول إلى الصفحة الرئيسية لعدّة جرائد قامت بتوثيق الحادث، وقد دعمت صورهِ الادّعاءات القائلة بأنّه تمّ إطلاق النّار على جبهة تحرير فيتنام وأنصارها في إحدى المعارك. رمى دارو الجريدة بعرض الغرفة. قالت هيلين: «لم يكن بإمكانك إيقاف الأمر».

«لا يهمّ. كان يجب أن أقوم بعملِي لا أن...».

«تهتمّ بي وتتنبه إليّ؟».

«كنت شارد الذّهن ويجب ألا أكون كذلك».

استمرّت المعركة وانتقلت بين المدن من (تاي نين) إلى (بونفسون) ثمّ إلى (آن ثاي).

في اللّيل، اقترب دارو من هيلين معانقا إيّاها في ظلام غرفة النّوم، حيث كانت الرّيح تهدد أوراق الشّجرة البرّاقة كصوت المحيط. «ما رأيك أن نوجّل الرّحيل إلى الشّهر القادم يا هيلين؟ وأن نذهب إلى المنطقة منزوعة السّلاح مرّة أخرى؟ فقد سمعت أنّ الأمور مستمرّة في (كوي نهون) و(آ شاو)».

لا شيء. لم تردّ عليه.

«ستكون كاليفورنيا موجودة بعد عدّة أشهر أليس كذلك؟ سنذهب بعد أن نغطّي عدّة أخبار أخرى».

فكّرت هيلين لاحقاً في السبب الذي جعلها تحافظ على صمتها. حبّهما لغرّ لم تتمكّن من فهمه، والطّريقة الوحيدة كانت هي أن يأتي معها دارو بمشيئته. وإلاّ فسيكون الأمر وكأنّها ترغمه على فعل ما لا يريد، ولن تستطيع احتمال ذلك، وبخاصّة أنّه أصبح واضحاً للجميع أنّها فقدت شهيتها للعمل بينما هو خلق ليقوم به. لذا ادّعى أنّه سيغادر وادّعت أنّها تصدّقه، وكلاهما عرفا أنّهما كانا يكذبان.

مرّت الأيام وفي كلّ يوم كان هناك ما يفري دارو بتتبعه، أمّا هيلين فقد أخذت على عاتقها الاهتمام بالمهمّات الإنسانيّة التي كانت تمتعّض منها سابقا. كان مدار الأشياء التي تبعثها يضيق أكثر فأكثر، والمكان الوحيد الذي شعرت فيه بكامل الرّاحة كان الشّقة الموجودة في تشولون.

حسم دارو الأمر بأن أقام حفلته في فندق رويال النهار. البار والمطعم كانا مهترئين منذ الفترة الاستعماريّة، وكان هذا الأمر مناسباً لموضوع الحفلة. مشى روبرت في ردهة الفندق المحاطة بأشجار النّخيل في لباسه الصّوفيّ الأبيض وخوذته النّاعمة التي كانت كخوذة قائد عسكريّ فرنسيّ.

امتلاً بهو الفندق بالنّاس حتّى اضطرّ بعضهم للوقوف على الدرج وعلى الرّصيف خارجا يشربون الشّمبانيا، بينما قامت فرقة بعزف موسيقى الفوكستروت والتّانغو في المراقص العلويّة. مدّ أحد صبية الشّارع يده الصّغيرة بسرعة كما لو كان منظار تلسكوب إلى أحد الأطباق الكبيرة وملأ فمه بكلّ ما استطاعت قبضته الإمساك به قبل أن يأخذه منه. استند أحد الجنود القدامى المقعدين على المبنى برجله اليمنى الوحيدة حيث اليسرى مفقودة، واحتسى كأساً من الشّمبانيا أعطاه إيّاها أحدهم.

في السّيارة القادمة إلى الحفلة كان دارو يدندن بعض التّغنيات. استعارت هيلين ثوبا طويلا بلون (الكريما) مزينا بشريطة سوداء كبيرة على الصّدر. قال دارو من دون اهتمام: «جميل». كان يرتدي بزّة وهو ممتعّض ويجلس على المقعد الخلفيّ للسيّارة بركبة ملاصقة لصدره وهو يبدو محطّما وتعيّسا.

مشوا صاعدين الدّرج حيث وقف روبرت في المدخل. «أنت أكثر الرّجال حظّا في فيتنام». صاح روبرت ورفع كأسه

«كن حذرا فقد أحاول سرقتها منك هذه الليلة».

ابتسم دارو ابتسامة مهذبة مشدودة وقال: «افعل ذلك وأنا

أتناول الشراب». ثم هرب مختفيا بين الحشد.

قال روبرت: «إنه مرّحٌ كالعادة».

«إنه متعب».

أتى عددٌ أكثر من الناس وازدحمت السيارات حول المبنى.

«كم عدد الناس الذين دعوتهم؟».

«خمسمئة شخص، ربّما أقلّ أو أكثر. قمت بدعوة كلّ من

التقيت به في البلد، لكنني لم أستطع التّعرف على نصف الوجوه

هنا، أظنّ أنّ الأمر خارجٌ عن السّيطرة، وهو أمرٌ مناسبٌ لحرب

مستقلة بذاتها وأحداثها».

كانت آنوك على حقّ فقد استهانت به: «أنت تغادر المكانَ

بكياسة».

«غادري معي».

ابتسمت هيلين ونظرت إلى الأسفل. فكّرت للحظة أنّه كان

يسخر منها لكنه كان يتفهم سوءَ حالتها. بالإضافة إلى ذلك لم

يكن في الأمر تسليّةٌ كما لو كانوا يطلقون النّار على أسماك في

برميل. «هل آنوك هنا؟».

«إنّها مع عشيقها الجديد، فليس لديها أيّ أحد يمكن أن

تحقد عليه خاصّة في هذه الحفلة».

«كلّا هي لا تحقد على أحد، وهذا جزءٌ من روعتها».

اقترب منها روبرت ووضع يده على صدره وقال: «يا له من

ثوب جميل ووجه حزين، تزوّجيني».

«أنت ثمل».

«هذا صحيح. أمثالي من الرّجال يشعرون بالجبن حين

يطلبون ما يريدونه، ولكن يكون الأوان قد فات على ذلك». «لقد فات الأوان الآن. أليس كذلك؟» عصّت شفّتها وقالت: «ستسقط ميتّا إن قبلتُ عرضك».

انفجر روبرت ضاحكا وشرب كأسه: «بالطبع سأسقط، وهذا هو الأمر المضحك فيك، أنّك تفكّرين كالرجال. لا.. فأنا بحاجة أن أتزوّج من امرأة لطيفة من النوع التقليديّ العائلي، امرأة تحبّتي وتبقى معي خارج منطقة الحرب».

قالت هيلين: «لستُ أنا من تبحث عنها». ابتسمت وقد لسعتها كلماته. «ماذا ستفعل في كل هذه الأجواء المفعمة بالسّلام؟». هزّ روبرت رأسه وقال: «يزداد حبّي كلّما ابتعدت عني». مشى دارو بينهما وهو يمسك بثلاث كؤوس من الشّمبانيا وقال: «من سيبتعد الآن؟».

قال روبرت: «أنا إذا حالقني الحظّ. كلّ ما يهمّني هو وقت المغادرة». غمز بعينه نحوها ووكز إصبعه على صدر دارو. «تعرف ما يقولونه: المراسلون الكبار لا يختفون بل يتحوّلون للعمل في المكاتب».

«لا تقل ذلك. لوس أنجلوس ممتعة».

شرب روبرت كأسه بجرعة واحدة: «هذا غير صحيح، إذا أردت أن تكون في موقع الحدث أو إن عدّدت العمل حرفة». جعلتْ لهفئته المفاجئة الثلاثة يصمتون. مع أنّه كان من الواضح أنّ دارو لم يفكّر به كثيرا، فإن روبرت كان يحترمه ويحبّه بالقدر نفسه.

امتعض دارو: «قل لا».

«يا عزيزي، هنا أنا وأنت نخلف، فأنا هنا منذ تسعة وعشرين شهرا وخمسة أيام في حفرة الجحيم هذه». الشّيء الوحيد الذي

كان روبرت متأكداً منه أنه من المخزي أن دارو كان يسحب هيلين معه.

«سنغادر قريباً». نظر دارو إلى قدميه.

رفع روبرت حاجبيه ونظر إليه وإلى هيلين. بدت هي متفاجئة بالقدر نفسه. «هذا عظيمٌ حقاً. لقد خسرت مئتي دولار.. لكن لا يهم».

قالت هيلين: «هل راهنت علينا؟ أم ضدنا؟».

«أنا مراسلٌ صحافيٌّ. لقد أخذت الاحتمالات بالحسبان».

تجوّلت هيلين في غرفة الطّعام ووجدت آنوك على طاولة أمريكيين من السّفارة. اعترض رجلٌ ضخّم بوجه سمين وشعر أسود مجعّد طريق آنوك عندما أبعدتها هيلين إلى البار لتتفرد بمشروب معها.

«أليس جميلاً؟» نظرت آنوك إلى الرّجل الذي لم يبعد عينيه عنها. «كأسان من الشّمبانيا».

«منذ متى وأنت تواعدينه؟».

«إنّه توّءم الرّوح».

«قلت ذلك المرّة الماضية. أليس من عدم اللّباقة إحضاره إلى حفلة روبرت؟».

كانت آنوك ترتدي ثوبا أحمر مطرّزا يتلألأ كلّما تحرّكت. ابتعدت عن البار وبدأت بالتمايل مع الموسيقى. «انظري حولك، خيرة الرّجال إمّا غادروا وإمّا ماتوا، ما الفرق؟».

«ماذا لو انتهى بك الأمر وحيدة؟».

«كنتُ متزوّجة وانتهى بي الأمر وحيدة. الجميع يغادرون، روبرت، سام، وحتى أنت والأمر يحزنني كثيراً».

«ابحثي عن شخص آخر إذا».

نظرت آنوك إليها نظرة تخمين قويّة، وجه سيّدة الأعمال كان وجهها الحقيقيّ «أنت تفكرين بالمستقبل كثيرا. الليلة ارقصي فقط».

ضحكت هيلين مشيرة إلى الطاولة وشفاتها مضمومتان على بعضهما في عبوس «أذهبي إلى عشيقك».

«إنّه يكره الرّقص ويفار إذا رقصت مع رجل آخر، ستكون ليلتي سيّئة».

قالت هيلين: «لنرقص أنا وأنت إذا».

«أنت مجنونة».

«أقنعتي الآن».

رقصت المرأتان على أرض المرقص مع تشجيع من الطاولات المجاورة. قادت هيلين الرّقصة وتغرّ كلاهما أضعافا من كثرة الضّحك، فكانتا بالكاد تقدران على الوقوف. واستطاعتا ببطء أن ترقصا رقصة الصّندوق بخطواتهما.

حلّقت هيلين مع الموسيقى وعقلها مشغولٌ بالمشهد السّخيف المسليّ الذي تضمّنها هي وصديقتها، واجتاحتها موجةٌ من الارتياح وعدم القلق. كانت سعيدة أنّها لم تشرب الكثير من الشّمبانيا وأنّ الفرح الذي شعرت به كان صافيا. بينما استدارت آنوك في دائرة بعيدة عنها بمظهرها البراق. فكّرت هيلين أنّها ربّما كانت على حقّ فقد كان هذا هو مكان الهروب الوحيد من الحرب.

كان توقّف الفرقة المفاجئ وغير المنتظم ووقوف الرّاقصين على أرضيّة المرقص أوّل إشارة أنّ شيئا ما كان قد حدث. هناك صرخاتٌ غاضبةٌ، سمعت هيلين صوت دارو. شقّت طريقا بين الحشد ورأت تانر، لكن لم تستطع تفسير كلامه. وقف دارو

مقابله بهدوء بينما كان روبرت واقفا بينهما محاولا إبعاد تانر. لكنه أفلت من قبضة روبرت وترنح إلى الأمام وقال أشياء لم تستطع فهمها أيضا.

تحرك دارو حركة واحدة إلى الأمام وضرب تانر على وجهه بقبضته اليمينية وأوقعه أرضا على ظهره. صدرت ضحكات غامضة من الحشد ورأت هيلين لطخة دم تحت أنف تانر وهو يهز رأسه. جلس مسترخيا على الأرض وهو يمسح أنفه بمنديل أعطاه إياه أحدهم. عندما تكلم كان صوته منخفضا جدا ومثزنا كما لو كان يتناقش في السياسة ويحتسي البراندي. «عليك اللعنة يا دارو... أنت ميت، في الصور أو في غيرها». «مشكلتي هي أنت».

وقف تانر وهو يترنح. اقترب منه بعض الرجال ليمسكوا به لكنه أبعدهم عنه: «لقد انتهيت أنا هنا». مسح فمه الملطخ بالدم ونظر إلى يده. «إنها مقاطعة (كوانغ نغاي). وإن عليّ أن أتناول مع بعض جنود المارينز المجانين. من كانوا في التفق كانوا من جبهة تحرير فيتنام. ماذا لو قتلوا أحد رجالنا؟». ائسدا دارو على الحائط وفرك يديه «لقد قتلوا النساء والأطفال».

«لسنا شرطة الفضيلة هنا. خاصة أنت، أليس كذلك؟ طالما أن لديك زوجة وولدا في أمريكا وصديقة هنا، كل شيء بخير أليس كذلك؟».

اندفع دارو. واحتاج الأمر لروبرت وثلاثة رجال آخرين لسحبه إلى الخارج. ومع أن دارو وهيلين كانا متلازمين بشكل علني لأكثر من سنة لكن تلك الكلمات كان لها وقع جديد، فقد شعرت بالتطورات من بعض الرجال والتحديث من بعض الزوجات والصاحبات.

قال روبرت: «انسى أمر تانر، إنه شخصٌ وضعٍ وقد انتشى من مجرّد أنك أخذته يوما ما على محمل الجدّ».

قال دارو: «أنا أسف لم يكن عليّ المجيء إلى هنا».

قال روبرت: «عد إلى هنا، لا يزال الوقت مبكرا».

«ليس مبكرا بالنسبة لي».

بحث هيلين عن صديقتها لتودّعها، ورأت ومضات حمراء تهترّ في نهاية البار، وعندما اقتربت منها رأتها تبكي.

قالت هيلين: «ما الخطب؟».

امتعضت آنوك وقالت: «كلّ شيء يتداعى».

«ماذا تقصدين؟».

«كلّ شيء. الحرب تشارف على النهاية».

«أين.... رجلك؟».

هزّت رأسها بانزعاج «إنه لا شيء، ظننت أنه توءم الرّوح، الحرب فقط هي توءم الرّوح».

عاد دارو وهيلين بالسّيارة في صمت. علّقت هيلين ثوبها المستعار على الصّوء الأحمر. ذهبوا إلى السّيرير واستلقيا جنبا إلى جنب دون لمس أو كلام ثمّ استدارا مبتعدين عن بعضهما وغطّا في النّوم.

في منتصف اللّيل، استيقظت هيلين على صوت الرّعد وصوت المطر على السّطح. وكعادتها سارعت ووضعت بعض الأواني تحت أماكن رشح المياه المعتادة في السّقف. عادت إلى السّيرير وأصغت إلى طقطقة قطرات الماء على المعدن ثمّ على الماء. نهض دارو وقف عند النّافذة ليدخّن.

قالت: «لا أظنّ أنّه يهتمك إمكانيّة غرقنا في الوحل أثناء نومنا».



«ذاك الملعون. هل هو محقّ؟».

حدّقت إلى بقعة الماء التي على السّقف وقالت: «من تعني؟».

«الحقير.. تانر».

«ماذا تقصد؟».

«ما يفضّمني أنّي أرى نفسي فيه».

عدّلت هيلين من جلستها بعد أن طوت ركبتيها تحت ذقنها.

«أنت لا تشبهه على الإطلاق». أتى دارو إلى السّريّر وجلس. «لقد

مضى على وجودي هنا زمنٌ طويلٌ. سمعت عن شيء حدث في

(كان ثو) أو (بليكو)، وعليّ أن أكون أوّل الموجودين هناك».

«هذا عملك».

«لقد قمّت بسحبك معي طوال هذا الوقت. لم أقصد أن

أفعل ذلك». أحاط بذراعها وأخذ يريّت على بشرة معصمها.

قالت: «ليس عليك المغادرة من أجلي».

هرّ دارو راسه «لنذهب في رحلتنا إلى كمبوديا. أريد أن أرى

آلهة الماء والغيوم. لدي أحلامٌ هناك».

أدركت وهو مستلق بين ذراعيها أنّ ما قاله لم تكن كلماته،

بل كان كلمات أرادت هي سماعها، لكنّها لم تكن بالضرورة هي

الحقيقة. لقد خلق لنفسه مجموعة من القطع المختلفة لن تتمكّن

من تجميعها أو فهمها أبداً.

«أنا متأهب للدّهاب معك».

لقد حلمت بتلك الكلمات طويلاً لدرجة أنّها بالكاد

استوعبتها، لكنّها حاولت إقناع نفسها أنّ الحصار الطّويل قد

انتهى. وفي النّهاية فإنه يحبّها، والآن أصبح بإمكانهما العودة

إلى الوطن.

عندما غادر في ذلك الصّباح الباكر كانت لا تزال نائمة.

كانت تلك هي الطريقة التي تمضي بها الأمور في فييتنام خلال الحرب، فقد أحسّ دارو بالقوّة في بعض الأحيان، وأحسّ أنّه بإمكانه ركوب الحظ كما لو كان بساطا طائرا أو كما لو كان مروحية، أحسّ أنّه استطاع أن يثني ظروفه ليقوم بفعل ما يريد هو. وفي أوقات أخرى كانت الظروف تدكّره بأنّه مجرد لعبة يمكن تحريكها بهذه الطريقة أو تلك أو يمكن إبعادها أو تدميرها لمجرد نزوة.

تمّ اتخاذ القرار الصّعب وشعر دارو أنّه أكثر خفّة، وهو شعور لم يتنبّه منذ سنين. وازنت هيلين حياتها معه وكان هو على استعداد للتخلي عن كلّ شيء وأن يتبعها ويتبع حياتها للخروج من ذلك المكان. وكما كان مخطّطا فقد انضمّ إلى طاقم مروحية عسكرية، يمضي دارو الصّباح طائرا فوق مقاطعة (تاي ننه) على طول حدود كمبوديا وهو يصوّر عمليّة تبادل للسّوق السوداء على الحدود. كان الصّباح جيّدا والمروحية جيدة. شعر بالارتياح في حالته تلك. حلّق الطّيار بخطّ متعرجّ كاد يلمس فيه قمم الأشجار، ما كان يسمى «إغفاء الأرض». تمكّنت قوّات معادية من سماع صوت الطّائرة، لكن لم يكن لديهم الوقت لإطلاق النار في كثافة ظلال تلك الأدغال.

كان الكابتن أندرسون في منتصف العشرينيات من عمره وهو شابّ أشبه بالجرو الصّغير يتحلّى بابتسامة دائمة غير قادر على إخفاء متعته في الطّيران. أومض ضوء الشّمس على شعره الأشقر الحليق. ابتسم دارو وخطرت له فكرةٌ حكيمة، أنّه كان كبيرا في السنّ بما فيه الكفاية لأن يكون لديه ولدٌ في عمر أندرسون. كيف مضى كلّ ذلك الوقت؟

بعد القيام بمسح هوائي تلقّى أندرسون الأوامر بأن يهبط

في قاعدة عسكريّة في (باروت بيك). كانت المنطقة منعزلة، وتُعدّ تلك البلدة وكرا للصّوص مليئة بمواقع لجبهة تحرير فيتنام وجيش فيتنام الشمالي. وكانت القاعدة العسكريّة قد تعرضت لهجوم في اللّيلة الماضيّة، وأضحت جثث العدوّ معلقة على السلك المحيط وانتفخت في حرارة الشّمس كما لو كانت كؤوس انتصارات.

جلس دارو والطّيّار على الأرض وظهورهم مستندة على أكياس الرّمّل، وأكلوا طعام الجيش المعلّب متجاهلين الرّائحة النتنة الآتية من الأسلاك.

«أنا خجلٌ من قول ذلك.. لكنك كنتَ من التّقط الصور لأبي عندما كان يخدم في كوريا».

«أتمزح؟»

«أقسم على ذلك وقد عرفت اسمك على الفور».

«هذا مذهلٌ. إذا هو عاد إلى الوطن وأنجبك».

«وخمسة آخرين. انتظرٌ حتّى أخبره أنّك هنا».

«سيكون ذلك جيّداً، جيّداً جدّاً».

سأله إندرسون «إلى أين أنت متّجة بعد هذا؟».

«سأعود إلى الوطن». شعر بغرابة الكلمات في فمه كأنّه غير متّصل مع ذاته. بعد كلّ هذه السّنّوات. أين كان الوطن؟ شعر أنّه في وطنه هناك مع هذا الشّاب الذي كان من الممكن أن يكون ابنه لكنّه لم يكن. أطلق الشّاب نفساً «الوطن. أنت محظوظ».

«لا بدّ أنّ والدك فخورٌ جدّاً بك. هل تشّتاق للوطن؟» سأله

دارو.

في ضوء الشّمس البرّاق فكّر في وجه الكابتن الشّاب واستحالة براءته وخلوّه من أيّ خطوط. أكان هو نفسه شاباً

في يوم من الأيام؟ شعر بالاختناق فسحب سيجارة وعرض عليه واحدة. أخذها إندرسون لكّته حوّل نظره وأدرك دارو أنّه افتقد تلك النظرة وافتقد رؤية القوّة في فكّيه، وأنّ ذلك الكابتن لم يكن سوى صبي يستمتع بالطيران.

«أحيانا افتقد الوطن وأحيانا لا. أتفهم ذلك؟».

قهقهه دارو «لقد مررت بذلك الشعور أيّها الشاب».

قام إندرسون إثر تعرضه لذلك الإحساس وأوماً برأسه. «أعني أنني في وضع ملائم. أخيرا أنا قادرٌ على فعل هذا الأمر.. لكن لم يعد للأمر معنى ولا أعرف إن كنت واثقا ممّا أفعله».

«أنا كذلك».

«لماذا تذهب إذا؟».

امتعض دارو: «بسبب امرأة، لم أستطع منع نفسي».

ضحك إندرسون بصوت عال «أتمزح؟ حسنا أتمنى لك حظًا موفّقًا، أنت رجلٌ أكثر شجاعة مني». أخذ سحبة طويلة من سيجارته «عليّ أن أكون واحدا من أفضل الطيارين، لذا يقومون بإرسالني في المهام الصّعبة وأعمال الأبطال كلّها؛ لذلك ففرصتي في الموت في إحدى المهام هي أفضل من كوني فاشلا. أليس ذلك أمرا غير منطقيّ في غاية التّعقيد؟».

«ليس عليك أن تكون أفضل طيّار».

ضحك إندرسون وقال: «أنت مخطئ، عليّ أن أكون أفضل طيّار وهم يعرفون ذلك ولا أستطيع أن أكون إلّا هكذا». مدّ جذعه بخلاعة وقال: «الطيران هو الشّيء الوحيد الذي أجده طوال حياتي».

في اليوم التّالي كان إندرسون ودارو في طريقهما إلى قاعدة السّلاح في (كونتوم).

مرّ الصّباح هادئاً وأمضى دارو ساعاته بمزاج حالم يهدده القرب من الأشجار وسرعة مرورها تحت قدميه أثناء طيرانهما . عدا عن صوت المحرّكات الذي يصمّ الأذان . كانت نظرتة للعالم كله كأحلام الشّباب بالطّيران ، قبل ظهور أحلام أخرى واستيلائها على كلّ شيء ، وهي أحلام الحرب .

كان سيأخذ هيلين إلى إنفكور ويريهما تعابير الوجوه المليئة بالهدوء الممزوج بالوحشية . هي الوحيدة التي كانت ستتمكّن من فهم أنّ تاريخ ذلك المكان يثير شهوة عظيمة للعنف ، وعدم اكتراث به . ألم يكن ذلك ما آل إليه حالهما؟ هو وهيلين كانا مترجمين للعنف وناقلين له .. كان ذلك نوعا ملتويا من التذوق . كانا سيجلسان على الصّخور الدّافئة في المساء ، وكان سيهمس لها بمخاوفه العظيمة .

مخاوفه كانت تكمن في أنّ الصّورة تخون صاحبها في النّهاية ، تحزن وتفضب لكثّها في النّهاية تقتل . الصّورة الأولى أو الخامسة أو حتّى الخامسة والعشرون كان لها قوّة .. لكن في النّهاية فإن التكرار جعل الرّعب سائغا . في السّنوات القليلة الماضية مهما بذل من جهد لم تكن صورته بالقوّة ذاتها قبل أن يدرك تلك الحقيقة . لقد كان كالمدمن الذي يضطرّ إلى زيادة الجرعة لكي يحصل على النّشوة ذاتها ، ووجد نفسه يخاطر أكثر ويعمل أكثر مقابل عائد أقلّ . لن يشعر مرّة أخرى بذلك الشّعور ذاته الذي أحسّ به عندما شاهد صورة ذاك الجندي المتوقّى في الحرب العالميّة الثّانية . أكان لعمله التأثير نفسه على من كانوا يشاهدونه؟ أكان فقدان التأثير المستمرّ هو السبب في أنّ العنف أصبح بلا معنى؟ شجاره السّخيف مع تانر عندما كان تانر في الحقيقة يمثل النتيجة المنطقيّة لمهنتهم . ربّما كانوا يستحقّون أن يتّهموا بجرائم الحرب أيضا .

كان قلقلنا كلما زادت سرعة الأشجار تحت قدميه، لكن هيلين لن تصدق أنه أحبها إن لم يغادر معها.. لكنه كان سيثبت الأمر بمئات آلاف الطرق.

كانوا يطيرون فوق وادي (بليي تراب) عندما ربت إندرسون، الذي تخيل دارو أنه ابنه هو وهيلين، على كتفه وهو يصرخ ليعلو صوته فوق صوت المحركات وابتسامته الصبيانية سخيفة ومريحة «هل أنت بخير؟».

«أنا بخير لكن الحرارة تؤثر علي».

«لديّ اثنان من الجرحى بحاجة إلى إخلاء طبي عاجل ونحن الوحيدون القادرون على جلبهم. هل تمانع في ذلك؟» سأله بحماس كما لو أنه كان يستعير مفاتيح سيارة والده.

«لنذهب». ضحك دارو ورفع إبهامه مشجعاً. دخل في منطقة عميقة ثم دون قصد دخل أكثر عمقا. ألم يكن كل رجل في الحرب يؤمن بأنه سينجو، سيعيش وسيعود للوطن ممثلاً بالحكايات؟ لم يكن دارو مختلفاً عن الآخرين، فالحقيقة الخافية هي أنه كيف تمكن كل منهم من البقاء حياً حتى الآن.

نزلوا في دائرة معركة بعد عدة دقائق، وشعر بألم مألوف في المعدة وبأن فمه يجف. ثم كان هناك تحطم رهيب، كأن الطائرة قد تعرضت للصاعقة أو ضربت بيد ضخمة عوضاً عن صاروخ. تحول الولد إلى محارب ووجهه أصبح متجهماً كما لو أنه ارتدى قناعاً، بينما طاروا بشكل حلزوني باتجاه الأرض. أشار صوت مصم للأذان أن ذيل الطائرة لم يعد موجوداً. اقترب خضار الأشجار منهم بان دفاع يثير الغثيان، ورأى دارو وميض ضوء بين الأغصان. رأى المحارب البتي الناعم الذي كان يقيم العبادات في بلده وقد اتسعت حدقاته. رفع دارو رأسه الذي كان بثقل الجاذبية

الآن ونظر إلى إندرسون مرّة أخيرة. «يا ولدي». استأذنه ونظر إلى الخارج حيث رأى اندفاعا من اللون الأخضر ووجه هيلين. كانت الأغصان كالأذرع الممتدة. حسب المرّات التي نجا فيها من قبل وسمع صوت صفير وفراغ الهواء بينما أصبح زجاج مقصورة الطّيران برّاقا كشمس جديدة. رأى مفاصل أصابع بيضاء وضوء الشّمس وعينيها، والضوء الأخضر الممتد. رأى كلّ ظلال اللون الأخضر الموجودة في العالم.





(13)  
كا داو  
الأغاني

الاسم: صموئيل أندريه دارو  
الرتبة/ الفرع:  
الوحدة:

تاريخ الميلاد: 7 مايو 1925

بلد التسجيل: مدينة نيويورك، ولاية نيويورك

تاريخ الوفاة: 14 نوفمبر 1967

بلد الوفاة: فيتنام الجنوبية

بيانات الوفاة: (14127N 1074920E ZAO45798)

الحالة: مفقود في المعركة

الفصيلة: 1

الطائرة/ وسيلة النقل/ الأرض: طائرة استطلاع

أشخاص آخرون كانوا في الحادث: الكابتن جون إندرسون.

ظلت مهمة العثور على الجثث مرفوضة لعدة أشهر بسبب

تحركات العدو التي كانت تُعدّ في غاية الخطورة. لكنّ المسح

كشف مؤخراً أنّ العدو انسحب من المنطقة. أزيل ستار غير

مرئي ومع أنّه لم يتغيّر شيءٌ للعين المجردة، فالهضاب حافظت

على خضارها والطرق امتدّت واعدة بالبراءة، والأرض عادت

إلى كونها محايدة بشكل رسمي.

ذهب كل من لين وهيلين مع عناصر من القوّات الخاصّة الأمريكيّة واثنين من الجوّالين من فيتتام الجنوبيّة ممّن كانوا على اطلاع بتلك البقعة من شبكة طرقات (هوتشي منه)، ذهبوا في مركبات ناقلة للحمولة وصلتهم مصادفة مع مرتزقة قبائل الجبل الذين قادهم ضبّاط من القوّات الخاصّة.

بعد أن مشوا طوال الصّباح ذهبت القوّة الأساسيّة لتدمّر مجمعات تحضينات العدو، بينما مشت وحدتهم بطرق فرعيّة مسافة خمسة كيلومترات إلى موقع الحادث. تمّ تصنيف دارو والطّيار على أنّهما مفقودان أثناء المعركة؛ لأنّه لم يتمّ العثور على الجثث. أثار غضب هيلين إعطاء الحقيقة عناوين خاطئة. كانت تتسلّق الجبال بروح صافية، ولم تكن تريد إحضار كاميرتها لكنّ لين أصرّ على إحضار حدّ أدنى من المعدّات.

من هضبة مجاورة، ركّزت هيلين منظارها ورأت بقعة سواد في موقع الحادث، حيث كانت الخضرة المجاورة محترقة حتّى تحوّلت إلى رماد بعد تلك النّار. «ها هي». قالت وهي تشعر بحماقة الحماس في صوتها.

شاهدها لين بعينين نصف مغلقتين من ضوء الشّمس البرّاق. ومن دون أيّة كلمة تبع أحد المشاة إلى واد منحدر. كان غاضبا من إلحاحها على المجيء وعدم وجود فائدة من تعريض نفسها للخطر. بقيت هيلين بالقرب من الرّجل الذي تمّ تعيينه كمراقب لها وهو الرّقيب جيمس. كان جيمس رجلا طويلا بشعر مائل للحمرة ووجه فاتح البشرة. وكلّما توقّفوا ليأخذوا استراحة كان يخرج قضيبا من الرّنك ويمرّره على وجهه ورقبته حتّى يبيضّ وجهه «لقد احترق وجهي وتقشّر عدّة مرّات ولم يبق عندي إلّا طبقة واحدة من الجلد».

أسرعت هيلين في خطواتها بالرَّغم من سَخف الأمر، ومشت أمام جيمس، ومرّت أمام لين في هيجانها وعجلتها ممّا جعل الوقت يبدو وكأنه عامل مهمّ يمكن أن يغيّر شيئاً أساسياً في الموضوع.

كان موقع الحادث قريباً من قَمّة الهضبة، وكان منظر الجبال الخضراء يمتدّ إلى لاوس وما بعدها. مال الضوء بعد الظّهر في السّماء وجعل لكلّ شيء ظلّاً ذهبياً مائلاً للون الأخضر. وكانت رائحة العشب ملطّخة برائحة الفحم. هبّت الرّيح، وحفيف أوراق الأشجار يصدر صوتاً خفيفاً كأجراس أشبه بالخيزران في مقبرة.

تذكّرت كيف أيقظها دارو فجرا ذات مرّة وشاهدها الشّمس تشرق على سلاسل جبال كوردिला. كانت الجبال بعيدة جداً لا يمكن الوصول إليها، لكن الآن كانت الجبال في داخلها، ومع ذلك بدت بعيدة وغير معروفة.

سألت: «هل ذهبت إلى هناك من قبل؟».

«غير وارد، إنّهُ مكانٌ مليء بالأخطار وقطّاع الطّرق. لكن العودة ليست سيئة فبعد موت الصّحّيّة لا يهتمّ العدو بالنظر في المكان من جديد».

انضمّ الرّقيب جيمس إلى الجنود الآخرين المحيطين بهيكل المروحيّة المحترق الذي بدا كأنّه نجا من عاصفة حوادث وظل راقداً هناك لعشرات السّنين. جلس الرّجال القرفصاء إلى جانب الأكوام السّوداء الموجودة على الأرض وفتحوا كيساً لوضع الجثث مستخدمين قفّازات سوداء ومجرفات.

شعرت هيلين بألم كبير في رأسها ينذر بنوبة صداع نصفي. ثم وقفت هناك دون هدف. بالطّبع لم يكن هناك شيء يخصّها

لكنّها لم تكن قادرة على الابتعاد. كان كيائها مفكّكا، وكان عذر الذهاب هو راحتها الوحيدة. لم يكن مناسبا أن تعيش معاناة الموت دون مراسم أو دون إحياء الذكرى لما كان يربطهما ببعضهما. سقطت قطرة دم حمراء على قميصها ثمّ بدأ الدّم بالسّيلان من أنفها.

كان لين إلى جانبها وبسرعة سحب منديلا وسندها إلى ظلّ إحدى الأشجار.  
سألته: «ماذا حدث؟».

«ارتفاع في درجة حرارة الطقس».  
جلست ورأسها مائلٌ إلى الخلف وطعم الدّم المعدنيّ يسيلخ غشاء حلقها.  
«لا تغضب منّي».

كان لين ينظّف إحدى العدسات بقطعة قماش. «بسبب نزيف أنفك؟ جميعنا نفتقده».  
«لماذا تنظر إليّ هكذا إذا».

«مضى على وجودك هنا وقت كاف لكّنك ما زلت تتصرّفين كطفلة». تذكر لين تصنّع دارو ردّة فعل على موت سامانغ بلدغة من أفعى في إنغكور. لمّ لم يستطع أحد منهم قبول حكم القدر؟ لماذا اضطروا إلى المجيء والمشي طويلا إلى مكان الحادث. بالطبع لا بدّ له أن يسأل نفسه السّؤال ذاته. والجواب هو أنّه خاف عليها أكثر من خوفه على نفسه. آمن بالانفصال أكثر وأكثر لأنّه كان الحلّ الوحيد للخسارة الدّائمة.

«فقط كن صديقي».

«أنا صديقك دائما».

في وقت لاحق مشّت جيئة وذهابا على طول حد مكان

الحادث باحثة عن بقايا منتشرة على مسافات لا بأس بها من الحطام. وجدت بين أراض منخفضة من العشب الضخم قصاصات صغيرة من أفلام بمقاس 35 ميلتر، كانت الطبقة الحساسة محروقة حتى بدا شكلها حليبيًا وغير واضح. استعاد لين قطعة من رباط الرقبة المطرز الذي كان دارو يستخدمه للكاميرا (لايكا) المفضلة لديه، وجده تحت إحدى الصخور. مع أنه كان يحب أن يحتفظ به لكنه أعطاه لهيلين التي حملته بين أصابعها بحذر وكأنه محروق لتوه.

جاء الرقيب جيمس إليها وأعطاهها قرية ماء وقال: «يا آنسة؟».

تمت: «عفوا، إنها الحرارة».

«علينا أن نغادر».

أومات هيلين وأصابعها كانت لا تزال تبحث في الأرض المتفحمة عن قصاصات أفلام: «مستعدة للمغادرة».

أخذ منها قرية الماء وقاد السيّارة عائداً. «آسف على خسارتك لقد ماتا ميتة الأبطال وهما يحاولان إنقاذ اثنين من رجالنا».

«لا أعلم».

جعد أنفه كما لو أنه اشتّم رائحة كريهة «ماذا قلت؟».

«العديد من الأبطال في حياتي وجميعهم رحلوا».

كانت أصابعها ملطخة باللون الأسود وهي تضع ثلاث قطع صغيرة من الفيلم في جيبها.

عندما مسحت العرق عن جبهتها تركت لطخة سوداء عليها. انتهى وقت الحزن المُسرف وجفت عيناها وهذأت، لقد تغيّر شيء ما، مهما كانت الصّلة التي شعرت بها تجاه الأرض أو تجاه الجنود فقد انكسرت.

أتى لين إليها وأشار إلى جبهتها.

اهتمّ بها خلال أيام فترة النّقاهاة في شقّة تشولون. قرّر لين أنّ الإجلال الوحيد الذي يستطيع أن يقدّمه لذكرى دارو هو أن يرسل هيلين إلى وطنها بأمان. وافقت على الذهاب حالما يتمّ إحضار الجثة. عندما تلقّوا خبر تحطّم الطائرة أصرّ غاري على أن يذهب لين معه إلى الشقّة، وحالما فتحت هيلين الباب ونظرت إلى وجه لين عرفت على الفور. أسوأ ما في الأمر أنّه لم يكن مفاجئاً وكان سهل القبول. أدخلت لين إلى الدّاخل وأغلقت الباب في وجه غاري. لكن حتّى مصيريّة الموت لم تساعد في تقليل حزنها. كان صوت بكائها يمزّق جراحه ويضعه في عذاب إن بقي، وعذاب إن غادر.

خلال تلك الأيام الطّويلة سألته عن حياته، وكشف عن أجزاء منها للمرّة الأولى. لقد اكتسبت ثقته. أخبرها عن والده الذي كان وطنياً وكيف أنّه أراد ببساطة استقلال بلاده، وأنه اتبع هوتشي عندما اعتنق الوعد الأوّل للشيوعيّة، وهذا ما جعل لين ينضمّ إلى جيش فييتام السّماليّ إيماناً منه بأبيه، لكنّه سرعان ما أدرك أنّه وعدٌ كاذبٌ. كانت العائلة مستعدّة لأن تفقد كلّ شيء وتهرب. لكنهم وجدوا أنّ الجنوب فاسدٌ أيضاً ومليءٌ بالدم المسفوح بأيدي الأعداء.

فكّ هيلين منديلها وبلّته بماء من القرية ومسحت حاجبيها ثمّ مرّرت القماشة المبلولة على وجهها كلّها لتغطّيه. كانوا يعذبون الرّجال بخنقهم بهذه الطّريقة.

«حان وقت المغادرة» نزع القماشة عن وجهها.

وقف الرّقيب جيمس مرتاحاً مع بقيّة الجنود بمواجهة الوادي الذي وصلوا إليه، كانت قدماء مفتوحتين وذراعاها متشابكتين

خلف ظهره كما لو كان حارسا . كان هناك كيسان صغيران مخصّصان للجثث عند أقدام الجنود . استطاعوا سماع صوت المتفجّرات التي تحت الأرض بعيدا على الطّريق الأجوف كما لو كانت نبضات قلب . وانتشرت نفحات من الدّخان الرّقيق الأبيض في الهواء فوق قمم الهضاب .

من المفروض أن يقوم سكّان الجبال بحمل البقايا وإبعادها لكنّهم لم يظهروا . قال جيمس إنهم على الأرجح يقومون بتفجير الغرف المحصّنة التي تحت الأرض ، لذا قرّر الجنود أن يحملوا الحقائب بأنفسهم وألا يخاطروا بكشف أنفسهم ليلا .

مشى الجنود في صفّ واحد خطوة خطوة على الطّريق الموحد ، كانت الأرض ليّنة وحمراء تحت خطا أحذيتهم العسكرية ، كان كلّ منهم يحمل أطراف أعمدة خشبية ، تمايلت الحقائب وأصدرت أصوات صرير بسبب عدم تساوي خطا الجنود وانزلاقاتهم الصّغيرة . تبعهم لين وهيلين إلى عمق الوادي المكسوّ بالأعشاب الطّويلة ، حيث أعماهم ضوء الشّمس ثمّ غاصوا في ظلام الظّل وهم يتابعون خطاهم في ذلك المنحدر الجبليّ .

كانت الشّجيرات الشوكيّة تملأ الدّرب حيث شقّت إحداها سرّوال هيلين ومرة أخرى وهي تحدّق إلى الوادي طعننها شوكة كبيرة في ذراعها . ظهرت على ذراعها قطرات دم على طول الجرح لكنّها تجاهلتها حتّى أتى إليها لين ومسحها بقوة بقطعة قماش وعيناه تلمعان .

« عليك أن تراقبي خطواتك وتكوني أكثر حذرا » .

عندما عادوا إلى منطقة الهبوط كانت الشّمس قد غربت ، وكانت مروحيّة مؤن في طريقها إليهم . تاقت هيلين للعودة إلى المدينة وإلى شقّتها التي لم تنتقل منها ونصف أغراضها فيها

ونصفها في صناديق جاهزة للانتقال. انتظرت وظهرها متكى على الحقيبتين الموضوعتين بجانب الأرض مقطوعة الشجر مكان الحادث.

بينما كانوا ينتظرون أربعة مشاة من حملة الاستكشاف الطويلة جاؤوا إليهم من بين الشجيرات. سلّموا بأكفهم على الكتيبة التي كانت تقوم بالحفر طوال الليل ثم أومؤوا إلى الحقائق ثم جلسوا القرفصاء تحت شجرة وبدؤوا بسلق الأرز واللحم المجفف. كان أولئك الرجال من النوع الذي يفضل (ماك كراي)؛ لأنهم كانوا يعملون متخفين بعد أن يتكيفوا مع اللغة والحياة في البلاد.

ذهب لين وانضم إليهم مرهقا، جلست هيلين على صندوق أطعمة معلّبة. تفاجأت عندما أعطى أحد الرجال لين كأسا بلاستيكيًا، وتفاجأت أكثر عندما قبله منه وجلس ليشرب معهم. خمنت من اهتزاز رأس لين والضحكات العالية للجنود أنهم يشربون الويسكي غير الشرعي الخاص بالقبيلة التي تسكن الهضبة، وهو كحول مخمر مصنوع من الأرز في غاية الخطورة حيث يمكن أن يكون قاتلا.

أتت الطائفة وابتعد الجميع ليحموا وجوههم. شارك المخيم كله في إنزال المؤن. قفز اثنان من الكشافة مهتاجين من أثر الخمر وأمسك كل واحد منهما بطرف إحدى حقائب الجثث وقذفوها من الأرض إلى المروحية بقوة وعنف. صرخت هيلين: «حاذروا!».

حدّق الرجال فيها بنظرات فارغة «لن يشعروا بشيء بعد الآن». قال أحدهم وضحك الآخر بعواء.

حدّقت هيلين إليهما وإلى لين الجالس هناك كما لو أنه واحد منهم وقالت: «سأتذكّر ذلك عندما أحمل حقيبتك».



حرّك الجنديّ يده كما لو أنّه لمس شيئاً ساخناً «هسسسس!!».  
شاهدت هيلين عملية تحميل الحقيبة الثانية بحذر ولطف.  
تهادى لين إليها وقال: «لم نخرج لنستمع، لقد خرجنا معهم في  
جولة استكشافيّة». وأوماً برأسه باتجاه أعضاء الكشّافة الذين  
يتناولون غداءهم.

«أنت ثمل». اشتملت نظرات هيلين على مجموعة الرّجال  
الذين كانوا غافلين عن وجودهم. «هل يعلمون بذلك؟».  
«لقد تمّ التّرتيب للأمر مسبقاً».  
«من قبل مَنْ؟».

هرّ رأسه وقال: «من قبلي أنا».  
فركت حذاءها بالوحل ذهاباً وإياباً بشكل قوس طويل متعب  
وقالت: «أنا متعبّة.. اذهب أنت. أنا سأعود على متن هذه  
الطّائرة».

أمسك لين بذراعها: «تعالى هذه المرّة أكراما لي ومن دون  
أسئلة».

تردّدت. فبعد موت دارو شعرت بالغربة مع لين، فذكرى  
وجودهم سوياً هم الثلاثة جعلت الغياب أكثر ألماً، «ليس لديّ ما  
يكفي من الأفلام».

«لديك ما يكفي لإنجاز العمل».  
«وما العمل؟».

نظر لين إلى وجهها كأنّه يبحث عن شيء: «قلت إنّك تريد  
تصوير طريق (هوتشي منه)، أما زلت تريد أن تفعل ذلك؟».  
بعد مضي ثلاثة أيّام، لم تعد هيلين تفكّر بالشقّة أو بسايغون.  
حتّى دارو تحوّل من ألم خارجيّ موجع إلى ألم داخليّ أشبه  
بالورم لا يستمد الإحساس إلّا بمعاناة مستقبلية. فاجأتها رسوخ

الأدغال مرّة أخرى بشهوانيّتها الاستثنائية، فتنتها بشهوانيّتها الفائضة. تدفّق الوقت في المسافات الخضراء الطويلة وأراحتها حقيقة أنّ الأرض ستصمد أكثر من الحرب وأكثر من الرّمن نفسه.

سافروا دون توقّف نحو الغرب لثلاثة أيّام وعبروا الحدود بشكل غير قانونيّ ثمّ تابعوا طريقهم. تحرّكوا تحركات استثنائية، وكان حزنها استثنائيا أيضا. وبشكل تدريجيّ كما حدث كلّ مرّة غرقت هيلين في تفاصيل الجولة الاستكشافية، الحرارة العالية، بقعة الأرض، الجنود، لدرجة أنّ الأشياء الأخرى اختفت من الوجود. أثار إعجابها الاستمتاع الذي أنجزوا به عملهم بطريقة لم تكن موجودة لدى وحدات أخرى. عاشوا في عمق الأرض وتحركوا فيها كالأشباح دون قواعد لنصب الخيام ودون إيصال مؤن إليهم. فهموا أنّه لن يكون هناك رحمة إذا تمّ القبض عليهم. دبّروا أمورهم بموارد قليلة أيّا كان ما حملوه على ظهورهم أو أخذوه من الأرض.

اختبرت هيلين ما تآقت له وهو الانزلاق تحت السّطح في عمق البريّة، حيث فقدت إحساسها بنفسها وانفصلت عن محيطها. بعد خمسة أيّام اختفت كلّ أفكار الحرب ولم يبقَ إلّا الحركة والأرض التي مرّوا بها وأمان الرّجال وأمانها. فقدت تعبها وفقدت شهيتّها. ببساطة أكلت ونامت بقدر ما يكفيها لتقوى على متابعة المشي. كانت فكرة التقاط الصّور صغيرة وبعيدة عن الهدف. تجاهلها رجال الكشّافة في معظم الوقت إلّا عندما ردّوا على تعليقها حول حقبة الجئة. بعد أسبوع أتى ذلك الجندي إليها وقال على سبيل المجاملة: «تكادين تكوينين غير مرئيّة».

تلّقوا في اليوم العاشر رسالة على اللاسلكي بأن قافلة من جيش فييتام الشماليّ ستمرّ بموقعهم خلال ساعات. جهّزوا مواقع بين الشجيرات توقّر لهم رؤية واضحة حيث يمكنهم رؤية الطريق الترابيّ الذي يتقاطع مع نهر سريع المجرى. سترهم صوت الماء عن أيّ صوت مفاجئ.

أخذ كلّ من هيلين ولين يقطعان أغصان الأشجار لوضع نصب ثلاثيّ بين الشجيرات ثمّ أخفيا الكاميرا والعدسات المقرّبة بين أوراق الشجر. كما أوصل لين حزمة أسلاك لمصراع الكاميرا. «عندما يأتون لا تتحرّكي ولا تصوّري. لا بدّ أن نكون محظوظين. إذا ارتجفت يداك لا مشكلة».

أصفت وفعلت ما طلبه لين دون أيّ سؤال كأنّها تقوم بطقس لاستحضار روح، واستحضار عدوّ بقي غير مرئيّ معظم الوقت ومن العالم الآخر. كان أمرا صعب التّصديق أنّ تلك القوّة يمكن أن تتشكّل من أفراد، وتساءلت إن كان الأمر متشابها بالنسبة لفيتناميّ الشمال. هل خافوا من سحر الأمريكيّان؟ من قنابلهم ومن طائراتهم؟ آلاتهم التي لا تنتهي. كلّ مرّة كانوا يمرّون بآثار أقدام لأحذية مطاطيّة حديثة العهد، فكانوا يحدّقون فيهم برعب وغشيان. كان ذلك هو الدليل الواضح الملموس على وجود العدو بعيدا عن الأجساد الميّتة، لكن لغرابة الأمر كانت الجثث أقلّ ولم تتساو مع الرعب والخوف من آثار الأقدام، كان الأمر مشابها لصعوبة تخيل رؤية جثة طير على الأرض من فوق متن طائرة.

مرّت ساعاتٌ كان لها ثقل أيّام. سمعت هيلين على بعد عشرة أقدام إرسال الرّاديو مرّة أخرى، بينما مشى أعضاء الكشافة على الخطّ جيئة وذهابا ثمّ أغلقوا الراديو.

مرّت ساعاتٌ أكثر بحدّ أدنى من الحركة. كان اليوم قاتماً وأكثر برودة وتشكّلت طبقةٌ رقيقةٌ من الصّباب على قمم الجبال مع ظهور أوّل جنديّ من جنود العدوّ على الطّريق دون جلبة. كانوا بالكاد أكبر بقليل من سنّ الصّبا مرتدين لباسهم الكاكي المهترئ وفي غاية النّحول، لدرجة أنّ سراويلهم المرفوعة كشفت عن العظام الكبيرة لركبهم.

كانت أحزمة الكلاشنكوف ملتقّة حول صدورهم، وبدت كبيرة جدّاً عليهم كأنّهم أولاد يلعبون بأسلحة آبائهم. كانت وجوههم في غاية الجديّة لكنّهم تحرّكوا بطاقة مراهقين واثقين من خطاهم. عندما وصل أوّل الجنود إلى النّهر، وقفوا ونظروا إليه من أوّله إلى آخره.

حرص أعضاء الكشّافة على تمركزهم في مواقعهم، ضغطت هيلين على حزمة الأسلاك الموصولة بالكاميرا مرارا وتكرارا متمنّية أنّه بمجرد رؤية الأرقام ستتمكّن من التقاط صورة مفيدة، كانت طقّة الكاميرا غير مسموعة إزاء الصوت العالي للمياه الجارية.

خاض أوّل الجنود في منتصف الطّريق إلى النّهر بحذائه المطاطيّ حيث وصلت المياه المتدفّقة إلى مستوى الخصر ممّا اضطرّهم إلى رفع أسلحتهم للأعلى. وخلف نقطة الحراسة أتى الجنود بحمولات ثقيلة مربوطة على درّاجات بأعواد خيزران كبيرة موضوعة على مقود الدّراجة، بينما يوجد جندي على المقعد من أجل إدارة الدفّة.

قال أحدهم لأحد الجنود شيئاً ما عن الجدول فنظر الشاب إلى النّهر من جديد وهز كتفيه.

ارتعدت الدّراجات في النّهر، وكان تدفق المياه يهرّ الحقائق الكتانيّة، ممّا أجبر قائدي الدّراجات على العبور بسرعة كما

لو أنهم يهرولون لأنّ قوّة الثّيار ستهكهم مع ثقل الحقائق الّتي زادها الماء ثقلاً ممّا جعل عملهم أكثر صعوبة. مرّت أكثر من خمسين درّاجة خلال ساعة.

أتت بعد ذلك عربةٌ بسيطةٌ متوازنةٌ على أربع عجلات مطاطيّة كبيرة. قاد العربة اثنان من الجنود واحدٌ من الأمام وآخر من الخلف. عندما وصلوا إلى نصف الطّريق في النّهر علقت إحدى العجلات بشيء في النّهر من الخلف ممّا جعلها تغوص في الماء أكثر وتميل العربة إلى الأطراف حتى جنحت بزاوية خمس وأربعين درجة باتجاه الصّفة. حاول اثنان من الجنود تعديلها وإسنادها لكنّ المركبة لم تتزحزح.

وقف الجنود الأقرب إلى الأميركيّان على جانب الصّفة ووضعوا درّاجاتهم وخلعوا حقائبهم وغاصوا في الماء ليحرّروا العربة من مكانها. احتاج الأمر إلى ثمانية رجال ليتمكّنوا من تحريكها وعندما وصلوا إلى الصّفة الأخرى كانت الصّفة المنحدرة زلقة جدّاً ولم يكن بالإمكان جرّ العجلات. تمّ إعطاء أمر بقبض القضيّبان لعمل سلّم صعود.

أخذ خمسة جنود -بينهم صبيّ صغير- فؤوساً صغيرة هلاليّة الشّكل وبدؤوا بتمشيط المنطقة المحيطة. تحرّك أربعة منهم ضدّ الثّيار بعيداً عن الأميركيّان، لكنّ الصبيّ الصغير تحرّك مع الثّيار باتجاههم مباشرة.

حبست هيلين أنفاسها وحركت رأسها في الوقت نفسه لكي ترى أقرب عنصر من عناصر الكشّافة يسحب دبّوس القبلة اليدويّة عندما أصبح الجنديّ الصبيّ بقربهم، لكنّه لم يكن يبحث عن قضيّب بل بدا سعيداً لتوقّف التّقدم، ونظر إلى السماء وإلى الجدول، ومدّ يده في جيبه ثم سحب منها شيئاً أبيض وضعه

في فمه بسرعة وبدأ يمضغه. أدركت هيلين أنها علكة والمفاجأة جعلتها تبتسم. تم إعطاء أمر من أحد الجنود الذين يمسكون العربية في الجدول، وغير الصبي اتجاهه مباشرة باتجاه هيلين ولين عندما رأى إغراء الأغصان المقطوعة التي تسهل المرور. مدّ يده وأمسك أحد القضبان التي تسند الكاميرا وسند يده اليمنى على الفأس الصغيرة. عندما ابتعد الفأس في يده وجد نفسه ينظر إلى عيني لين. كبرت عينا الصبي وهو يكتم صرخة في صدره عندما لمحت عيناه حركة يدي هيلين على الأسلاك واتسعت عيناه أكثر.

نظرت هيلين إليه وعرفت أنها على الأرجح نهاية الجميع، لكن شيئاً ما في وجهه وملامحه جعلها غير خائفة. رفعت يدها برفق ومزّرت سبّابتها برفق على عنقها لا لتهذّده لكن لتقل إليه إحساسها بالحالة التي وجدوا أنفسهم فيها، تنفس الجندي الصبي دون أي صوت وخطا إلى الخلف ثم عاد بنظره إلى لين الذي رفع يده ليفطّي وجهه موجّها راحة يده للأسفل ليمرّ يده ببطء على قسمات وجهه لتصل أطراف أصابعه في النهاية إلى ذقنه، كانت حركة ليمسح كلّ ما شوهد، استدار الجندي الصبي بسرعة استجابة لصوت الأوامر الجديدة من الرّجال الجنود في الجدول ثمّ نظر من جديد إلى الثّهر وأغلق عينيه قليلاً بسبب قوّة ضوء الشّمس الذي انعكس من الثّهر ووقف دون حراك لدقيقة ثمّ تحرّك مبتعداً بعد أن نفخ فقاعة كبيرة من علكته السّكرية.

تمّ قطع العصي ووضعها تحت العربية التي حملت إلى الضّفة الموحلة. عبّر آخر الجنود النّهر ومن ضمنهم الصبي، ثمّ خلت الأرض إلا من آثار أقدام لتثبت أنّ كلّ ما حدث لم يكن حلماً.

عندما عادوا إلى سايفون لم يتوقفوا لأخذ حمام أو ليغيّروا ملابسهم، لكن ذهبوا مباشرة إلى غرفة المجلة المظلمة وطرّدوا منها كلّ المساعدين.

سمع غاري عن وصول الصور، فغادر شقّته قبل موعد حظر التجوّل ليمضي ليلته في المكتب. «أنت تمزحين أليس كذلك؟ كيف فعلتها؟». كان يمسك بقبّة كاميرته حول رقبتة طوال الوقت كأنّها كانت تضغط عليه. أدركت هيلين لصدمتها أنّ شعره ابيضّ خلال الشهر السابق.

قالت: «هل أنت بخير؟».

«أنا أمنعك أن تخاطري مخاطرات كهذه أو على الأقلّ أخبريني قبلها».

نظرت هيلين إليه ببرود. شكّت لزمن طويل أنّ غاري كان يهتمّ بها أكثر ممّا كان يدّعي، مع ذلك كانت تلك من طبيعة العمل. هم جميعاً أرادوا أن يرضوه لأنّه خلق نزعة التّنافس والمخاطرة بينهم بكلّ رقيّ، وكان ذلك هو السبب في ظهور تلك الصّور. «قمنا بذلك في وقتنا الخاصّ».

«احسبي نفسك مطرودة إن قمت بذلك مرّة أخرى، وسأعين خمسة موظّفين أفضل منك في اليوم الثّالي».

كانت قد تجاوزت المرحلة التي اضطّرتّ فيها أن تصفي إلى طلباته، فبالطّبع ستخاطر من جديد على أيّة حال، وإذا احتاج الأمر فإنّها بكلّ ببساطة ستبيع صورها لمجلة أخرى. لم تعد الصّورة هي المهمّة في الأمر.

قال: «لا تجعليني أغان خسارة مصوّر آخر». هذا كان عقابها. «ستكون جميع الصّور تحت عنوان عريض الخطّ، اتفقنا؟ لا تُدخل أحداً إلى الغرفة السريّة حتّى تنتهي، لا أحد سيرى الأفلام».

«دعيني أرها أنا فقط، اتفقنا؟ على الأقل أول الصور».  
 «سنرى». كانت قلقة على نوعيّة الكشف من الضوء المنخفض  
 ونقص تعديل الفتحة.

«أنت أغلى الموظفين أجرا لدي الآن. أخبري لين أنّه سيعمل  
 معنا بدوام كامل».

أومأت هيلين برأسها وأغلقت باب الغرفة المظلمة خلفها.  
 بدأ لين بفحص الصور. خافت هيلين لأنّ الضوء كان خافتا جدًا.  
 ترك لين الفيلم في آلة التّحميض وقتا أطول ليزيد التّضاد في  
 الصور ويزيد من حدّة الأطراف. أصبحت صورهِ أفضل مرّة بعد  
 مرّة، لكن في تلك اللّحظة رأى كلّ منهما أنّ التعرّض للضوء كان  
 مثاليًا فقد ظهر الضّباب في الظّلال.

قال: «الصورة طويلة جدًا، سنقصّر الصّورة الثّالثة».  
 جلست هيلين على مقعد في الظّلام، ولين يتحرّك جيئة  
 وذهابا في الضوء الأحمر. «ما رأيك؟».

نظر لين إلى الفيلم الثّالي ثمّ وجّه الضوء الرّأسّي إليه.  
 أعطاه لهيلين التي شعرت بالاختناق عندما رأت التّدرج السيّئ  
 في درجة اللّون والأطراف السيّئة الظّاهرة في الفيلم. «هذا لن  
 يجدي. هذه الصور في غاية السّوء».

«نستطيع إصلاحه. سنتركه في مظهر الأفلام وقتا أطول،  
 سنستخدم مَفطسين للتّحميض. سأخرج هذه الصور».

قضمت هيلين أظافرها. «كيف تعلّمت أن تفعل كلّ هذا؟».  
 «هذا لا شيء. فقد اعتدت أن أعمل في الغابة في اللّيل  
 على ضوء النّجوم فقط، وكنت أبلّل الأفلام بأن أجعل الماء يمرّ  
 على اللّفافات في الجدول. وكنت أجفّفها بأن أعلّقها على أوراق  
 أشجار صغيرة».



«سيضمّك غاري إلى طاقم التصوير».

أخفض لين رأسه لدقيقة قبل أن يمدّ يده إلى صواني الطباعة. «هذا شرفٌ عظيم».

«شرفٌ!! هذا كلامٌ سخيف. إنّه خائفٌ أن يخسرك لصالح مجلة منافسة، وهذا يعني أنّهم يستطيعون إخراجك من البلد إذا رغبت».

«نعم».

«أشكرك على أخذي إلى هناك. فقد كان حلما بالنسبة لي أن أرى ما رأيت. وبعد أن فعلت ما فعلته لأجلي سأنقذ وعدي وأعود إلى الوطن».

«نعم».

«تعال معي».

لم يقل لين شيئا.

«روبرت سيدبّر لك عملا جيّدا».

«لا أستطيع».

«ولا حتّى إكراما لي...». كانت هيلين تقول جملا أكثر مما

تقول أسئلة.

«أنت تطلبين الكثير».

بعد مرور ساعات طبعا صورة قريبة للجنديّ الصبيّ عرضها لين لأضواء عالية، وكما وعد كانت الصّورة لائقة التّوعية واستثنائية في المادّة. سلّموا الصّورة لغاري الذي كان واقفا عند الباب كما لو كان ممرّضة تنتظر أن تحمل مولودا جديدا، وقد نسي أمر لين وهيلين حالما حصل على جائزته. جلسا في الغرفة المظلمة والباب مفتوحٌ وضوء الأمان الأحمر يومض كنجمة خافتة. كان كلاهما متعبين ويرغبان في النوم، لكن غير راغبين في المغادرة.

«نشكّل فريقا جيّدا أنا وأنت». قالت.

ابتسم لين.

«هل سيؤذون الصبيّ عندما يرون صورته؟ هل سيظنّون أنّه خائن؟».

قال لين: «لا. سيفكّر ببديّته السريعة كما فعل معنا وسينجو».

«انتابني شعورٌ جيّد هناك».

«اذهبي إلى كاليفورنيا. هناك أفضل لك».

جرّحها نبّذه المستمرُّ لها. «ماذا عنك؟».

«لا تقلقي، فبعد ذهابك سأكون أفضل مصوّر في فيتنام..

ربّما سأتزوّج أخت (ماي)، فهي بحاجة لزوج من أجل أولادها».

استمرّ بالتفكير بالذين الذين عليه لدارو وهو أمان هيلين الذي كان مهتمّا به أكثر من أيّ شيء آخر.

تبيّس ظهر هيلين: «لم يكن لديّ فكرة عن هذا».

قال لين: «إنّ الاهتمام بالعائلة من تقاليد فيتنام».

«أرادك دارو أن تكون سعيدا. عش حياة جميلة إكراما له».

وقفت على قدميها وأشعلت الضوء الرأسيّ. «سأتمدّد لساعتين

وأنام على السرير النّقال».

«لقد أخرجنا صورا جيّدة».

«كيف لي أن أبتهج بذلك؟ بأن نكون الرابعين أليس كذلك؟».

انتقلت هيلين من شقّتها في تشولون وسلّمت المفاتيح إلى

لين وعادت إلى فندق الكونتinentال الذي بدأت منه. وفي الصّباح

التّالي أجرت الترتيبات لتسافر إلى أمريكا. لم تشعر بحزن أقلّ

أو أكثر ممّا شعرت به قبل أن تخرج مع لين إلى الميدان، لكنّ

شيئا ما كان قد تغيّر. عرفت ما هو، وشكّت أنّ لين عرف أيضا،

لكنّهما لم يتحدثا عنه. تظاهرا أنّ شيئا لم يتغيّر بينهما.

بقيت هيلين مستيقظة حتى وقت متأخر من الليل في غرفتها في الفندق، فلم يعد بالإمكان الاعتماد على النوم، استلقت في سريرها مسنودة بالوسائد محدقة في الظلام حتى استطاعت أن ترى أشكال القمر يد على الجدار وشفرات المروحة تدفع ثقل الهواء. كانت تخزن زجاجة من الويسكي على الطاولة القابعة بجانب السرير، وخففت من عطشها ومن وحدتها التي أحست بها في تلك الساعات الطويلة لتأكد أنها أن أحدا لن يطرق الباب. درّبت هيلين نفسها ببطء على تقبل موت دارو. لقد كان دارو هو دليلها ومعلمها الناصح وأيضا حبيبها، ولم تشعر أنها بحجم تحدي الحرب من دونه.

هل كان الأمر مشابها بالنسبة للآخرين؟ كالأطفال الذين ينتظرون إعادة ظهور الشخص المحبوب لديهم، إن الموت هو مجرد كلمة، وما مغزى عدم وجود طرّق على الباب؟ كان وعيها أفضل من ذلك بعد أن شاهدت حقائب الجثث على الضفة المنحدرة، وبعد أن رأتهم يتمايلون على أكتاف الأحياء.

ومع ذلك فإن رؤية جنود جيش فيتنام الشمالي غير كل شيء بالنسبة إليها. فعندما ظنّت أنه لم يعد هناك شيء جديد سوى تكرار نفسها، ظهر لها عالم آخر لم يكن مرئيًا من قبل. لم يصوّر أي أمريكي الطرف الآخر من قبل، كان هذا الأمر مثيرا كالكشف قارة غير معروفة على خريطة. لم يكن أحد ليفهم الأمر إلا دارو وماك كراي اللذان رحلا. فقط لين هو الذي كان مصقما على إرسالها إلى الوطن. كانت تحلم بالصبي الجندي بشكل متكرر، هو الذي حمل حياتهم بين يديه، هو الذي أنقذهم وأنقذ نفسه ليوم آخر، وكيف جلس أعضاء الكشافة بتوتر، وكيف بلّل أحدهم سبابته وأشر في الهواء، واحد ناقص، كطريقة النقاط في لعبة رياضية.

استيقظت هيلين مترنحة في الصّباح، وغرقتها حارّةٌ جدًّا وفمها حامضٌ من الكحول. قدّم لها خادم الغرفة القهوة الفيتناميّة الغنيّة والمحلّاة مع الحليب المكثّف الذي صبّه من إبريق فضّي مع لفافات خبز طازجة على صحن من الخزف الصينيّ مع ثلاثة أطباق صغيرة من المربّى والحمضيّات والفريز والجوافة، وكلاهما يعرفان أنّها كانت تأكل مربّى الحمضيّات فقط.

وضعت الرّيدة على الخبز، لكنّها استخدمت البرتقال باعتدال لتترك للصّبي الطّبقين غير مستخدمين ليأخذهما إلى منزله كلّ يوم. لماذا عندما كانت على وشك المغادرة بدأت تشعر أنّها في وطنها؟

عندما عبّرت هيلين عن رغبتها في رؤية الشقّة مرّة أخيرة أخبرها لين أنّ ثاو انتقلت إليها وأنّ المبنى كلّهُ يهتزّ من حركة الأولاد وركضهم صعودا ونزولا على الدّرج.

«جيدّ». قالت هيلين، «هناك شيءٌ ما يوقف الحظ السيّئ».

بعد أن تمّ التّعرّف على بقايا موقع الحادث أخرج غاري وصيّة دارو الّتي قال فيها إنّهُ يرغب أن يتمّ إحراق جثّته في فيتنام. لكنّ زوجته قدّمت شكوى رسميّة للمجلّة ونقّذوا رغبتها بأن تتمّ إعادة الجثّة إلى نيويورك ليتمّ دفنها هناك.

كانت هيلين جاهزة للطّيران وشعرت بالحزن يتجدّد فيها. لم تكن تعني شيئا لدارو. توسّلت إلى غاري أن يقرأ رسالة دارو على الهاتف لزوجته، لكنّ المرأة بقيت على ثباتها مقتنعة أنّه لم يكن في كامل قواه العقليّة خلال السّنة الماضيّة. وفي النّهاية تمّت إعادة الجثّة إلى الولايات المتّحدة، وأجرى له طاقم المجلّة جنازة بوذيّة بتابوت فارغ والّتي يقومون بها بشكل متكرّر، بسبب زيادة عدد الموتى وزيادة صعوبة استعادة الجثث.

بدأ الموكب من شقّته في تشولون. نظرت هيلين إلى النافذة متمنية أن ترى أخت زوجة لين وأولادها يملؤون حافة النافذة، لكن الحافة بقيت فارغة. أكان من الممكن أن لين أراد أن يبقيا بعيدة لكيلا تغيّر الذكريات رأيها بالرحيل؟ ارتدى الفيتناميون في الموكب شالات بيضاء تقليدية على رؤوسهم خاصة بالحزن. أمّا الرهبان فقد أنشدوا ترانيمهم وأحرقوا البخور، ثم شقّوا طريقهم إلى مركز البلدة ووصلوا إلى الساحة العامة الموجودة إلى جانب تمثال جنديّ المارينز تحت نوافذ المكتب.

جفت عينا هيلين وآلها رأسها. في الساحة العامة استند غاري على شجرة مُشيحا بنظره عنهم، وكلّ ما استطاعت رؤيته هو التفاف كتفيه وشعره الأبيض الجديد. لكنّها لم تكن قادرة على إزالة الألم عنه. ألم يكونوا جميعا أطفالا يدّعون وجود مأساة عندما كان من الواضح لهم الخطر الذي وضعوا أنفسهم فيه؟ ألا يجب عليهم فقط أن يتقبّلوا الأمر؟ عندما مرّوا بفندق الكونتinentال أخرج كبير السّاقين في الحانة كأسا من شراب دارو المفضّل، ويسكي على صينية من الفضة.

في مقبرة (ماك دنه تشي) نثر لين أرزًا غير مطبوخ وأوراقا مالئة. تجمّعت الغيوم وهبّت الرّياح عندما فرشت سجّادة عند موقع القبر. وتمّ وضع طبق من السّلطعون المفتوح تمّ إحضاره من فونغ تاو مع طبق من الأرز وكأس من الويسكي. أشياء ملموسة فهمتها هيلين وقارنتها مع أشياء أخرى توضع في الجناز عموما كالأزهار والأكفان وموسيقى الأرغن التي كانت تسمعها في وطنه. بعد ذلك تمّ إشعال حزمة من البخور ثمّ انتهى الأمر. أظلمت الغيوم أكثر وهطل المطر الذي تاق إليه الجميع وتفرّق الناس إلى أقرب ملجأ يمكن إيجاده.

بحثت هيلين عن آنوك في الموكب مع أنها أخبرتها بأنها لن تأتي لأنها حسب قولها حضرت الكثير من الجنازات من قبل، فإذا ذهبت إليها كلها فهذا هو كل ما تفعله. لكن هيلين كانت ستغادر تلك الليلة وأرادت أن تودّعها لذلك مشيت وهي تغطّي نفسها بمظلة، وتحركت في الشارع الذي كان يفرق بالماء وتطوف حوله جداول مائية صغيرة تعوم على وجهها القمامة. استمرّ المطر الرّمادي بالهطول بقوة وهو يضرب الأرض، بينما تهب عاصفة الرياح على النهر، وقد رفعت هيلين أسلاك المظلة المعدنية ممّا جعلها تجمع ماء المطر ولا توفر أيّ ملجأ منه، فتركت المظلة تسقط على الطريق لمعرفتها أنّ أحدا ما سيلتقطها ويصلحها ويعيد استخدامها خلال دقائق. كلّ شيء كان يُعاد تجسيده مرّات لا تعدّ ولا تحصى. تعلّمت في فيتنام أنّ التقمّص وإعادة التّجسد لم يكن في جيل آخر فقط بل أيضا كان يمكن أن يكون الآن. تابعت طريقها والمطر يرشقها حتّى وصلت إلى محلّ بيع القبعات ووقفت تحت السّقيفة ومسحت الماء عن وجهها. كان في نافذة العرض ثوب زفاف تمثّل أن يكون قد صُنع لعروس رفضها عريسها وليس لأجلها هي.

في الدّاخل كانت الخيّاطتان الفيتناميّتان جالستين على مقعديهما القصبين المعتادين يخيطان بشكل أسرع وبتركيز أعلى من المعتاد. من الخارج ومع صوت المطر خفّنت هيلين أنها سمعت كلاما وضحكا، أمّا في الدّاخل فقد كان المحلّ صامتا كالقبر. وقفت عند الطّاوله لكنّ آنوك لم تكن قد أتت من المكان الذي تختبئ فيه عادة؛ وهو خلفيّة المتجر الذي تدخّن فيه السّجائر وتشرب التّبيذ. لم يظهر على الخيّاطتين أنّهما لاحظتا وجود هيلين، فدقّت الجرس الموجود على الطّاوله.

عند سماع الصّوت وقفت الخيّاطة الكبرى. كانت ترتدي الثوب الأسود نفسه الذي رأتها به هيلين في المرّة الأولى، وفي كلّ مرّة كانت تأتي فيها هيلين إلى المحلّ ممّا أقنع هيلين أنّ الخيّاطتين كان لديهما سبعة أثواب متماثلة تماما، واحد لكلّ يوم بالترتيب لكي يتمّ غسل الأثواب المستعملة وتنشيتها وتجهيزها. تمتت الخيّاطة الكبيرة لنفسها، بينما مشّت هيلين خطواتها إلى الطاولة بتيبّس وبطء وهي تتظر طوال الوقت إلى أصابعها التي أصبحت خاملة بشكل مفاجئ.

«بونجور مدام» قالت هيلين بالفرنسيّة وردّت السيّدّة تحيتها بصوتها الموسيقيّ الذي بدا كأنّه لازمة أغنية أكثر من كونه تحيّة، وقد تم كلّ ذلك دون تلاقي الأعين.

«أين السيّدّة آنوك؟» سألت هيلين.

تهدّت الخيّاطة وأجابت: «السيّدّة ذهبت».

«إلى أين؟».

نظرت إليها الخيّاطة نظرة أجفلت هيلين بلون عينيها الرّمادي العاتم. «لقد رحلت». انحنّت المرأة إلى الجانب تحت الطاولة وأخرجت صندوقا مسطّحا صغيرا مربوطا برباط من الحرير. فتحته هيلين ووجدت بطاقة من آنوك فوق وشاح ذهبيّ. هكذا دون وداع. رحلة ممتعة يا عزيزتي.

«شكرا وداعا». ردّت عليها الخيّاطة وانحنّت انحناءة احترام صغيرة وعادت إلى كرسيّها في ارتياح واضح لكي تتابع تطريزها مرّة أخرى.

في الفندق تلك اللّيلة، اعتذر لين عن كونه غير قادر على اصطحابها إلى المطار. لم يحاول أن يقدّم عذرا، فلم يكن يثق بنفسه وبقدرته على خيانة رحيلها بأن يتوسّل إليها ألا ترحل.

وقفا هناك بارتباك عند مدخل الفندق.  
قالت: «سأفتقدك».

بعد أن مشى لين مبتعدا كان هناك جندي يتكلم مع حارس الباب حيث انصرف انتباه هيلين إلى صوته العالي. وعندما نظرت إلى المكان الذي كان لين واقفا فيه وجدته فارغا. لكن عندما وقفت السيارة لتأخذ حقائبها ظهر من جديد.  
«كل شيء بخير، أستطيع أن آتي وأودّعك».

ركبا السيارة وبقيتا صامتتين طوال الطريق دون أن يقدم لها أي تفسير عن سبب تغيير خطته، وجرحها أنه لم يُرد أن يودّعها، وتساءلت لماذا غير رأيه الآن؟

عندما ارتفعت الطائرة بشكل حادّ عند الإقلاع بقي جميع المسافرين هادئين، وعندما حلقت فوق بحر الصين الجنوبي انفجر الجميع بالتصفيق. كانت هيلين الوحيدة التي لم تبتسم. طفت قوارب صيد الحبار في الأسفل على البحر القاتم كما لو أنها كرنفالات مضاءة بالنور.

بعد أن غادرت هيلين سايغون جلس لين وحيدا في الشقة دون أخت زوجته وأولادها، فبعد أن رفض لين عرضها بالزواج التقت بميكانيكي كانت ترغب في الارتباط به وهي الآن تعيش معه ومع الأولاد في الطرف الآخر من البلدة. كما استمرّ لين بإرسال النقود إليهم.

وقف لين عاجزا عند باب الطائرة بعد أن توقف عن انضباطه وأربكها بأفعاله. وبحالة من الضعف طلب من هيلين شيئا ليتذكّرها به، لكن الألوان كان قد فات. كل ما كان لديها هو وشاح ذهبي حول عنقها لا يزال جديدا ولم يصبح ملكها بعد، لكنّها خلعتّه وأعطته إيّاه. أمسكه واستنشق رائحته لكنّ عطرها



لم يكن عليه. فطواه ولقّه ببطء على معصمه. وعندما سمع طرقاً على الباب لم يرد أن يفتحه فلم يكن بمقدوره تحمّل باو في تلك اللحظة، لكن متابعة تجاهله ستكون أسوأ. ففتح الباب. مشى باو في الغرفة على عكاز خشبيّ بعد أن رأى كلّ محتوياتها التي لم يتبق منها إلّا الأثاث الرئيسيّ. «يبدو الآن أنّه عليّ أن آتي إليك فقد مضت شهورٌ منذ أن تحدّثنا آخر مرّة». «لا يوجد تطوّرات سوى أنّهم ضمّوني إلى طاقم التصوير». «هذا جيّد، أبق عينيك وأذنيك مفتوحين». «هذا عمليّ».

نظر إليه باو بحدّة وبعينيه الصّغيرتين اللّتين بدتا أكبر خلف النظارات. «لا يتّسّ إلى أي جانب تنتمي أنت. فالعاطفة تلزمك بأن تكون إلى جانبنا. الرّجال أمثالك يفعلون ذلك. لا تجعلنا نشكّ بك».

«لَمْ الادّعاء؟ لم يكن ذلك تطوّعا منّي. كيف حال تجارة الهيروئين؟ أهي مزدهرة؟». إن ما أذهل لين هو كيف كان السّماليّون لا يزالون ضعفاء عندما يتعلّق الأمر بالأمريكان، دون إدراكهم أنّ سعي الغرب وراء الأخبار كان أقوى من أيّ شيء يمكن أن يقودهم هو إليه.

التقط باو تمثالا صغيرا لبودا وهو حليّة رخيصةٌ من الأسواق كان متروكا في ذلك المكان.

«إذا مغامرُك السيدة الصّغيرة قد رحلت، أليس كذلك؟». «نعم».

«هذا سيّئ. لَمْ لم تقنعها بالبقاء؟».

«لا أستطيع التّحكّم بالأمر». الحقيقة كانت أنّه شعر بالعار بسبب كبريائه وبسبب ما حدث، وبأنّه كان يستطيع أن يقنعها

بالبقاء. لكنّ وفاءه لدارو تغلب على حبه وعلى غضبه. لم يدرك الأمريكان بعد أنّهم سيخسرون الحرب. كان لين يشعر بنوع من اليقين اليائس بأنّ ضررا لن يلحق به في تلك الحرب وأنّه كان أحد المسحورين، مع أنّه لم يكن مهتما كثيرا ببقائه على قيد الحياة، كان يشعر بالغضب لأنّه لم يكن مع دارو ليحميه ويعيق موته.

«لا يهمّ، فعدم التّعامل مع امرأة أفضل على أيّة حال. فماذا لو عشقتك؟». ضحك باو ونظر إلى الوشاخ. «ما هذا؟». «تركّته هنا». رأى حاجبي باو يرتفعان ثمّ أضاف بسرعة: «طلبت منّي أن أعطيه لصديق ليرسّله لها». مدّ باو يده ولمس القماش «يجب ألا تجعّده إذا. يا لسوء الحظّ فتوغيّته جيّدة وكان سيعجب زوجتي».

(14)

## العودة إلى العالم

رفضت هيلين حضور جنازة دارو في نيويورك. عدّت الأمر استيلاء على رغباته، ورفضت أن تكون جزءاً من هذا الأمر، ورفضت أن تطلق النساء الأخريات عليها الألقاب. غاري وباقي الطاقم رأوا أنّ في الأمر قسوة ألا تذهب لتمثّل رفاقه في فيتنام. توقّعوا منها أن تكون لطيفة وتتسّى الماضي، لكن لم تكن لديها القدرة أو الرّغبة على فعل ذلك.

طارت من طوكيو إلى سان فرانسيسكو وشعرت بحماس طفوليّ عندما نظرت بين الغيوم، فقد أصبحت فكرة الوطن فجأة واقعا بعد غياب طويل؛ الوطن سيصلح الحال. على متن الطائرة إلى لوس أنجلوس التي كانت رحلتها الأخيرة جلست مع جنود يرتدون لباسهم العسكريّ بعد أن انتقلوا من (ترافيس) إلى وطنهم. هل كان أمر ترك الحرب سهلاً سهولة الصّعود إلى الطائرة؟

استقبلتها والدتها شارلوت في المطار بباقة أزهار ملفوفة بالسّلوфан. رأت وجهها أمام وجه أمّها أكثر نعومة وأكثر ضعفاً. كيف افتقدت رائحة عطر (جوري)؟ أبعدت عنها الإحساس بالدّنب وأمّها كانت قد استسلمت لكلّ تلك القبيلة من الأنانيّين

الذين ربّتهم. بعد أن تعانقتا شاهدت هيلين الجنود العائدين تتمّ مقاطعتهم من قبل مجموعة صغيرة من المحتجّين على الحرب. وقفت فتاة سمراء نحيلة ترتدي سروال جينز ممزّق وسترة سويدية معلقة أمام الجنود وهي تعيق طريقهم. كان شعرها البني الطويل متشابكا تتدلّى ريشة من إحدى خصله المجدولة. بمجرد نظرة مدّ أحد الجنود ذراعه ليبعدها جانبا.

اتّسعت عينا الفتاة حتّى ظهر بياضهما وصرخت: «من تظنّ نفسك حتّى تلمسني؟» لكنّ الجنود تجاهلوها وتابعوا طريقهم. قالت هيلين: «لنفادر».

قالت أمّها: «أنت في غاية التّحول، بالكاد تعرّفت عليك!!». وضعت الأمّ ذراعها حول الخصر التّحيل وهي تمشي بجانب الفتاة السمراء. أبطأت هيلين خطواتها ونظرت إليها فنظرت إليها الفتاة نظرة حاملة فارغة، نظرة دون أيّ تناقض أو أي شكّ. «فكّري بالسلام». قالت الفتاة ثمّ شربت من علبة مياه غازية. وقفت هيلين ثابتة في مكانها وأمّها تجرّها من ذراعها. نظرت الفتاة إليها من جديد بعد أن احمرّ وجهها: «ماذا؟». «إنّ ما تفعلينه هنا هو في غاية الشّجاعة». قالت شارلوت: «أريد أن أغادر».

قالت السمراء بضحكة مرتبكة: «أشكرك» ثمّ استدارت لتتابع حديثها مع الرّجلين اللّذين كانا برفقتها. «أنت تُدلين بتصريح مهمّ حقا هنا في هذا المطار المكيف». قالت الفتاة: «اسمعي، لقد جنّدوا صديقي، هل كنت هناك؟». «نعم».

اتّسعت عينا الفتاة: «هذا رائع جدا، هل رأيت أحدا من أطفال الحربة؟».

هزّت هيلين رأسها بغضبٍ لأنّها لم تكن على دراية بما يعتمر بداخلها. جرّتها شارلوت بعيداً إلى الممشى.  
«ماذا كان الهدف من كلّ ذلك؟» صرخت الفتاة بعد أن زادت ثقتها لانسحابهما.

توقّفت هيلين غير قادرة على التّفكير؛ فلم يسألها أحد ذلك السّؤال من قبل.

أول ما فعلته هيلين عندما وصلت إلى البيت هو الذهاب خلف المبنى والنظر إلى المشهد الذي كبرت معه، وهو مشهد أمواج المحيط تتكسّر على الصّخور في الأسفل. ثمّ مشّت من غرفة إلى غرفة مبدية إعجابها، كيف بدا كلّ شيء كبيراً ونظيفاً. لم يتغيّر شيءٌ منذ أن غادرت إلّا هي نفسها. وكان من الصّعب أن تتخيّل ما الذي اشتعل فيها لتترك ذلك المكان وتعبّر نصف العالم. أرادت أن تعود لما كانت عليه قبل أن تغادر، بل وأن تكون أفضل وأذكى وأكثر رضا.

«تعالى وانظري». قالت أمّها وأرتها حزمة من المجلّات والجرائد التي كانت تحمل الصّور التي التقطتها. «هذه أتت للثّو». أمسكت بالمجلّة التي كانت تحمل على غلافها صورة الجنديّ الصبّي من جيش فيتنام الشّماليّ. كانت هناك في الدّاخل افتتاحيّة تعلن موت دارو مع الصّورة التي صوّره إيّاها لين في مخيّم القوّات الخاصّة.  
«فضيع جدّاً. هذا محزن».

لم تقل هيلين شيئاً، فقد أدركت أنّها إن أخبرتها عن علاقتها بدارو فإنّها ستتحوّل إلى قصّة رومانسيّة وضيفة. كم أرادت أن تحضر دارو إلى بيتها ليلتقي بأمّها ويرى أين كبرت.  
«من فضلك أبعديها الآن».

حرّكت أمها يديها بتململ وشعرت بالخجل أمام ابنتها وقالت:  
«كيف كان الوضع هناك؟».

«كان مخيفا ومحبطا وفي بعض الأجزاء كان رائعا».  
«لا يمكنني أن أتخيّل...».  
«نعم».

«هل وجدت ما كنت تبحثين عنه؟»  
لم تجبها.

«أنا في غاية السّعادة أنّك عدت. أشعر بالفخر، فالتّاس يقولون أشياء عن فييتام دون أن أكون موجودة.. لكنّ فتاتي السّجاعة ذهبت إلى هناك».

حدّقت هيلين نحو الأرض: «هذا يعني لي الكثير».  
قالت الأم: «لقد دعوتُ بعض أصدقائنا، والجميع في غاية الحماس ليرى أنّك عدتِ بسلام».  
«ليس بعد».

وقفت شارلوت في وسط الغرفة: «هذا الجزء من الحياة مهم أيضا». ثم عضت شفتها وقالت: «جميعكم تصرّفتم وكأنّ الحرب هي الجزء الوحيد المهمّ في الحياة».  
عانقتها هيلين ثمّ تمدّدت على الأريكة.

«أنزلي حذاءك عن الأريكة ولا تكوني كسولة. تعالي وشاهدي غرفتك. لم أغَيّر فيها شيئا». كان ذلك تأكيدا مريحا يمكن أن يعطيه المرء لشخص آخر، لكنّ كليهما تعرفان أنّه لا شيء قد بقي على حاله. كانت غرفتها لا تزال تحتوي على السّريّر الأبيض المزدوج وغطاء السّريّر المطويّ المطرّز بأزهار رقيقة فاتحة اللون. أمّا الجدران فقد علّقت عليها صورٌ للهند الصينيّة كانت قد قامت بجمعها عندما كانت صبية مراهقة، ومنها صور لمساحات

شاسعة من الحقول التي تهبّ عليها الرّياح الموسميّة وصورٌ للوديان التي غمرتها الشّمس، وصورَةٌ لشخصين يرتديان قُبّعات مخروطيّة الشكل ويجلسان في قارب صيد على مسافة مائيّة من الشّاطئ. كانت صوراً غير حقيقيّة أشبه بالأفلام. أكانت قطع الرّيف هذه هي ما جعلها تبدأ رحلتها إلى فيتنام؟ يا لأستحالة السّذاجة التي كانت فيها!!

ضحكت هيلين وملاً وجه أمّها الأمل، لكنّ الضّحكة استمرّت لوقت أطول، وأصبحت صاخبة ومُزّة، وانهار وجه أمّها بعد أن هربت من الغرفة.

كان يوجد تحت الصّور صندوقٌ من أشياء دارو الخاصّة التي كانت في شقّة تشولون.

تجنّبت هيلين الصندوق لأيّام، ثمّ استسلمت بعد ظهر أحد الأيّام وفتحته لتتذوّق وتستشّق رائحة سايفون الخفيفة الجميلة العفنة بغرابة وقذارة جرد مكتمل الثّمو من تشولون. أحبّتها الآن بالقدر نفسه الذي كرهتها فيه عندما كانت هناك. جلست هيلين بجانب الصّندوق الذي نقلها إلى شقّتها القديمة.. إلى الباب الممتلئ برسوم بوذا والدرج الذي يصدر صريراً والمصباح الخافت. أغلقت عينيها وحلمت أنّها تستطيع سماع ضجيج الشّارع في الخارج وتتوق إلى هدوء الحياة في أمريكا وصوت همهمة تكييف الهواء.

اهتمّت المجلّة بالأشياء التي تخصّه رسميّاً في الفندق، لكنّ زوجته طالبت بكلّ مقتنياته الخاصّة. «افعلي ما تريدين». «قال غاري. كانت هيلين ستتجاهل الرّوجة، لكنّ فكرة وجود الولد جعلتها تتوقّف. فعندما كانت صبيّة صغيرة تابعت كلّ التفاصيل التي تتعلّق بوالدها ليكون ذلك دليلاً يدّلّها على نفسها.

فتشت الملفات كلها ببطء لكل الطبعات والأفلام، فأني مصوّر حرب بحجم دارو سيكون لديه عددٌ كبيرٌ من الصّور غير القابلة للطباعة تحتوي على مواد مروّعة لن تقبل أيّ مجلة أن تنشرها. لكنّ أيّ مصوّر كان عليه أن يلتقطها وألا يصدر الأحكام حتّى يعود إلى الغرفة المظلمة. بعد أن نظرت إلى أعماله رأت أنّه تحوّل من مصوّر متوسط في أوّل أيامه في الكونغو والشرق الأوسط إلى ما سمّاه البعض عبقرًا. اكتمل شيءٌ لديه عندما وصل إلى فييتنام والمكان نفسه تخاطب معه. فالإنجاز المذهل جلب له ثمنا مدهلا. احتفظت هيلين بالصّور المروّعة واختارت منها ما أحاط بالذي تم نشره قبلا. لقد اشتهر بأخذ عدّة زوايا لكلّ صورة أراد أن يصوّرها ممّا أظهر أسلوبه الفنيّ في عمله. كان يجب على الطّفل أن يعرف ذلك عن أبيه.

وجدت الصّور التي تمّ التقاطها في إنغور وأذهلتها روعتها. لم تشبه أيّ شيء قام بتصويره من قبل. كان لين في إحدى تلك الصّور يتوسط مجموعة من العمال الكمبوديّين. ومع أنّه كان يبتسم لكنه بدا صغيرا جدّا على الألم الذي كان في عينيه. احتفظت هيلين أيضا بكلّ الصّور التي ظهرت فيها. واحتفظت بكلّ كاميراته ومعدّاته وتعبه وهو يحمل قميصا واحدا فقط مكتوبا اسمه فيه على شريط أبيض فوق الجيب الموجود على الصدر. كانت كلّ حياته مختصرة في ذلك الصّندوق.

عندما أتى أفراد العائلة والأصدقاء للترحيب بعودتها، خرجت هيلين مرتدية ثوبا رسميًا وحذاء بكعب عال، فضحتها مشيتها الملتوية بسبب عدم اعتيادها على ارتداء الأحذية بالكعب العالي لأنّها لم تكن في كليّة للبنات. وعندما بدأ الحديث عن الحرب كانت تغيّر الموضوع وتقول التّكت وتساءل الجيران عن أولادهم



وكيف يمضون أيام عطلاتهم، كانت تقول أيّ شيء لتتظاهر أنّ كلّ شيء طبيعيّ. لم تكن تريد أن يعاملوها كحيوان معزول في قفص.

هي التي كانت فتاة مسترجلة، بدأت تطبخ للمرّة الأولى في حياتها. أيّاما طويلة أمضتها في المطبخ وهي تستغرق في قراءة كتب الطبخ والطّحين.. وكانت صفحات الكتاب مغطّاة بغبار الطّحين أو بالصّلصة. انضمت هي وأمّها إلى الوليمة، ثمّ مشيت بتهاد مبتعدة عن الطاولة. ضحكت أمّها وأظهرت الخطوط التي حول عينيها قلقها. كان لديهم الكثير من الطّعام فدعوا جيرانهم، وهم عائلة من إيرلندا جميعهم بشعر أحمر، كانت الأمّ (غوين) تعمل في توصيل الأطعمة التي تصنعها. وبعد أن أكلت ثلاث قطع من كعكة هيلين بالشوكولاته النّاعمة، بحثت عن هيلين التي كانت في المطبخ تغسل الأطباق وقالت: «إنّها لذيذة جدا، يجب أن تأتي للعمل لديّ».

«هذا علاج بالنّسبة لي». كانت فكرة العمل بعيدة جدّا وسخيفة جدّا لدي هيلين لتفكّر فيها.

لكن كان لديهم ولدٌ مراهقٌ يدعى (فين)، وقد حاول مرارا لفّت انتباه هيلين ولم يضطرّها للادّعاء والمجاملة. كان شعر الصّبيّ ناعما بلون أحمر ذهبيّ ويداه وقدماه كجرو صغير أكبر من هيكله. تذكّرت هيلين الصّبيّ الذي كان له شعرٌ أشقر بشكل الفريز والصّبيّ الذي قتل في أوّل كمين أنقذها منه لين.

«كيف كان الأمر؟»

قالت له هيلين: «لا تدعهم يجتّدوك، اذهب إلى كندا».

قال الأب: «أظنّ أنّ الخدمة...».

«أيّ نوع من الشوكولاته استعملت؟» قاطعتهم (غوين).

ما من شيء سيثني هيلين عن الأمر. قالت: «إذا ذهبت فسيستغلونك كالعاهرة».

كشف الثوتر في وجه (غوين) عن مؤامرة للنساء في محاولة منهن لإبعاد حديث الحرب.

«هل رأيت معركة حقيقية؟ هل رأيت أحدا يتعرض للقتل؟» سألتها الصبي بعناد.

فتحت هيلين الصنبور قليلا من أجل (غوين) وابنها. تحدثت بصوتها المنخفض والمستوي، فالكلمات بذاتها كانت كافية، الكلمات كانت نارا.

لاحظت شارلوت بانخفاض أجوف في قلبها أنها المرة الأولى التي بدت فيها هيلين على قيد الحياة. فرغت الغرفة بعد خمس عشرة دقيقة إلا من الصبي الذي كان يستمع بطرب.

«إنهم لا يتعلمون». قالت هيلين بعد أن غادر الصبي «من الصور أو من القصص ولا نحن أيضا.. لم نتعلم».

كانت شارلوت تدخل أحيانا إلى غرفة تظن أنها فارغة لتجد هيلين هناك تحدق في الفراغ ووجهها ممزق، ابنتها أصبحت كلوحة امرأة بيكاسو الباكية. كانت هيلين تجلس على الأريكة ورجلاها مطويتان والدموع تسيل على وجهها، وكل ما استطاعت الأم فعله هو أن تأخذها بين ذراعيها وتهزها لساعات متظاهرة أنها ما زالت مجرد طفلة خائفة من الظلام ويمكن تهدئتها.

طلبت زوجة دارو من هيلين أن تحضر أغراض دارو بنفسها. ومع أن هيلين شكت أن في الأمر تصفية حساب أخير مع الزوجة لكنها لم تقرّر بعد ما تفعله. كان أسهل شيء تفعله هو أن تعطي الصندوق لروبرت وتطلب من المجلة أن تقوم بالترتيبات، لكنها تمسكت به.

في البداية بدا أنّ البلدة الصّغيرة التي على الشاطئ والتي  
 تاهت إليها عندما كانت في فيتنام، متكلسة، ميّنة وبيضاء ونظيفة  
 كمظمة، لكنّها عادت إلى الحياة أو أنّها هي عادت إلى الحياة  
 وهي فيها، لكنّها لم تكن الحياة التي أرادتها.. وكان البيت كذلك.  
 كان مشهد النّاس وهم يسمعون في حياتهم يتسوّقون في  
 الأسواق، يأكلون في المطاعم، يلعبون مع أطفالهم في المنتزهات،  
 يضحكون ويشربون ويتحدّثون، كلّ ذلك ولّد فيها استياء عميقا.  
 كانوا يعيشون حياتهم بسعادة كبيرة، فكّرت هيلين أنّ هذا ما  
 يريده أيّ شخص ولكن كم كانوا عميان وغافلين عن أكبر قصّة  
 في العالم! ألم يروا أنّ فيتنام كانت مركز العالم في تلك اللّحظة؟  
 عندما رأتها من وطنها بدا كبرياؤها وحشيّا. كانت فيتنام شنيعة  
 وما حصل فيها لا يصدّق. اشتعل وجهها لفكرة المخاطرة بالتقاط  
 تلك الصّور التي احترقت في النّفايات.

في منتصف اللّيل كانت تشعر أنّها هي نفسها، وعند السّاعة  
 الثّالثة أو الرّابعة كانت تجلس مستيقظة في سريرها كأنّها تجهّز  
 نفسها لمهمّة وتحاول أن تتذكّر التفاصيل، جعلتها رائحة الغرفة  
 والحرارة والنّعاس تشعر بهياج من الأدرينالين في داخلها. كانت  
 أحيانا تنهض وتذهب إلى الحمام وتغسل وجهها وتتنظر في المرآة.  
 هل أصابها الجنون؟

وصلت رسالة من لين فيها صورةٌ تجمعها به. عندما فتحت  
 الرّسالة نزل في حجرها حزمة من سيقان الأرزّ الذهبي. كُتب  
 في الرّسالة تفاصيل أنشطته الجديدة كمصوّر في الجريدة.  
 لم تعرف إن كان السّبب استخدامه الأخرق للإنكليزيّة المكتوبة،  
 لكن الرّسالة كلّها لم تكن شخصيّة البتّة ممّا خيّب أملها.  
 خاطبها فقط في السّطر الأخير فاستطاعت سماع صوته:

(كلّ ليلة أصلي أن تعود لك الحياة جزءا .. جزءا، كما يعود العشب ليظهر من جديد على الثّلال المحروقة). حدّقت في الصّورة عن قرب أكثر، كان ذلك في اليوم الذي أمضوه في فونغ تاو. لم يكن لين ينظر إلى الكاميرا بل إليها. كانت تعرف ذلك بالطّبع لكنّها تجاهلت ما كانت تعرفه. لن تنتهي الحرب بالنّسبة إليها حتّى ترى العشب يعود للظهور على تلك الثّلال المليئة بالندوب.

هذا ما يحصل عندما يغادر المرء وطنه .. تتناثر أجزاء من نفسه في أنحاء العالم كلّها .. لم يكن مكان واحد ليرضيه بشكل كامل، فدائما يصيبه الحنين إلى المكان الذي يتركه وراءه. لقد تركت أجزاء من نفسها في فيتنام وأجزاء أخرى في عظامها. قرّبت الرّسالة من أنفها واشتّمت رائحة فيتنام التي كانت مزيجا من رائحة الغابات والرّطوبة والبهارات والعفن. هي رائحة لم تدرك أنّها افتقدتها.

لكن ماذا كانت ستفعل بعد أن أدركت ذلك؟ حتّى بالنّسبة لها كانت فكرة العودة إلى فيتنام فكرة مجنونة، فخاضت في لغز بناء حياة جديدة. بدأت العمل لدى (غوين) في خدمات المطاعم، في خبز الكعك والشّطائر. وكانت تستيقظ عند الفجر وتذهب إلى العمل باكرا وتصنع القهوة وتجلس في ضوء المطبخ السّاطع. كانت حركة (غوين) ثقيلة وخرقاء، فدبّرت مكيدة لتحضر قريبها ليشترى لفافات الكعك. كان اسمه توم ويعمل وكيل عقارات، كان سابقا لاعب كرة قدم في فريق جامعة شمال كاليفورنيا. دار بينهما حديثٌ صغيرٌ جانبيّ وهم يحتسون القهوة ويتناولون الكعك، وقد طلب من هيلين الخروج معه في موعد، لكنها لم تكن لطيفة معه، اكتفت بأخذ رقمه دون أن تتوي استخدامه.

لكنّها لن تستسلم، بل ستسعى لأن تعيش حياة طبيعيّة. كانت تركّض على الشّاطئ عند المساء ولاحظت وجود عائلة يلعبون (الفريسبي) مع كلبهم، وفي انفجار للإلهام لديها ذهبت إلى إحدى المجلات وأحضرت جروا ذهبيًا صغيرا من نوع المكتشف. عندما جلبته إلى المنزل كان ممتدًا بين ذراعيها كباقة ورد كبيرة جدا، فتحت أمّها الباب وضحكت وهي تهزّ رأسها: «كلب؟ كلب! لم لا؟ آن أوان إحضار كلب إلى هذا البيت».

«نعم آن الأوان». أخذت تربّت على أذنيه الذهبيتين المخمليتين وتحاول أن تتجاهل نظرة أمّها الثاقبة.

«ماذا سنسمّيه؟»

«أراد مايكل دائما كلبا اسمه ديوك».

أومأت أمّها: «ديوك إذا».

«لم لم نحضر كلبا قبل الآن؟».

«لأ أظنّ أنّ والدك كان يحبّه. ألم يتعرّض للعضّ عندما كان صغيرا؟ حصل شيء ما كهذا».

«لكنّك لم تفكرّي بالحصول على كلب بعد رحيله».

«انتهت الحياة بعد ذلك».

تذمّر الكلب لأنّها كانت تخرجه في الليل، كانت هيلين تنهض كالطّليقة وتحمل الكلب إلى الخارج في الحديقة وتقف نعسانة وحافية على العشب النديّ وتحذّق في النّجوم. كانت تمشي به على الأرصفة الخالية جيئة وذهابا وتستمتع بالعالم وهو مقلوبٌ رأسا على عقب في الليل، فتلك الحالة الوحيدة التي تحاكي حالتها الداخليّة.

بعد أسبوعين اتّصلت هيلين بتوم وبدا متفاجئًا: «ظننت أنّنا لم نتفق مع بعضنا». قال.

«أنت محق».

توقّف وقال: «ما خططك؟».

«أريد أن أخفف من ضغيفتي التي تكلمت عنها».

ضحك.

قالت: «أدعوك لنتناول الغداء مع أمي حوالي الساعة السابعة». كان غداء مع صحبة أخرى ليبعد عنها الضغط.

«لَمْ لَا؟».

خلال الغداء قامت هيلين بدور المضييفة حيث مرّرت السلطة وقطع الخبز وأخذت تبتسم وتقول التكت. ما من كلمة تصف سرور أمها من توم، فرحت آملة أن تكون تلك خطوة أولى لابنتها. رمت هيلين فضلات الطعام للكلب (ديوك) تحت الطاولة.

عندما سأل توم هيلين عن صورها في فيتنام تكلمت عن جمال الرّيف هناك «حظك سيئ أنك لم تر المكان بنفسك. إنها في غاية الجمال يا أمي. ربّما سنذهب إلى هناك بعد أن تنتهي الحرب».

عبست شارلوت: «ما الذي يدعوني أن أذهب إلى مكان كهذا؟ مكان قُتل فيه ابني؟».

نهضت هيلين وأخذت طبقها لتغسله. اقترحت شارلوت بعد الغداء على توم وهيلين أن يمشيا على الشاطئ. عندما كانا في السيارة على الطريق الساحلي السريع أصرت هيلين على التوقف عند أول متجر لبيع الكحول لتشتري زجاجة ويسكي. شربت مباشرة من الزّجاجة وشقّلت المذياع في سيارة توم بصوت عال. على قمّة الهضبة والبلدة ممتدّة أمامهما حرّكت رجليها فوق علبة السرعة وحول عصا المحرّك. مرّر توم يده على ركبته وهي تضع قدمها على دؤاسة الوقود وتثبّت نفسها على

المقعد لكي لا يتمكن من تحريك الدواسة، وانطلقت السيارة على الطريق المتعرج. أمسك توم بالمقود وضغط على الفرامل «هل أنت مجنونة؟».

«أنا أتسلى فقط».

«ما هذه التسلية التي ستسبب قتلنا؟».

«ألم تعطك شعورا جيّدا، فقط قليلا؟ ألم تحمك من الموت مللا؟».

أوقفا السيارة عند الطريق الشاطئي ومشيا على الرمل حافيين وهما يتناولان على الشرب من زجاجة الويسكي. «أنت جامحة إذا؟» قال. «هذه أنا».

«كم قلت مضى على عودتك؟».

«لم أقل...». وقفت وغرست رجلها في الرمل البارد. كانت الأمواج في ضوء القمر حادة كشفرات السكاكين «سته أسابيع وأربعة أيام».

عند أول الشاطئ كانت مجموعة مراقبين تتجمع حول موقد إضاءة المنحدرات المحيطة، لكن المكان الذي وقف فيه توم وهيلين كان مظلما ومهجورا.

«ماذا تفعلين في أيامك هذه؟» سألها. شرب رشفة طويلة من زجاجة الويسكي ومرّر أصابعه على أصابعها عندما أعادها إليها.

«أعمل في الخبز مع (غوين)». ضحكت «أخبز الكعك والمعجنات والخبز».

«لا، أقصد على المدى الطويل، متى ستعودين للعمل في التصوير؟».

«لقد انتهيت من ذاك العمل».

«لقد أخبرت كلّ أصدقائي عنك وكلّ ما فعلته بصورك. جميعهم شاهدوا ما قمت به وأعجبوا بعملك كثيرا، وهذا سبب مجيئي عندما اتّصلت بي على الرّغم من أنّك لم تكوني لطيفة معي ذلك اليوم».

«واو». صراحته الواضحة جعلتها تعجب به أكثر.

«لماذا لا تعملين في إحدى الجرائد؟ أو في تغطية حرب أخرى؟ أليس هذا ما يفترض أن تقومي به؟».

«ذهبتُ هناك للهو وتحول الأمر إلى شيء آخر. ماذا ستفعل إن كان لديك موهبةٌ خطيرةٌ كركوب الشّلالات داخل برميل؟ موهبةٌ خطيرةٌ على صحتك؟».

بعد أن خرج السؤال من فمها شعرت بالحرّج. توقّف وأخذ رشفة: «لا أعرف إن كنتُ قد أجذتُ فعل شيء بهذه الخطورة يوما ما. سيكون من الصّعب التّوقّف. العمل في طهو الخبز أمرٌ تافه».

عادت هيلين لتجلس في الظلّ أسفل الهضبة وتعثّرت بالرّمال. أكان ذلك هو الجواب البسيط للأمر، إنّ دارو لم يستطع أن يترك عمله لأنّه كان يجيده. إنّها أحبّت عملها أكثر من هذه الحياة التي جعلتها تشعر أنّها تموت وهي على قيد الحياة؟ مهما حاولت كانت حياتها تنزلق من بين يديها ولم تستطع أن تمسك بها أو تتحكّم فيها. كان ذهنها غائبا دوما يطنّ في مكان آخر. لم تكن مدركة كيف كانت الحياة تدبّ بها في فيتنام. كيف على الرّغم من الخوف والغضب كانت متيقّظة بشكل عميق جدّا، وبطريقة ما لم تستطع الحياة العاديّة أن تماثل ما أحسّت به هناك. قرّبت توم منها.



«قادك كل الرجال هناك إلى الجنون، أليس كذلك؟ يمكننا الذهاب إلى بيتي، لدي سرير».

«العمل في الخبز ليس بذلك السوء فهناك طحينٌ وزبدٌ وسكرٌ ورائحة الخبز». هزّت رأسها وتلّوت تحته ومدّت يدها لتلتقط الرّجاجة التي في الرّمل وأخذت منها رشفة طويلة. أخذ الرّجاجة منها: «هذا يكفي، لا أريد أن تغيبني عن الوعي وأنا معك». قبّلها وتلمّس أزرار سترتها.

أغمضت عينيها، لكنّ ذلك جعلها تشعر بالدوار بشكل أسرع ففتحتهما من جديد. «كان هناك مكانٌ في (تو دو) يصنع أروع كرواسان». على الرّغم من حركة الأمواج والأوقات التي أمضتها في الثانويّة والكليّة، وعلى الرّغم من طعم الدّخان والويسكي على لسانها، لم تكن تلك لحظة نسيان. «هيّا».

«لا». لم تستطع أن تتذكّر لماذا ظنّت أنّ الأمور يمكن أن تتجح ولماذا اتّصلت به. فكّ أزرار سترتها. وللحظة قصيرة بدا نبض دفء اللّحظة يجرّهما بعمق، لكن بدل أن تصرف الإثارة انتباهها فتحت في داخلها بابا لحزن عميق.

فتحت هيلين مشبك حزامه لكن الويسكي وُلد فيها شعورا متدفّقا بالغثيان، فاندفعت إلى صدره لتبعده عنها لعدم قدرتها على تحمّل ذلك الأمر لدقيقة أخرى، ففهم الأمر خطأ وظنّ أن تصرّفها هذا أتى من شغفها به فعانقها بقوة أكثر فأصبحت صفعاتها أقوى وأشدّ هياجا وعنفا حتّى ابتعد عنها، واستدارت مبتعدة وجثمت برجليها ويديها على الأرض وتهدّدت.

جلس إلى جانبها وقال: «يا إلهي، هذا رائع».

جلست وركبتها إلى فوق ورأسها على ذراعيها واستنشقت جرعات من الهواء.

وقف وخلع قميصه وسترته. مشى إلى الأمواج ثم عاد وقال: «خذي». وانحنى على ركبتيه وأعطاهما سترته المبللة لتمسح وجهها. تنهد وقال: «لا أفهم سبب ما جرى». «لم يكن عليّ أن أتصل بك».

«نعم ربّما».

«أردت أن أكون تلك الفتاة التي تخطر ببالك عندما تذهب إلى الحرب».

«أنت من يذهب إلى الحرب، هل نسيت؟».

«من الأفضل أن نذهب إلى البيت».

«أنت تعجيبيني، لكنك لست ذلك النوع من النساء الذي يخطر بالبال في الحرب».

في اليوم التالي أخذت صندوق أغراض دارو وذهبت على متن رحلة إلى نيويورك.

لم تفكر بما يمكن أن تجده، ولم تعرف عمّا كانت تبحث. لم تدرك إلا لاحقا أنّ الحقائق ستخلط ذكرياتها معه دون أن تقرّبه إليها أكثر، وأنها بعد أن أصبحت مؤرّخة حياته، فإنّ دارو نفسه سيبتعد أكثر وأكثر عن قبضتها. ومع أنّها كانت تعرفه بعمق فكلّ ما استطاعت اكتشافه الآن هو سطح حياته.

قادت السيّارة خارج المدينة في الطرقات الملتفة التي تظللها الألوان الحمراء والصفراء للخريف الدّاوي. ومع أنّ الوقت كان أواخر سبتمبر لكن كانت هناك نفحة برودة في الهواء كما ألقت الشمس المنخفضة ضوءا كئيبا على المروج والبيوت. وقد استدارت الطرقات فيها دون هدف يمكنها من تحديد مكان

دارو في خلفية الضواحي تلك، وصلت إلى الشارع الذي يسكن فيه واستدارت. ففكرت أن تقود السيارة حول البيت عدة مرّات لتتمكّن من استطلاع المنطقة، لكن عندما رأت مرجا طويلا مرتفعا يقود إلى شبه جزيرة كيب كود توقفت. كيف يمكن لهذا البيت أن ينسجم مع الشقة الموجودة في تشولون؟ كيف يمكن للرجل نفسه أن ينتمي إلى المكانين نفسيهما؟

أوقفت هيلين سيارتها على طرف الطريق ورأت فتاة سمراء ترتدي قلنسوة وثوبا مزركشا بالأزهار تحمل كيس بقالة من صندوق السيارة. بدت ملابسها رثة وهي ترتدي سروال الجينز والسترة العسكرية مع قميص من الكتان فوقهما. كان من المستحيل عليها أن يتوافق دارو الذي عرفته مع هذا المكان أو مع هذه المرأة. أكانت الحرب عذرا ليذهبا ويعيشا سويا حياة أخرى؟ أيوجد في هذا المكان خزائن ممتلئة بملابسه؟ وإذا قرّبتها من أنفها فهل سستتمكّن من شم رائحته؟ نزلت من السيارة وحاولت حمل الصندوق بصعوبة فأسندته على فخذيها وهي تغلق باب السيارة.

كان طريق الممر منخفضا قبل أن يرتفع موصلا إلى البيت. وهناك بركة صغيرة ممتلئة بأوراق متساقطة تشكّلت من سقوط للمطر. مشّت هيلين حولها وخطت على المرج المبلّل وكادت تنزلق في حفرة صغيرة غير ظاهرة. كان طريق الممر طويلا والمرأة بعيدة عن هيلين فلم تتمكّن من تمييز ملامح وجهها. ما إن ترّ وجهها عن قرب فستعرف إن كان دارو قد أحبّها فعلا أم لا.

بينما مشّت على الطريق المفروش بالحصى، ركض صبي صغير حول زاوية المنزل وكلب من نوع (أبريديل) يطارده. كان الصبي يضحك وينادي أمّه والكلب يقفز ويعطسه في الهواء،

توقّفت هيلين. كان شعره البنيّ المجعّد هو نفس لون شعر دارو. شعرت بضعف في قدميها. وفجأة شعرت أنّها لم تكن تريد ما جاءت لتبحث عنه. لم يكن هناك شيءٌ يمكن إضافته، لا شيء يمكن أن يغيّر حقائق الأمور. نادى الأمّ الصبيّ باسم لم تميّزه هيلين تماما. انتفض الدّم في أذنيها كالأمواج وأدركت أنّ دارو لم يخبرها اسم الصبيّ أبدا ليبقيه غير حقيقيّ.

أشار الصبيّ بذراعه إلى الطّريق باتجاه هيلين. مدّت المرأة ذراعيها إليه لكنّه انحنى مبتعدا وبدأ يركض بكامل سرعته على الطّريق وهي تطارده. عندما وصلا إلى مسافة السمع من هيلين، وقفت المرأة وتصلّب وجهها ونظرت ببرود وقالت: «هل يمكنني أن أساعدك؟».

«أنا هيلين آدامز من مجلة لايف، ولديّ لك.. لديّ أغراض سام».

«لقد تأخّرت، كان من المفروض أن تكوني هنا منذ ساعات». غطّت المرأة نفسها كما لو أنّ ريحا هبّت عليها. «أنا لّلي دارو، تعالي». قالت ومشّت عائدة إلى البيت.

كان البيت من الداخل أنيقا ومظلمًا والسّقف منخفضا، تتدلى منه مصابيح تيفاني غير مضاءة وأثاثٌ غير مستخدم مغطّى بقماش قطنيّ، وقطع أثريّة من الخشب المنحوت وطاولات حجرية مغطّاة بالرّخام، كان كلّ شيء أسمر ضاربا للصفرة بذيوق رفيع. لم يبدُ أنّ رجلا عاش في ذاك المكان على الإطلاق، وبالتأكيد ليس مكان معيشة دارو. عندما جلسوا في غرفة المعيشة المظلمة، لاحظت هيلين وجه لّلي الذي تميّز بتناسق احترافيّ، كانت جبهتها عريضة وشاحبة وابتسامتها صارمة. كان وجهها يليق به الإعجاب أكثر ممّا يليق به العشق.

«أترغبين بتناول بعض الشاي؟» سألتها وهيلين لم تكن تصغي، كانت شاردة حتى أشارت للي إلى أطباق تقديم من الخزف الصيني وقالت: «أحب أن أستضيف أحدا ما.» «هذا كثير».

«ليس كثيرا بعد أن طرت عابرة البلد.» حملت للي صينية الشاي ودفعت باب المطبخ المتمايل «تعالى إلى هنا إذا أردت فالمكان هنا مريح أكثر».

كان الضوء القادم من التوافذ ضبابيا، كانت الشمس مختبئة بين أشجار الصنوبر الطويلة التي ألقت على المرج ظلالة ممتدة مائلة للأزرق. كانت الأواني النحاسية معلقة على جدران المطبخ. واصطفت كومة من الأطباق في خزائن ذات أبواب من الألواح الزجاجية. كانت للي على حق، فمقارنة بالغرفة الأخرى ذاك المكان كان مريحا أكثر. أعجبت هيلين بللي أكثر لأنها لاحظت الفرق واعترفت به. كان ظهرها متجها إلى هيلين وهي تملأ غلاية الماء. وبدا قماش ثوبها غاليا وفي خيوطه لمعان خافت ثقيل.

عندما دخل الصبي لم تستطع هيلين أن تبعد عينيها عنه. كان شعره البني غير مرتب فيه خصلة مرفوعة فوق الجبين، ويشبه أباه المثلث العينين بجسمه الطويل النحيل.

«اذهب إلى غرفتك يا سام. هذه صديقة والدك التي أتت من مكان بعيد لترانا وتحضر بعض كاميراته».

نظر إلى هيلين باهتمام جديد: «أأتريني إياها؟» قاطعته للي قبل أن تتمكن هيلين من الإجابة: «ليس الآن، سنراها لاحقا، والآن انطلق».

«لا بأس، لا أمانع» أرادت أن يبقى الولد ويكون هو من يخفف صدمة كل شيء.

«أتعرفين أنّه لم يأت إلى هنا على الإطلاق». قالت للي وهي تخرج الحلويات من علبة، أعطى الجهد الواضح الذي بذلته انطبعا خائفاً عن عقوبتها.

«تزوجنا في المدينة وعشنا في شقة صغيرة قبل أن يغادر. أبواي يسكنان في آخر الشارع. أخبرني أنّ وجود عائلة كان مهماً بالنسبة له، لذا بنيت هذا البيت من أجله». «إنّه رائع».

«ليكون لديه بيت يعود إليه، وأحد يعيش لأجله». هزت للي رأسها.

لم تقل هيلين شيئاً وانتابها إحساسٌ برهاب الأماكن المغلقة، إحساسٌ بالرغبة في الهرب سيطر عليها، وتعلمت يداها في حضنها. وبرغم كلّ جراحتها فقد كانت محظوظة مقارنة بما شاهدته هنا. وضعت للي مجموعة من الملاحق والشوك أمام هيلين، ووضعت فطيرة واحدة وبعضاً من ثمار الثوت مع الكريمة وبعض السندويشات الصغيرة، وجلست لتصبّ لها الشاي. عن قرب رأت هيلين سناً للي الأماميتين في غاية الجمال ولا تشوبهما شائبة سوى تداخل بسيط. ترددت هيلين وهي محرجة لأنها لم تعرف أيّ شوكة تلتقط.

«كنتُ مخطوبة لطالب حقوق من بلدي، لكنّ سام.. كان شديد الشغف بتغيير العالم». التقطت الشوكة الأبعد عن الطبق: «كيف كان يمكنني ألا أعشقه؟ أردت أن أنتظر قبل أن ننجب أطفالاً. أردت أن نبقى وحدنا بعض الوقت». ابتسمت ومالت للأمام كما لو أنّها تدلي باعتراف. «حتّى إنني فكّرت أن أصبح مصوِّرة وأذهب معه، لكنّه أصرّ أنّ ذاك المكان لم يكن مكاناً مناسباً لامرأة. أراد أن نُكوّن عائلة».

استخدمت هيلين الشوكة الصغيرة لتقطع كعكة التفاح.  
مدّت للي يدها وأمسكت بذراع هيلين للتأكيد. «أنا لست  
ساذجة وأفهم الأمور. لقد كان يكره الحرب وقد واسيتما  
بعضكما هناك».

سمعت هيلين لتسهّل على نفسها الكلام: «أحضرتُ كلّ شيء  
خمنت أنّ ابنك يمكن أن...».

«أنت الأولى بينهنّ التي تحدّث عن الزواج منها».  
مَن هنّ؟ هذا كان هدفها إذا؛ الانتقام بعد الموت. أنزلت  
هيلين الشوكة الصغيرة وأمسكت بالسندويشة بأصابعها: «لقد  
كان يحبّ عمله».

«نعم». وقفت لي وتحركت إلى النافذة المظلمة. ثم مرّرت يدها  
على شعرها ونظرت باتجاه الغروب. كانت إشارة طبيعيّة أنّها لم  
تكن واعية لنفسها وهي تتحدّث عن أوقات أصيل أمضتها وحيدة  
تحت وهج المصباح. استطاعت هيلين رؤية الجبهة الشاحبة فقط  
وخطّ ذقنها المتعرج. وتخيلتها هي الشابة التي تزوّجها دارو.  
«كان طموحاً أليس كذلك؟ هذا ما عليّ أن أقنع ولدي سام به،  
أنّه كان رجلاً عظيماً يقوم بعمل مهمّ وميتته كانت ميتة بطل».

«نعم». احتاجت هيلين لكلّ قوّتها لتبقى جالسة في الغرفة  
وآلاً تهرب. كان المجيء إلى هنا خطأ فادحاً، فهذه المرأة حرّفت  
كلّ شيء حتّى أصبح من المستحيل فهم الأمور على حقيقتها.  
«كان في كلّ سنة يخبرني أنّه سيستقيل. وأنّ كلّ امرأة ستكون  
الأخيرة، ثمّ عرفت أخيراً أنّه سيبقى هناك حتّى يقتل».  
«كنّا على وشك المغادرة».

«لقد وصلتني أوراق الطلاق فجأة، لم يكن يفكر تفكيراً  
سليماً».

«طلب منك ذلك في سايفون».

«لم يطلب مِنِّي شيئاً كهذا. تناقشنا عن موعد عودته للوطن. أيّ أب هذا الذي لا يرى ابنه؟».

«جئت من أجل الصبيّ. أنت لم تعرفي سام حقّ المعرفة. لم تعرفي كم كان الصبي مهماً لدى سام وكم أحبه! أنت لم تعرفيه جيّداً».

«سأقول: لا أنا ولا أنت كنّا حبّة الأوّل». استندتّ للي بظهرها على الحائط، ومدّت ذراعها لتلفّ حول الغرفة «لكن على الأقلّ أنا لديّ هذا. بيته وأنا أرملة، على الأقلّ لديّ ولدي سام».

«نعم».

اقتربت لي حتّى تمكّنت هيلين أن تشمّ عطرها وترى عينيها المركّزتين عليها، وفهمت للمرّة الأولى مدى غضبها ومدى صعوبة محاولتها السّيطرة على ذاك الغضب. «لا أستطيع أن أفهم النّساء أمثالك. أكان ذاك الجزء الصّغير منه كافياً حقاً بالنّسبة لك؟».

كانت هيلين تشعر بالدّوار. «كان لدينا الحرب».

«تعرفين، لقد أحببته. أحببته عندما كان على طبيعته، لكنّه خسر نفسه هناك في ذاك البلد الصّغير المرعب، لكنّ ذلك لم يجعلني أتوقّف عن حبّي له».

أصبح المطبخ ظليلاً وبارداً. ارتجفت هيلين في سترتها القطنيّة الخفيفة. كانت تشعر بالبرد دوماً.. أمّا للي فقد قطرت جبهتها عرقاً وتوهّجت بنوع من الحرارة المعدنيّة. أخيراً رأت هيلين أنّ ذاك المكان لم يكن يمتّ لدارو بصلة فيما عدا الصّبي. ما كان حقيقيّاً هو حياتهما سوياً والحرب داخلها وهي ببساطة لم تفهم ذلك.

«لقد كرهتُك في سايفون». قالت للي، وبدأت متعبة من فترة



العصر الطويلة. «لكنني لم أعد أكرهك فقد خسرت أكثر مما يمكن أن آخذه منك».

مرّ شهرٌ وعادت هيلين للعمل في المخبز. تمّ حلّ لغز كان يدور في ذهنها عن دارو وتعايشت مع الماضي بشكل أسهل. عندما أتى روبرت من لوس أنجلوس ومشيا سويا متشابكي الأذرع على الممرّ في هواء المساء البارد الرطب كادت الحياة تبدو طبيعيّة. كان الشارع يمتلئ على طول الشاطئ بسيّارات بطيئة الحركة ومراهقين يتجولون. بدا روبرت كأنّه أصغر بعشر سنوات ممّا كان يبدو عليه في سايفون.

«يليق بك السلام». قالت هيلين.

«أتصدّقين أنّنا نجونا؟ يبدو الأمر أفضل من أن يكون حقيقيّا»

قال «كلّ صباح أستيقظ وأشعر بامتتان لأصغر الأشياء».

لم تخبره عن فتح رسالة لين وكيف كان وهج المحيط بنفسجيّا والغرفة مظلمة، وكيف أضاء مصباح المكتب عندما فتحت الظرف لتجد أعواد الأرز الذهبية تقع في حضنها. كيف انتقلت إلى هناك فوراً ومدى الرّاحة التي شعرت بها.

كان على الورقة التي كتب عليها لين رسمٌ باهت لزهرة لوتس بالأصفر الفاتح، وكتابته كانت بالحبر الأسود على الصّورة التي ذكّرتها بشوارع سايفون والنّضاد الدائم بين الجمال والحاجة.

«يبدو كلّ شيء بعيداً جداً». نظرت إلى خطّ السيّارات الذي يزحف على الطريق. وجفّلت عندما اشتعل وقود سيّارة قريبة منهما.

«أتذكرين أوّل ليلة أخذتك فيها للغداء؟ وحاولت تحرير

أسراب البطّ في فيتنام؟».

«كيف كنتُ بذلك الغباء؟».

«رأيتك فاتتة ورأيتك أنك لن تستمرّي هناك».

«ذهبتُ لرؤية زوجة دارو السابقة».

«لماذا؟» عبس وقد ملّ من نبشها المستمرّ للماضي.

«كلّ تجربتي هناك كانت مبهمة. كنّا في حلم. كان حلما في غاية الوضوح. ظننتُ أنّه لم يكن حقيقيا. لكنّه كان كذلك. كان حقيقيا أكثر من أيّ شيء آخر هنا».

«السّلام يليق بالجميع إلا بك».

مشيت مع روبرت إلى الرّمال وجلسا قبالة صخرة كبيرة يشاهدان الأمواج تتلاشى في منظر الفسق القريب. انجرف عشب البحر بالقرب من الشّاطئ. وهبت رائحة عطر مياه البحر بقوة من الجزء الشّماليّ للخليج. «لا شيء يضاهي الضجة في فييتام. أليس كذلك؟» كانت رائحة السّمك المخمّرة توحى بنوع الغذاء الرئيسي في أيّ مطعم محليّ يمكن أن يدخله المرء في سايفون. أمسكت بيد روبرت وشبكت أصابعها مع أصابعه «أتعلم؟ ينتابني شعورٌ جميلٌ لكوني معك فأنت تتفهم الأمور. ألا تفتقد فييتام ولو قليلا؟».

تتهّد روبرت «تقصدين سايفون؟ أشعر بالسّعادة أنّي ذهبت إلى هناك ونجوت».

وضعت هيلين رأسها على كتفه «لا أقصد الحرب، بالطبع لا».

«تعالني للعمل في لوس أنجلوس. فالقصة التي كتبتها أنت ودارو عن لان لاقت نجاحا كبيرا. يريدون متابعة لها هنا في كاليفورنيا».

«متابعة محلية؟».

«لن أعيدك إلى فييتام، إذا كان هذا ما تسألين عنه».

لم يكن (لان) واحدا منهم، ولم يفهم ماك كراي أو حتى دارو ذلك. لم تسيطر الحرب على مخيلته يوما. «إن ما حدث في سايفون.. ما لم يحدث.. الأمور كانت مجنونة. لكنني فكرت أنه يمكننا أن نحاول رؤية بعضنا في ظروف طبيعية». ضحكت هيلين ضحكة صغيرة «هل تقصد أن لقاءنا هنا هو في ظروف طبيعية؟».

«نعم فلسنا في منطقة حرب». انسحب غاضبا «لا أو من بكذبة (الأيام الخوالي) عن الحرب. الحرب كانت سيئة، سايفون كانت سيئة، ونحن محظوظون لأننا خرجنا منها على قيد الحياة». «بالتأكيد». بعد كل ذلك لم تستطع أن تخبره أنها تستيقظ في منتصف الليل وتدعي أنها بحاجة إلى أن تخرج في مهمة، ولم تستطع أن تخبره عن جولاتها في الحي المجاور مع (ديوك). «لقد صدقت كلامك هناك أنك لم تكوني على طبيعتك». «هل سمعت شيئا عن لين؟».

صمت روبرت لبرهة طويلة: «سمعت منه مرتين أنه انضم إلى طاقم العمل. لقد عرضت عليه أن ينتقل ويحصل على الجنسية الأمريكية لكنه رفض». «ظننت أنه تزوج؟».

«من؟ لين؟ لا ليس الأمر كذلك. إما أن يكون وطنيا أو وطنيا حقا، تفهمين قصدي. دارو كان دوما يمازحه أنه يعمل لصالح العم (هو)».

«أيا كان. أنا أثق بأن أسلمه حياتي».

لم يقل روبرت شيئا.

«هل تذكر تلك الليلة الأولى؟ عندما تركتك في المطعم؟ ظننت أنك سترغمني لكك لم تفعل».

«ألم نذهب إلى مكان صينيّ قذر.. في تشولون؟ لا أذكر». هو بالطبع تذكر كل ما حدث في تلك الليلة وكرهها لكن كرهه لها لم يستمرّ.

«أذكر أنّ دارو قال: إنهم محظوظون لأنّه دوما يوجد حربٌ أخرى. ظننت أنّ الأمر مجرد استعراض ذكوريّ. لكنّ الآن أتمنى لو كان هنا لأستطيع إخباره أنّني فهمت قصده أخيرا». نهضا وعادا إلى الممرّ. كانت السماء فوقهما سوداء والقمر شاحبا يلقي ضوءا عقيما على الماء وعلى البيوت وعلى الهضاب التي خلفها.

«يوجد العديد من الشّباب في العشرينيّات من أعمارهم ظلّوا أنّهم خالدون. أنا وأنت نعرف الحقيقة». قال روبرت. «سأقبل المهمّة».

«فتاة جيّدة».

أومأت وأخذت يده من جديد وقرّبتها إلى شفّتها «أحيانا أتمنى أن أستطيع العودة إلى هناك ولو لساعة واحدة، فساعة واحدة تكفيني لأستطيع أن أحبّ المكان هنا من جديد».

في تلك الليلة فتحت النّافذة وهي تغيّر ملابسها لتنام. كانت واثقة بعد أن رأت روبرت أنّ الأحلام ستأتيها في تلك الليلة. خلعت ملابسها في الظّلام وهي تستمع لانزلاق أمواج المحيط، لبست ثوب الثّوم الأشبه بالحجاب. وربطت شعرها إلى الخلف بشريط مطاط بسيط. أشعلت الصّوّ ونظرت إلى الصّور المعلقة على الجدار.. الصّور التي كانت موجودة مسبقا في رأسها، ثمّ أطفأت الصّوّ بسرعة. بدأت الأحلام تبتعد، وعندما أتت إليها من جديد كانت أقلّ حدّة، ووجدت أنّها بحاجة لإثارة ذاكرتها قبل أن تخلص إلى الثّوم لتتمكّن من لقاء دارو من جديد في ذاك

الظلام الواسع. لكن بدلا عن دارو أتاها الحلم بالأطفال. كانت راكعة على ركبتها ورجلٌ غير معروف مستقلق إلى جانبها وقد أحاطت بهما مجموعة من الأطفال الفيتناميين تجمّعوا حولها هي ودارو ولفوا حولهما حتى لامسوهما، لكنّها عندما حاولت التحدّث معهم أداروا ظهورهم لها، حتى وهي تحلم كانت تحاول أن تتذكّر من أين أتت الصورة التي أعطتها إحساسا بالتهديد ذلك اليوم مع لين في (فونج تاو)، لكنّها لم تستطع أن تحدّد مكانها.

كان مركز إعادة التأهيل في مقاطعة (ويلشاير)، وقد استدارت وهيلين حول حيّ المشفى عدّة مرّات لتوقف سيّارتها في النهاية على بعد ربع ميل من أحد المقاهي. كان اليوم حارّا والهواء يتصادم برياح (سانتا آنا) الشديدة الجفاف، فبدلا عن السديم الملطّخ بالضباب والدخان، كانت هناك حذّة في الجوّ ارتسمت على الأشجار والأبنية في الخلفية العامّة. جلست هيلين في المطعم وفقدت شهيتها بسبب رائحة الدّهون وشمع الأرض الملّمع والمطهّر. حاولت أن تركّز على المهمّة وأن تعدّ الفتاة (لان) قصّة أخرى عليها أن تغطّيها.

كانت قد تأخرت عن موعدها وهي تشقّ طريقها حاملة حقائب الكاميرات على كتفيها في الكراج وهي تمشي في ضوء الشّمس السّاحق ورائحة الإسفلت الحامضة تحت قدميها. في المشفى في طابق الأطفال انتظرها كامل طاقم الأطباء والمعالجين مرتدين معاطفهم البيضاء الطويلة، جاهزين للتصوير. ألقى رئيس الأطباء المسؤول عن الحالة محاضرات عن العمليّات مستخدما رسوما بيانيّة. وبدا معطفه الطّبيّ رسميّاً ومطويّاً كأنّه قد خرج لتوّه من الصندوق. كان هناك نماذج أعضاء صناعيّة

موضوعة على طاولة الأكل، وكانت مغطاة بقماش أحمر طويل مما جعل الطاولة تبدو وكأنها طاولة جوائز، وكانت كل مادة ملونة بلون الدّم منفصلة عن الأخرى وقد سلطت عليها الإضاءة من فوق.

سألت أخيرا «أين (لان)؟».

«ظننتُ أنّ عليك أن تري تطوّر حالتها أوّلا». قال الطّبيب مستاء من قلّة اهتمامها.

«ما رأيك أن أراها أوّلا؟» قالت هيلين «سنتحدّث بعد ذلك». أصبحت الغرفة أكثر هدوءاً، سعل الطّبيب في يده وقال: «حسناً إذا، لنذهب لرؤيتها».

اتخذت الطّبيبة التّفسانيّة قراراً سريعاً بأن تلحّص لهيلين الأمر. كانت قصيرة القامة وهي تمشي خطوة صغيرة بعد كلّ خطوتين لتتمكّن من اللّحاق بها. كانت تعضّ شفّتها السّفلى كلّما تحدّثت وكأنّ لكلماتها مذاق مُرّ. مرّوا بجانب غرفة ممثلة بالأطفال. «(لان) بمفردها الآن». همست «فقد حصل موقف عدائي جديد بينها وبين الأطفال الآخرين». ضيّقت المرأة عينيهما حتّى لم تعودا ظاهرتين فوق لحم خديها الممتلئين. «إنّه العضّ. تصرّف غير مقبول».

«لم تكن أوضاع معيشتها في سايفون مثاليّة».

قالت المرأة: «لكنّا أنقذناها».

«في الحقيقة نحن الذين تسبّبنا في أذيّتها».

وضعت المرأة يدها المليئة بالخدوش على وجهها كما لو أنّ

بُغض كلمات هيلين يمكن أن يسبّب لها طفحاً جلدياً.

وقفت في نهاية الرّدهة وفتحت باباً. في البداية بدت الغرفة

كأنّها فارغة، ثمّ رأت هيلين (لان) جالسة على طاولة منخفضة

في الرّواية تشكّل كرة من الصّلصال. شكّل الكبار نصف دائرة حول الطاولة لكنّ (لان) تصرّفت كأنّها لم تسمع شيئاً ولم تحرّك عينيها عن هيكل الصّلصال الذي أمامها. من المستحيل التّصديق أنّها الفتاة ذاتها من سايفون، فقد أصبحت الآن ممثلة الخدود والأذرع وشعرها لامعٌ مربوطٌ على شكل ذيل الفرس بشريط زهريّ، مرتدية سترة سندريلا زهرية اللون وسروالا.

«(لان؟)» قالت هيلين: «ألا تتذكّريني؟».

نظرت الفتاة نظرة ملل ثقيلة كأنّها تعدّ نفسها لاهتمام إضافي غير مرغوب به. اقتربت هيلين أكثر وانحنّت لتعانقها. كانت رائحتها جميلة والأدوية لها رائحة شراب السّعال. وكان من الواضح عن قرب أنّ وجهها منتفخ وأن عينيها جافتان وقاسيتان. تساءلت ما الأدوية التي كانوا يعطونها إيّاها؟ بقي جسم (لان) مرتخيّاً بين ذراعيها.

جلست على مقعد بلاستيكيّ صغير. كانت الطاولة ممثلة بالألعاب لكنّ (لان) لم تكن مهتمة إلاّ بكرة الصّلصال التي بين يديها. كان عندها ألعابٌ مقلّة تبعث على الكسل كتصرّفات الحيوانات في الحديقة. «لديك الكثير من الألعاب» قالت هيلين. أمسكت (لان) بيدها وقالت: «هل أحضرت لي الحلوى؟».

ضحكت هيلين بارتياح لحدة ذاكرة الفتاة. جعلها الأطباء الواقفون حولها تشعر أنّه يجب عليها أن تقدّم لها شيئاً ما. «كنت أحضر لها الحلوى في سايفون».

هرّت (لان) رأسها وقد نفذ صبرها ومالت بذقنها بحدة. «كان سام يحضر لي الحلوى. ماذا أحضرت لي الآن؟».

«أتيت لألتقط صوراً من أجل المجلّة».

تساءبت (لان) وقالت: «أنا جائعة».

مشيت الممرضة إلى الأمام بحماس وقالت: «سأحضر لك بعض الطعام يا حبيبتي».

«أريد الهامبرغر». قالت (لان) عندما ذهبت الممرضة وأغلقت الباب خلفها.

نظرت هيلين إلى (لان) وإلى الأطباء وقالت: «هل نبدأ بالتقاط الصور؟».

«ماذا ستعطيني؟» صرخت (لان).

تحرك الأطباء مبتعدين خلفها وتهامسوا وكتبوا ملاحظات في ألواحهم. بدأت (لان) تغني بصوت ناعم، ثم بدأت كلماتها تملأ تدريجيًا حتى أصبحت مسموعة بشكل واضح: (كان هناك فتاة من كونتوم، لكن هل كانت تحب القنابل...).

«لا» انحنى هيلين لتسكت الفتاة. «يجب ألا تغني في المشفى، لا تدعيهم يسمعون». شعرت بإحراج كما لو أنها تتكلم مع والديها.

استهجن (لان) الأمر وشدت شعرها لتقطع بعض الصفائف وترميها على الأرض.

«ماذا تريدني أن أحضر لك في المرة القادمة؟» قالت هيلين بعد أن قرّرت مساومة الطفلة.

«كاميرا» قالت «سام وعدني أن يحضر لي كاميرا وكذب عليّ وذهب ليموت بدل أن يحضرها». تجمدت هيلين من وقع تلك الكلمات ولاحظت (لان) ذلك بعد أن انتبهت فجأة «كذب عليك أنت أيضًا؟».

«لقد تعرّض لحادث يا (لان). هو لم يرد أن يموت».

«أمي تقول إنه لا وجود للحوادث وأنا فقدت رجلي لأنني فتاة غبية».



«هذا غير صحيح. لم يكن ذلك ذنبك».  
«كنت أقطف الخضراوات لأنها تكبر، ولأنّ ذلك كان أسهل  
من الذهاب إلى مكان آمن».  
«لقد كان ذلك حادثاً».

عادت الممرضة وهي تحمل صينيّتين من طعام الكافتيريا،  
وضعت واحدة أمام كلّ منهما. غمزت لهيلين «إذا أنهيتما طعامكما  
فسأحضر لكما الحلويات».

احمرّ وجه (لان) وقطّبت حاجبيها وقالت: «أمّي على حقّ،  
لا وجود للحوادث، أنت غبيّة».

أخذت هيلين نفساً عميقاً، وأحسّت فجأة بالتعب من فكرة  
جلسة التصوير تلك ومن المجهود الزائد، أرادت فقط أن تهرب  
من جنون تلك الفتاة. «أتحبّين أمريكا؟» سألتها هيلين وانحنى  
لتُخرج الكاميرا من حقيبتها.  
«أريد تلك الكاميرا».

«هذه لي. سأشتري لك واحدة».

«أريد أن أعود إلى وطني. لماذا لا يمكن لوالديّ زيارتي؟»  
دفعت (لان) صينيّة الطعام عبر الطاولة لتطير عن طرفها  
باتجاه الأرض. «أكره الدجاج. (لان) فتاة مميّزة ويجب أن تأكل  
كلّ ما تريده». حرّكت نفسها إلى الجانبين على كرسيّها الصّغير  
وأمسكت بركائز الجدار وتحركت بسرعة كبيرة ففقدت توازنها  
ووقعت.

لم تتحرّك هيلين لتساعدها وعندما نظرت (لان) إليها ورأتها  
واقفة، بكت بصوت أعلى، فجاءت الممرضة بسرعة وانحنى على  
ركبتيها إلى جانبها.

«لا تلمسيني» صرخت لان «لا تلمسيني».

امتلاً وجه هيلين بقطرات العرق لدرجة أنها لم تستطع أن تتنفس، أعادها الاضطراب الذي يحدث الآن إلى غرفة الصليب الأحمر المنخفضة في سايفون وإلى رائحة البول والأجساد غير المفسولة.

تضاربت الصور في رأسها واحدة بعد الأخرى. نهضت هيلين على قدميها غير المتزنيتين كأنها تنهض من نوم ثقيل مخدر. كان واضحاً لها أنها مهما فعلت فلن تستطيع الهرب. حتى الموهبة الخطيرة أفضل من لا شيء.

ناقت إلى الهدوء والهواء البارد. علت صرخات أكثر وأكثر حتى أصبحت خارجة عن السيطرة، لكن هيلين لم تر أمامها إلا أطفال سايفون الجرحى مستلقين على الأسرّة مثل سمك السردين، والصّبيّ الصّغير الذي يأكل أوراق زهرة (الجهنمية) في الحديقة. اهترّت الكاميرا في يدها. و(لان) ارتعشت على الأرض عندما تجمع الأطباء حولها كجنديّ جريح يحيط به المسعفون.

خفت الصّرخات في الرّدهة، استندت هيلين على صورة أرنب مرسومة على الجدار وأغلقت عينيها.

خرجت الممرضة «أعتذر عن ذلك، لقد كان تصرفاً سيئاً».

«هل فعلت ذلك من قبل؟».

«نعم مرارا وتكرارا، وهذا أمرٌ بشعٌ صادمٌ للأطفال».

«لم تكن هكذا من قبل».

«أنت نفسك لا تبدين بخير. لم لا تستلقين وسأحضر الطبيب

ليراك؟».

«لا بأس. أنا بخير». تحرّكت هيلين باتجاه المصعد.

«ألن تودّعيها؟» قالت الممرضة.

«لا أريد أن أزعجها». تمتت هيلين بينما انفتح باب المصعد.  
«أستطيع أن أخبرها أنك ستعودين. أليس كذلك؟» صاحت  
المرّضة، لكن هيلين كانت قد ذهبت.

مشت هيلين وأمها مع (ديوك) بالقرب من بيتهما على  
الشّاطئ الهالتيّ الذي كبرت بقرية، وعلى الرّمال التي خطت  
عليها خطواتها الأولى لتتهادى إلى ذراعيّ والدها بجانب الماء  
الذي قضت هي ومايكل بجواره أوقاتا صيفيّة لا تعدّ ولا تحصى  
ليبنوا قلاع الرّمال، وأمهما الشّابة جالسة تتحدّث مع الأمّهات  
الأخريات وتحضّر السّندويشات والعصير المحلّى للفداء. سارتا  
تحت الجروف الكليسيّة، كان جسم (ديوك) الذهبيّ يتمايل بين  
الصّخور التي كانت هيلين وأصدقائها المراهقون يشعلون مواقدَ  
بالقرب منها في أوقات متأخرة من الليل ويتحدّثون ويحتسون  
الجعة الدّافئة بفرض أن يتجمّع الشّبّان والشّابات ويلتقوا في  
الظّلام ليستلقوا على الرّمال الباردة، ويستكشفوا بعضهم. كلّ  
ذلك الجمال وأولئك الصبية الذين تفوح منهم رائحة الشّامبو  
يتحوّلون لاحقا إلى أشكال من أكياس اللجثث. سارتا في وقت  
متأخّر عصرا والشمس بلون الرّعفران، صاحت والدّة هيلين وبدا  
وجهها شاحبا وملطّخا كأنّها تعرّضت لضربة ويدها مقبوضتان.  
«أمنعك، لا». قالت «هذا ليس عدلا».

«لكن ليس هناك فائدة». قالت هيلين «فأنا لا أنتمي الآن إلى  
أيّ مكان آخر».  
«لا...».

«أحتاج إلى أن أذهب». قالت هيلين.  
سارتا بجانب عائلات تتناول غداءها في وقت متأخّر مع  
أطفال، وكلاب يتراكضون ويطاردون بعضهم و(ديوك) يحوم

حول طاولات التّزهة المليئة بالطّعام يجلس حولها أناسٌ يتحدّثون ويضحكون كما اعتادوا أن يفعلوا، تعمّرت هيلين بشيءٍ حادٍّ في كاحلها فاختلّ توازنها وفجأة وقعت بشكلٍ جانبيٍّ على وجهها وتأرجحت مستتدة على كتفها، وعندما نظرت ورأت أنّه خيطٌ مشدودٌ إلى عصا صيد سمك مغروزة على طرف الماء، استدار صبيّان صغيران عن غدائهما لخوفهما أنّهما أصبحا في مشكلة بسبب ما حدث، فقدت هيلين سيطرتها على نفسها وبكت بشدة وضربت يديها على الرّمل الذي خانها وخانهم جميعاً لأنّ ذلك الخيط لم يكن كمينا فيه لغمٌ أو قذيفةٌ أو لم ينته بالموت، أمّها تجمّدت، بهاجس أنّها لم تعرف تلك المرأة المسكونة التي وقفت على قدميها وحركائها بدت غريبة كطيف ذاك البلد البعيد الأخضر، وعندما رأت بعينيها موت ابنتها الصّغيرة الشّقراء التي عدّتها ميّنة الآن كولدها، أدركت أنّها خسرتهم جميعاً، لم تكن بيدها حيلةٌ أمام هذا الشّيء الذي يسمّونه فييتام. حدّق الناس على طاولة التّزهة بصمت. تردّد رجلٌ كبير البطن بيده سندويشةً في الاقتراب منهما، (ديوك) ركض على طرف الماء بكرة في فمه والأمّ الشّابة ركضت إلى ولديها وحضنتهما بالقرب من ردفها، حيث كانت طبيعة الحرب تتشرّخ الخوف على تلك الرّمال وتجتاح أخيراً عودتها إلى الوطن.

(15)

## هانغ هوم نوك ران وكر الثمروسم الأفعى - مكان الخطر

نوفمبر 1968

عادت هيلين بعد غياب. وصلت إلى فييتنام في الليل، وعندما اقتربت الطائرة من مدرج مطار (تان سون نهوت) المظلم وأطفؤوا الضوء على اللوح ليتجنبوا هجمات الصواريخ أو المدافع، كل ما استطاعت أن تشعر به في ذلك الظلام هو الجذب المغناطيسي للمكان الذي يجزها لتعود إلى تلك الأرض، وشككت أن ذلك الجذب المغناطيسي هو الذي بذل مجهودا زائدا معها وأحضرها من كاليفورنيا، حتى ولو على نحو ضعيف.

وقفت عند باب الطائرة المفتوح غير قادرة على رؤية أي شيء في ذاك الليل الأسود كلون الإسفلت على مدرج الإقلاع، كان صوت الهواء صاخبا مع صوت محرّكات الطائرة التي تهدر استعدادا لرحلات الليل.

جعلتها الحرارة والرطوبة تشعر أنها سمكة أُعيدت إلى الماء. تنفّست بعمق تلك الرائحة المنسيّة المألوفة التي عدّبتها أثناء وجودها في الولايات المتحدة وقد أتت إليها أخيرا، الرائحة التي هي انبثاق لرائحة الأدغال والعفن في العالم الثالث، رائحة

القمامة وطعام الغداء والجلد غير المفسول الممزوج مع رائحة المجاري والديزل والمطر، إنه الوطن.

وقف لين وسط حالة الفوضى في المطار، لم يتغيّر. وكان أشهر الغياب كانت لا شيء. أحسّت بالرّاحة الكبيرة لرؤيته بشحمه ولحمه، كأنّها خافت أنّه هو أيضا تحوّل إلى شبح، أنزلت حقائبها وركضت إليه وعانقته وقبّلتها على خدّه.

ابتعد عنها لشعوره بالإحراج، ونظر حوله ليرى من كان يشاهدهما. كانت قد نسيت الكثير، كلّ صعوبات وعوائق الحياة في سايفون اختفت من ذاكرتها في لهفتها للعودة. أعطاهما لين وشاحها الذهبيّ.

أخذته ولقّته حول عنقها: «لقد افقدته».

امتعض لين: «لقد كان ملكك دوماً وينتظر عودتك».

«أنا سعيدة أنّي عدت». حاولت أن تخفي خيبة أملها من التّعامل الرّسميّ بينهما. عندما أرسلت إليه لتعلمه بعودتها عدّت إجابته بأنّه سيستقبلها في المطار بمثابة موافقة.

رأت تغييراً فيه، فقد زاد التعب على وجهه أكثر ممّا كان قبلاً. ببساطة لم تتوقّف الحرب فقط لأنّها غادرت البلاد.

«سعيدة حقّاً؟» سأله وحمل حقائبها.

«صدّق أو لا تصدّق». قالت «الوضع أكثر رعباً هناك من

هنا».

قال: «لا أفهم قصدك».

ركبا السيّارة في المدينة وعبرا مسافات جديدة في صمت. توتّرت الصداقة الحميمة السّهلة بينهما دون حاجز وجود دارو. كانت هيلين واعية لوجود لين كرجل، وأخرجتها حميميّتها اللّعبوبة السّابقة معه بما فيها أنّها قبّلتها في مكان عامّ. كان من الواضح

أن علاقة الصداقة بينهما قد وجدت بسبب دارو، ممّا سمح لها الآن أن تعرفه بطريقة لم تكن لتحدث لولا ذلك.

بدأت الأشياء أصغر وأقذر وأكثر دناءة ممّا تذكّرتها. تباطأت السيّارة عند بداية الرّفاق في تشولون، وكان الفجر في بدايته يتوهّج في أطراف السّماء عندما كان أوائل الثّجار يبدؤون حركتهم. مشيا في خطّ واحد ليتجنّبا المشي في البركة الكبيرة، كان لين في الأمام يحمل الحقائق حتّى وصلا إلى الشّقة الملتوية بسطحها الأزرق المائل الملتوي، والجصّ المهترئ بالبقع التي تغطّيها، وباب بوذا باهت اللون. وقفت هيلين في الرّفاق ورفعت بصرها وغمر قلبها مشهد المصباح الأحمر عند النّافذة. كانت بالنّسبة لها متعة تشعرها بالذنب مثل تدخين سيجارة بعد أشهر من التّقصّف. شعرت بالدوار في مجال رؤيتها. كان غير حقيقيّ قبول غياب دارو هنا، وحينها شعرت أنّ وجوده أقوى ممّا كان عليه منذ أشهر. لم يكن أي شيء كما كان عليه قبلا، لكن ما كان يضايقها أنّه كان بالإمكان إعادة الزمن.

«هل تزوّجت يا لين؟»

نظر إلى وجهها دون أن يتمكّن من معرفة إحساسها. «لا». لكنّها عندما بقيت صامتة تابع كلامه قائلا: «وقعت ثاو في حبّ ميكانيكيّ وتزوّجته السّنة الماضية. وهي حامل الآن». «أنا آسفة».

«أنا سعيدٌ من أجلها».

بدأت هيلين بعيدة عنه لدرجة أخافته وأشعرته أنّه لن يصل إليها، توقّع وكلّه أملٌ أنّها ستعلم بالمحادثات المتخيّلة التي أجراها معها في شهور الغياب، وكيف ازدادت الحميميّة في أفكاره. «نامي وسأعود إليك بعد الظهر».

«ابقَ لنتحدّث».

«أظنّ أنّه من الأفضل أن ترتاحي. كوني صبورة. طابت ليلتك».

تفاجأت في المؤتمر الصحفي كم كانت الغرفة ممتلئة بوجوه كثيرة لم تعرفها. كان هناك الكثير من الصحفيين الذين ملؤوا المطاعم والحانات بغرض الحصول على المعلومات. تعرّفت على عدد قليل من الصحفيين المتمرسين، وعندما انتبهوا إليها أتوا ليحيّوها ولم يتفاجؤوا من عودتها. بالنسبة للذين لديهم شهية كان الأمر ببساطة أنهم أرادوا أن يكونوا في مكان الحدث.

لأوّل مرّة منذ أشهر شعرت هيلين بالانتماء، وأنّها تفعل ما كانت تجيده، وأنّها مصدرّ من مصادر صناعة التاريخ لا القراءة عنه في الأوراق. لكنّها لاحظت عدم وجود أحاديث في الحفلات والتقارير الصحافيّة عمّا إذا كانوا قد ربحوا الحرب أم خسروها. فلم يعد ذلك الأمر قضية كبيرة.

عندما عادت إلى مكاتب المجلّة في أوّل مرّة، قابلها غاري بعناق كبير وصمت قاس.

«ما بالك؟» قالت.

«لم يكن من المفروض أن تعودني».

«افتقدتك كثيرا».

«كاذبة».

«ولين أرسل إليّ رسالة».

«لا تقلقي على لين. لم يكن يضيّع وقته. إنّهُ نجم المراسلين الجدد لديّ».

«لم يقل شيئا».



«لقد تغيّرت الأمور.. كوني حذرة، فالوضع يسوء يوما بعد يوم».

ذهب لين وهيلين في جولة إلى (بونغ سون). تاقت هيلين لمغادرة دفع سايفون. أعطيت أوامر لها ألا تستحمّ بالماء والصابون أو الشّامبو وألا تطعّ العطر. تمّ اكتشاف الكمائن لأنّ الفيتناميين يمتلكون القدرة على أن يشمّوا الغربيّين الذين يضعون العطر من مسافة بعيدة.

أثناء التّحضيرات ذاك الصّباح اشترى أعضاء الفيلق غالونات من صلصة السمك المخمّرة، ضحك لين بعد أن لطّخوا بها ملابسهم الكتانيّة ولباسهم العسكريّ.

أخذ عنصرٍ من الصّف الأوّل الخاصّ عمره تسعة عشر عاما يدعى (كري) كمية كبيرة من الصلصة وضعها على ظهر هيلين وبدأ يفركها. «لو سمحت لي يا سيّدي؟».

تصرّفت هيلين بلطف مع أنّ الرّائحة أصابتها بالغثيان، وسيكون عليها أن ترمي لباسها الذي صنعه لها الخياط بعد ذلك.. ما من غسيل مهما تكرّر يمكن أن يخفي تلك الرّائحة. «ألن يشكّوا إذا فاحت رائحة صلصة السمك في جزء من الأدغال؟» سألت. لكنّها شعرت بالحماس والانتباه للمرّة الأولى منذ شهور، وأكسبتها تلك الحملة إحساسا بالحيويّة، واختفى خوفها الواهن في إحساسها الجديد بالثّقة.

«لا. فبعد عدّة أيام ستكون رائحتنا مثل أيّ شخص مجند وضيع».

نظرت هيلين باتجاه لين لترى إن كان سمع. لكن بدلا من خفة الرّائحة أصبحت أكثر نتانة. وتسألّت من الملابس الكتانيّة إلى جلدها وغاصت في مسامها حتّى غمرتها

بالكامل، ثم ألقتها عن خطر الجولة. أعاد العرق تنشيط عجينة الصلصة حتى علقت في حلقتها وأحرقت عينيها، ثم اخترقت شعرها كدخان السجائر حتى صدرت رائحتها العفنة منه أيضا. بعد يومين من الجولة كانوا في عمق الأدغال جالسين تحت قبة أشجار المظلة ليمضوا الليل. تم توزيع الوجبات والبريد في وقت مبكر، وذهب (كربي) إلى هيلين التي كانت جالسة على صخرة تحدق في صحن اللحم والفاصولياء الخاص بها.

«ألسنت جائعة؟» قال. كان جسمه نحिला وملامحه ناعسة لدرجة أنه من الممكن رؤية الخوف فيها. «أنا جائع طوال الوقت». قالت: «رائحة السمك تجعل طعم كل شيء سيئا».

«لن يهملك ذلك إذا كنت جائعة بما فيه الكفاية».

«أتريد وجبتي؟» جلسا بصمت لدقيقة. «هل حصلت على أية رسائل؟» سأله.

«من والدي».

«هل اشتقت للوطن؟ أنا اشتقت».

«أسمعك وأفهمك بوضوح». قال (كربي) ووجهه مسترخ بعد أن استند على ظهره ووضع رأسه على منحنى ذراعه، وأراحه الاعتراف المتبادل بالخوف.

«أحلم برحلة العودة إلى الوطن: والفتيات اللواتي ينتظرن بطل الحرب، والناس الممتنون سيمشون في موكب من أجلي، وستبدو الحياة كواحدة من تلك الإعلانات الغبية».

«سيحصل ذلك». قالت هيلين وهي تحرك طعامها الذي بدا مقرزا أكثر «أنت أحد المحظوظين».

نظر إليها وجعد أنفه. «أنت تغيظيني».

«لا. صدقني». لم تُرد أن يعطيها دوره الجديد تشجيعا.

لم يكن الأمر مضمونا. لم تُرد أن تعرف مسبقا ضعف فرص  
 نجاة ذاك الصبي الخائف الذي لا يصلح للأخطار.  
 «لا أستطيع أن أعرف إن كنت فعلا مخطئة؟» قال.  
 أعطته غداءها وقالت: «ستكون على متن تلك الطائرة».  
 نظر (كري) إلى وجهها لدقيقة ثم اقترب أكثر حتى استطاعت  
 هيلين أن تشم رائحة صلصة السمك ممزوجة بشيء من طعم  
 الحلوى. تكلم بهمس خفيف.  
 «هل أخبرك شيئا بصفة شخصية؟»  
 «بالأكيد».

تصلب وجهه. «أنت تعرفين ذلك الحلم الذي كان مجرد حلم  
 مثير. وأنا أعرف أن الأمور لن تكون هكذا. وهذا يقلقني...»  
 توقف عن الكلام لدقيقة وبلع طعامه بصعوبة. «ماذا لو تغير كل  
 شيء؟ ماذا لو ألحقت العار بوالدي؟ ماذا لو فقدت رجلي وقررت  
 صديقتي أن تكون مع أحد أولئك الشباب الذين يرون أن الحرب  
 فاشلة؟»

أحست هي الآن بالخوف بدلا عنه، وقالت: «ستكون محظوظا،  
 محظوظا، محظوظا».

في الصباح التالي فتحوا غالونا جديدا من صلصة السمك  
 وتم إعطاء أوامر لهم أن يمسحوا أنفسهم بها. وصلوا إلى  
 طريق تزويد للمؤن، وظهرت فيه علامات سفر لم يمض عليه  
 وقت طويلا، فنصبوا كمينا هناك. جعلتها القوة المجتدة لرائحة  
 السمك تشعر بالغثيان، ولم تستطع أن تتناول فطورها. بحثت  
 عن لين وانتظرا سويا خلف ساتر ترابي. كانت قلة الخوف تجربة  
 جديدة، لكنها وصلت إلى النقطة التي كادت تشعر فيها بالملل.  
 قررت بعد ساعة ونصف أن تربط منديلا حول أنفها، وبدأت

تتقّب في حقيبتها عندما صدر صوت انفجار عال على يسارها .  
أغلقت جفونها وسطع خلفهما ضوءٌ براقٌ بشكل نجمة البحر  
تتخلّله عروقٌ ورديةٌ . كان هناك سكينَةٌ في تلك الرؤية فلم ترد أن  
تفتح عينها على الفور .

اتخذ أفراد الفيلق من حولها وضع القرفصاء ليطلقوا النّار  
مرّة بعد مرّة إلى الأدغال المحيطة حتّى أصبح الهواء ثقيلاً  
برائحة بارود الأسلحة . أشار الكابتن إليهم لإنهاء إطلاق النّار ،  
لكن الأمر أخذ دقيقة أخرى ليصل إلى الجميع ، ودقيقة إضافية  
حتّى توقّف الإطلاق بشكل كامل . في منتصف الطريق رأوا جثة  
أحد عناصر جبهة تحرير فيتنام كان قد أتى إلى الكمين ورمى  
قذيفة واحدة .

«ضع خرطومًا في فمه ، سيكون رشاشًا مثاليًا» . قال (كربي) .  
تمّ كشف المخبأ ، واتّصل الكابتن ليتّم الإخلاء . شعرت هيلين  
برنين في أذنيها ، وعندما تحرّكت لتقف شعرت بألم خفيف .  
حاولت أن تستند على ركبتها ومال رأسها بقوة إلى اليسار  
وشعرت بسائل دافئ يربّط حضنها . مدّت يدها ولمست معدتها  
بحذر بينما كان المسعف يفحصها .

«أوه» . قالت بشروء كأنّها وضعت شيئًا في غير مكانه .  
تمّ وضع الكمّادات والضمادة ، وهي مستلقية على ظهرها  
في الطّين وواعية لصمت كلّ الرّجال من حولها . كانت في ذلك  
اليوم متأكدة أنّها لا تُقهر حتّى بدا لها أن تعرّضها للأذى نكتة  
سخيفة . عادت إلى رأسها كلّ التّحذيرات التي سمعتها مرارا  
وتكرارا ورؤية النّساء الجرحى التي أضعفت معنويّات الرّجال .  
«أنا بخير» . قالت للمسعف . «إنّه مجرّد خدش بسيط ، حان  
وقت الاحتفال» .

انتشر تأثير المورفين في أجزاء جسمها، وأحسّت بجسدها يمتصّ الصدمة ويعود لتوازنه. أخافها فهمها لما يحيط بها مع عدم قدرتها على الاهتمام بالنتيجة. أثناء وجودها الأول في البلد كانت مهووسة بالتعرّض للأذى، لكن هذه المرة لم يخطر ذلك الاحتمال ببالها أبداً.

شعرت أنها منيعة بحزنها. كان صوت النّقالة التي حملتها إلى المروحية مؤلماً لكنه بعيدٌ كلّ البعد عنها. آخر شيء رآته بعد أن حملوها كان وجه (كربي) المخدوع. أيّ كاهن هذا الذي لم يتمكن من التنبؤ بنهايته؟

أمسك لين يدها، وحاول أن يبقى على انتباهها كأنه يلفّ خيط طائرة ورقية تواصل الابتعاد. «هل أنت بخير؟». «حظٌ سيئٌ». قالت «في أوّل مرّة نخرج فيها». «أظنّ أنّه خدشٌ فقط». قالها آملاً أن تكون تلك هي الحقيقة. لكنّ كليهما خاف ألا يكون الأمر كذلك.

كانت العملية الأولى في المستشفى الميداني ناجحة، ولكن أصابتها الحمى في تلك الليلة، ومع الصباح التالي عانت من نزيف داخليّ، وتمّت إعادتها سريعاً إلى غرفة العمليات بعد أن فقدت وعيها عدّة مرّات. كلّ ما استطاعت أن تتذكّره أنّها استيقظت مترنّحة بعد العملية الجراحية، وكانت الممرضة تهزّ رأسها وهي تقول إنّ الأمور يجب ألا تحدث بهذا الشكل، والآن الجراحون كانوا جرّارين وغير معتادين على إجراء العمليات للنساء. مع ذلك، لاحقاً عندما استعادت وعيها بشكل كامل، جاء طبيب إليها وأمسك بيدها ليخبرها أنّ عملية استئصال الرّحم أوقفت النزيف وأنقذت حياتها، مسح وجهه وقال: «لقد كانت ليلة طويلة». ثمّ غادر وبقيت وحيدة تسمع صوت صخب المروحيات

القادمة والأنفاس المرهقة البطيئة للجرحى في الأسرّة التي حولها.

عندما أتى لين، أحنى رأسه وقال: «أنا آسف...». واختفى كلّ الارتباك الذي ظهر بينهما منذ عودتها.

«لقد نجوت». أجبرت نفسها أن تكون رابطة الجأش وغير مبالية لأنها لا تستطيع أن تحتمل شفقتة.

«كان يجب أن أكون مكانك».

«أن تكون من تعرّض للأذى هو شيء أكثر سهولة من أن تشاهده».

عندما استعادت قواها وأصبح بالإمكان تحريكها تمّ تحويلها إلى جناح الباطنيّة في مأوى سفينة الولايات المتحدة على السّاحل. امتدّت فترة الشّفاء لأكثر من شهر بجرح بطيء التّعافي. أثّب الأطباء على المركب المسعف لأنّه لم ينظّف إفرازات الجرح بشكل أسرع. كان لين يزورها بشكل يوميّ، وكانت رائحة اللّحم المتعفنّ ثاقبة جداً في الجناح، لدرجة أنّه أخذ معه حبّات ليمون وقطعها إلى نصفين ليقرّبها إلى أنفه ويعصرها على يديه قبل وبعد الزيارة.

بعد أن استجمعت قواها لتفادر المكان أخذها هو وغاري إلى شقّتها في تشولون. كان من الأسهل أن تقيم في الكونتينيّنات لكنها ألحّت على أن الهدوء أكثر في تلك الشقة.

«لا أعرف ما الذي تريه في هذا المستنقع؟» تذرّ غاري. «سأجعلهم يرسلون إليك الوجبات من الفندق».

نظر لين وهيلين إلى بعضهما وضحكا.

«ما المضحك؟»

«الجميع يعرف أنّ هذا مركز الكون».

كان عند لين رفٌّ واحدٌ من الكتب أعطاه إياه دارو. أخذت هيلين أحدَ الكتب بغلافه الواسع وصفحاته المنتفخة والتموّجة بفعل الرطوبة، فتحت صفحة عشوائية ومن دون تركيز تبعت خريشات دارو على الهوامش والمقاطع التي وضع تحتها خط. وجدت في كتاب (لتاسيتوس) المقطع الآتي:

(يوجد بالتأكيد رعبٌ وخوفٌ، يمكن أن تمحوها روابطُ اتصال ضعيفةً، وأولئك الذين توقّفوا عن الشّعور بالخوف سيبدؤون بالشّعور بالكراهية. كلّ حواجز النّصر ستكون إلى جانبهم. لم يكن لدى الرّومان زوجات لإيقاد الشّجاعة في قلوبهم ولا أبوان ليسخرن منهم إذا هربوا، والعديد منهم لا بلاد لديهم، ولا أحد لهم في مكان بعيدٍ بقليل عدد أولئك الذين أخافهم جهلهم لينظروا إلى السّماء والبحر والغابة التي كانت كلّها أماكن غير مألوفة بالنّسبة إليهم، أصابهم التردّد والتخبّط كما لو أنّهم وقعوا صيدا في أخذ الشّباك، سلّمهم الله إلى أيدينا. وبين صفوف العدو سنجد قوّاتنا).

أغلقت الكتاب بسرعة. كانت تلك طريقة تعاملها مع الكتب الآن حيث كانت تتغمس في المقاطع كما لو أنّها أنهارٌ جليديّةٌ شديدة البرودة ولا يمكن تحمّلها لوقت طويل. لم تستطع أن تتخيّل قراءة كتاب من أوّله إلى آخره، كانت فكرة السرد قديمة وطريفة مثل كوب شاي دافئ في هذا العالم الجديد المتكسّر.

لم يكن ذاك كتابا من أفضل اختياراتها، لكن بالنّسبة لدارو بدا أنّ ذاك الكتاب لا يزال قيّما.

لكنّ شيئا ما في المقطع جعلها تفكّر بالشّابه الواضح بين ما جاء فيه ووضّع الجنود الأميركيّان، بل جعل تفكيرها يذهب باتجاه لين، فمنذ عودتها وجدت نفسها تتساءل عن حاله في أغلب

الأوقات وتفكر فيه. ألم يكن لين دون زوجة أو عائلة فيما عدا الظهور القصير والغامض لثاؤ؟ ماذا حدث؟ لم يتكلم عنهم أبدا رغم أن هيلين أعطته فرصا عديدة أخبرته فيها عن عائلتها. لين كان في بلده لكنه لم يكن جزءا من ذاك الوضع السيئ. تساءلت أين قلبه؟ كيف يمكن للمرء أن يرضى عن نفسه بأن يكون مع طرف ثم مع الآخر؟ ماذا جال في تفكيره عندما خونه الجنود الأمريكيان؟ أو ما هو أسوأ عندما عذبوا الفيتناميين؟ ألم يكن لديه أشياء مشتركة أكثر مع أبناء بلده حتى لو كانوا من الأعداء؟ ماذا كان شعوره عندما سمع كلمات مثل الجنود العفنين أو أصحاب العيون المائلة؟ وفي النهاية من سيكون المنتصر بالنسبة له؟ ربما النصر الوحيد الحقيقي لأيّ منهم سيكون السلام.

ابتعدت لإحساسها بالذنب عندما دخل من الباب حاملا طعام الفداء، وأوقعت الكتاب من يدها وكأأنه قد أوقع بها وهي تفعل شيئا خاصا أو منغمسة في لذات شخصية.

كان لين يحضر شيئا كل يوم ليجذب انتباه هيلين؛ ففي أحد الأيام أحضر ثمار الديوريان الفواحة كالجن الناضج، وفي اليوم التالي أحضر صندوقا من البخور ثم حصوة نهرية ملونة. كانت تشعر بمتعة طفولية في الأشياء الجديدة وتنتظرها بتوق. اشترى تسجيلات موسيقية كلاسيكية فيتنامية استمعا إليها عند المساء. وفي إحدى الليالي كانا يلعبان الورق عندما قالت هيلين إنها متعبة.

«أتريد أن تتامي؟»

«أحك لي قصة».

وبدأ لين يروي كل الحكايات الخرافية التي تعلمها منذ صغره. وعندما نفذت حكاياته أحضر قصيدة حكاية (كايو)



الملحميّة، وترجمها لها صفحة صفحة، وقال إنّ هذه الحكاية من أحبّ الحكايات الفيتناميّة. بدأ كل منهما يفهم الآخر خلال تلك الأسابيع بطريقة لم تكن متوقّرة لهما قبلا، ودون أن يخبرها، في إحدى الليالي قرأ على مسامعها بصوت عال المسرحيّة التي كتبها له (ولماي) وهي الأخيرة التي أديها سويا. وعندما أنهى قراءته سكنت هيلين للحظة.

«هذا جميلٌ جدا. ما اسمها؟».

«ليست معروفة كثيرا».

«من المؤلّف؟».

قال بتردد: «أنا».

«لم يكن لديّ فكرة عن قدرتك على الكتابة».

«كنت أحلم في السّابق أن أصبح كاتب مسرحيّات».

أومأت هيلين: «كان بإمكانك أن تكون كاتباً جيّداً. وما زال بإمكانك ذلك».

«هذه الأشياء غير مهمّة في الحرب».

«ربّما هي مهمّة في وقت الحرب أكثر من أيّ وقت آخر».

«ربّما؟».

«هل كتبت قصصا أخرى؟».

كانت المرّة الأولى التي يُظهر فيها لين كتاباته بدءاً من الدفتر الحلزونيّ الذي أعطاه إيّاه دارو في إنفكور. وفي كلّ ليلة كانا يتناولان الطعام ثمّ تستمع هيلين إليه. لم يشعر لين باهتمام أحاذ مخدّر منذ وقت طويل. عندما شارفت الصّفحات على الانتهاء بدأ بالكتابة من جديد. وبهذه الطّريقة، عاد إلى حياته الحقيقيّة.

تعافت بعد شهر حيث أصبح بإمكانها أن تبقى وحدها.

وأصبح لين يغيب لفترات أطول ليتابع المهمّات الموكلة إليه. وفي أحد الأيام، مع أنّه ترك لها طعاما أرزًا محلى وبرتقالا طازجا وبرتقالا هنديًا قبل أن يذهب، لكنّها تاهت إلى طبق حارّ من المعكرونة الفيتناميّة. تحمّلت أثناء وجودها في المستشفى حماية مخصّصة مؤلّفة من طعام نشويّ مدهن فقط مع البطاطا المهروسة. بعد استلقائها على السرير ساعة بعد ساعة زاد هوسها بفكرة الحساء اللّاذع، واقتنعت أنّ طبقا واحدا منه سيعيد إليها قوّتها.

لم تُرد أن تعترف أنّ السبب الحقيقي لانقضاضها على كشك بيع الحساء يمكن أن يكون أنّها لم تُرد أن تختلي بأفكارها. لقد حدثت الإصابة وعمليّة استئصال الرّحم بسرعة كبيرة جدّا، ولم تتعامل مع عواقب تلك الحادثة. كانت تتمنّى أن يكون لديها أطفال في المستقبل البعيد لكنّ هذا الخيار لم يعد متاحا لها الآن. تجنّبت الكتابة لأُمّها عن الأخبار التي تُظهر ما فعلته بمستقبل العائلة. لكن حتّى الحزن بدا تصرّفًا مُترفّا أمام كلّ هذا الموت الذي يحيط بها، موت العديد من الأطفال والعديد من الآباء والأمّهات. كان حزنها يبدو قليلا في محيط تلك الأحزان. ارتدت هيلين ملابسها بحذر مع الألم الذي كان يطعنها في معدتها في كلّ حركة. واستخدمت عكّازا لتنزل الدّرج خطوة خطوة. أصبح من الواضح لها عندما وصلت إلى منتصف الدّرج أنّها أخطأت بالخروج لكنّ رغبة خالصة حثّتها على المتابعة كجنديّ ينقذ أحد الأوامر، وأن أكثر ما يهمّه هو عدم الاعتراف بالهزيمة. تشكّل العرق على جبهتها وارتعشت قدمها كأنّهما يتوغّدانها بالانزلاق من تحتها. أمسكت بالعكّاز بقوة واستندت على الجدار، فمن الممكن أن تسبّب لنفسها الأذى إذا سقطت

عن الدرج وكُسرت رجلها، حيث سبتقى محاصرة في بيتها لساعات. زال تأثير المسكنات لأنها منعت نفسها من أن تتناول كمية كبيرة منها لقلقها من الآثار الجانبية كالدوار، حتى تعود من نزهتها. كانت تفكر أن تتناول حبة واحدة حين عودتها إلى السرير بعد أن تكون قد ملأت معدتها بالحساء. أسندت نفسها على كل درجة من الدرج وهي تلهث حتى وصلت في النهاية إلى باب بوذا الموجود في الأسفل.

لاحظت عند نهاية الدرج المظلم أن الخشب الخلفي للباب كان قد صار أسود بسبب الأكسدة. وفي أحد الألواح كان هناك شق صغير بحجم شعرة يمر من خلاله ضوء الشمس. بدا الباب سليماً وغير مكسور من الخارج، والأمر الذي جعلها تلاحظ كل هذه الأشياء هو الفراغ الكبير الذي كانت تحس به.

وفي الشارع أعاقها اشتداد الحر وضوء الشمس من جديد لكنها استطاعت أن تمشي على الأرض المستوية.

عانت في الوقت الذي عبرت فيه الرقاق إلى الشارع الرئيسي الذي كان فيه كشك بيع الحساء. كان جسدها كله يهتز من آثار الألم والإعياء.

تعرفت عليها بائعة الحساء، وقدمت لها المقعد الفارغ، ثم بدأت بصنع الحساء بالطريقة التي تفضلها هيلين؛ حيث وضعت الكثير من الفلفل وصلصة الصويا، لكنها عندما قدمت لها الطبق، انحنت هيلين وبدأت ترتجف ولم تستطع أن تحرك شيئاً إلا رأسها.

نظرت العجوز إلى وجهها لدقيقة ثم نادى ابن أخيها الصغير الذي كان يعمل لديها فانطلق مسرعاً.

بعد نصف ساعة عاد الصبي في سيارة أجرة. نزل منها

لين وقد ترك باب السيّارة مفتوحا دون أن يدفع الأجرة للسائق،  
وركض إلى خلف العربة حيث كانت هيلين متكورة على بساط  
تحت ظلّ مظلة العربة. نزل على ركبتيه ووضع يده على جبهتها.  
«هل أنت بخير؟»

«أشعر بدوار، لم يكن يجب عليّ أن أنزل».  
«أتستطيعين الجلوس؟»

تحركت هيلين برفق خوفا من أن يتمزّق جرحها الداخلي،  
وجعلها جهد الحركة تصرّ على أسنانها وهي تتكلّم لعدم قدرتها  
على استخدام ساعدها، فانزلقت من جديد على الأرض وغمرتها  
موجة سوداء تأتي وتذهب.

«أيمكنك أن تضعي ذراعيك حول رقبتني؟»  
جهدت نفسها في أن تنهض مركزة على وجه لين. أومأت له.  
رفعها كما لو كانت مكسورة وحملها على طول الرّفاق. أراحت  
هيلين رأسها على كتفه وشعرها يطير حول معصمه.

عرف أنّ للجسد ذاكرة خاصّة به. فهيكل الطّفّل بين ذراعي  
الإنسان يبقى محضورا للأبد، وشكل ذقن الحبيب يبقى. أما وزن  
هيلين بين ذراعيه فقد حطّم قلبه. تمثّى أن تكون رحلة العودة  
إلى الشقّة أطول بعشر مرّات أو بمئة مرّة، وتمثّى لو تمكّن من  
حملها والسير بها طوال الليل وطوال النّهار، وتابع المشي.

تمثّى أن يكرّر الرّحلة حتّى تنتهي بنتيجة مختلفة. كان  
سيموت ماشيا وهو يشعر بالسعادة، عرف أن تلك الرّغبة كانت  
خاطئة لكنّه استمرّ بالنّظر إلى وجهها.

مع نزع غطاء الطاولة البلاستيكيّ أعلنت العجوز عن إغلاق  
كشكها هي والصبيّ وسائق السيّارة، الذي أغلقها وأخذ المفاتيح  
ومشى مبتعدا وهو يصرخ في النّاس لكي يتنحّوا جانبا. تورّط

الصبيّ في الحدث أيضا والعجوز أصابتها الصدمة والسائق كان يريد أجرته. وعندما وصلوا إلى المبنى فتحت العجوز باب بوذا وتبعتهم إلى الأعلى مع أنّ رجلها المصابة منعتها أن تسبق لين الذي كان يحمل ثقلا. عندما استلقت هيلين على غطاء السرير الأخضر بلون النعناع أبعدته العجوز وأغلقت الستائر التي بين الغرف وساعدت هيلين أن تغيّر ملابسها وتغسل وجهها. لم يكن للرجال مكانٌ هناك حتّى لو كانت هي من تلك النساء الغريبات المتحرّرات.

ذهب لين إلى الباب ودفع للسائق. وكان في غمرة قلقه قد نسي هذا الأمر حتّى قام السائق بتذكيره. وبعد نصف ساعة بدأ تأثير مسكّنات الألم يفعل فعله، وبدأت هيلين ترتاح. عرض لين المال على العجوز لكنّها رفضت.

أدارت هيلين رأسها بنعاس، وقالت بالفيتناميّة: «شكرا يا جدّتي. وداعا».

ابتسمت العجوز ابتسامة أظهرت سنّها الأسود وسألت لين: «هل بإمكانها أن تتحدّث الفيتناميّة؟».

«نعم لكنّي لا أجيدها». أجابت هيلين.

هرّت الجدّة رأسها بذهول وأخبرت ابن أخيها أن يذهب ليحضر بعض الشاي. «عليّ أن أقرأ طالعك يا ابنتي».

عبس لين، فقد فضّل أن يكون وحيدا مع مشاعره الجديدة على أن يكون مع عجوز تؤمن بالخرافات. «ليس الآن، هي متعبّة وهي لا تؤمن بتلك الترهات».

قالت هيلين: «لا بأس دعها تفعل».

نظرت إليه الجدّة نظرة نصر: «صحيح أنّها أجنبيّة لكنّها تمتلك حكمة أكثر ممّن ولدوا هنا». نظرت في أرجاء الغرفة

وهي تنتظر ورأت طبقا على الطاولة التي عليها حلّي من قلائد وأقراط.

بعد أن صبّت الشاي، نظرت هيلين إلى المعجوز وهي تحمل كأسها وتحقق داخله عابسة ثم ذهبت إلى النافذة ورمت محتوياته في الحديقة الموجودة أسفل المبنى. «هناك من يحبّك، عليك أن تكوني حذرة فهذا الحبّ قد يسبّب لذاك الشخص بعض المشكلات».

شرد ذهن هيلين ولم تقل شيئا.

«قلت لك إنّ كلّ كلامها غير منطقي». قال لين، ثم استدار باتجاه الجدة وقال: «لنوفّر لها بعض الهدوء لتتأمّن».

«لا هي على حقّ». قالت هيلين. «ربّما الطالع بالنسبة للغربيّين يتضح فقط بعد ظهور الحقيقة. أي بشكل عكسي».

«هذا اللغو يبقي هذا البلد متخلّفا».

حدّقت المعجوز في لين بقوة وقالت: «أنا ذاهبة». لقد كان صعب المراس، لكنّها لم تخف منه على الرّغم من قوّة الشائعات التي تكلمت عن ارتباطه بجهة تحرير فيتنام وزعيم المخدرات باو. نادتها هيلين: «ما اسمك؟».

قالت الجدة شيئا لم تتمكّن هيلين من فهمه، ولين يضحك ساخطا بينما يرافقها إلى الخارج. «ماذا قالت؟».

«قالت إنّها الجدة سونغ التي ستحضر لك الحساء كلّ يوم لكي لا تكسري رجلك وأنت تنزلين الدّرج».

وقّعت بوعدا في كلّ يوم، كانت الجدة تعبر الرّفاق وتصعد الدّرج بنفسها وابن أخيها يحمل قدرا مغطّى من الحساء، وهي تحمل جريدة تلفّ فيها أزهارا حصلت عليها من ابنة أخيها التي

كانت تعمل في السّوق. سمع الجميع بقصة الصّحافيّة الأمريكيّة التي خاطرت بحياتها من أجل طبق من حساء سونغ، ومهما طالّت زيارتها لكشك المعجوز كان هناك دوما صف من النّاس بانتظارها. لقد ازدهرت تجارة المعجوز. نشر أحد الحمقى إشاعة أنّ الحساء يحتوي على عشبة طبيّة تعيد الخصوبة، وهذا هو السبب الذي جعل الأمريكيّة ترغب به بشدّة. كان العمل مزدهرا لدرجة أن المعجوز فكّرت بفتح كشك آخر على بعد عدّة أبنية لكي تتمكّن من التّعامل مع المتهافتين على حسائنها. كان للحظّ تقلبات غامضة.

جلست لوهلة فوق الكرسيّ الموجود بجانب النّافذة المفتوحة ورجلاها منفرجتان في بيجامتها الواسعة، وقدماهما المتصلبتان ممتثلتان بالغبار في صندلها. تبادلت هي والمعجوز الجمل ذاتها كأنهما تقولانها للمرّة الأولى. أحسّت الجدّة بالإهانة عندما تلقّت إكراميّة فوق ثمن الحساء، لكنّها لم تعارض تلقّيها لهدايا كعلب سجائر أمريكيّة في بعض الأحيان.

أشارت المعجوز بإصبعها إلى القلائد الموجودة على الطّاولة وجربتها أمام المرآة. وفي مرّة عندما لم تكن هيلين منتبهة فكّرت المعجوز أن تأخذ سلسلة ذهبيّة صغيرة، لكنّ هيلين استدارت وعرضت عليها القلادة إذا كانت ترغب بها. ربّما كانت هي الأمريكيّة الوحيدة التي كانت خارج السّجن والفيتناميّون في الدّاخل كما يقال. وضعت الجدّة القلادة في مكانها بسرعة وشمرت بالعار. كان الأمر ردّة فعل لعادة سيّئة وهي استغلال الأجانب.

في الأيّام التي كان فيها لين بعيدا كانت الجدّة تسخّن الماء للشّاي وتصبّه لهيلين. كانت تعبس كلّ مرّة تنظر فيها إلى محتويات الكوب، كان القدر هو ذاته في كلّ مرّة.

«لا.. لا أريد أن أعرف المستقبل ولا الماضي». قالت هيلين.  
 أومات الجدّة وقالت: «أنا أتكلّم عن المستقبل».  
 «لكنّ الرّجل الذي أحبّني مات».  
 امتعضت العجوز ونهضت «هذا الرّجل موجودٌ الآن».  
 عندما عاد لين إلى الشّقة ووجد أزهار الجدّة تجمّدت ملامح  
 وجهه. أخرجها من المزهريّة ورماها من النّافذة.  
 «ماذا تفعل؟» قالت هيلين.

«الأزهار تسبّب لي العطاس».  
 لم تقل هيلين شيئاً. وعندما أتت الجدّة في اليوم التّالي  
 توقّفت وحدّقت في الأزهار المرميّة المتناثرة على قرميد  
 الحديقة. وفي اليوم الذي يليه أحضرت زهوراً صفراء،  
 فوضعتها هيلين في قارورة إلى جانب سريرها. رآها لين  
 حالما دخل الشّقة. فأمسك الباقة وسحق تويجات الأزهار ثمّ  
 رماها في مجمرة الفحم وأشعل النّار فيها مستخدماً أعواد  
 النّقاب.

«لا تقل إنّ لديك حساسية من أوراق الورد؟».  
 «قولي لها ألاّ تُحضر الأزهار ثانية». قال بوجه عابس وتابع:  
 «لا تتعبني نفسك، سأقول لها أنا ذلك».  
 «أخبرني ما الذي يجري؟ ما خطب الأزهار؟».  
 أطفأ آخر الجمرات المشتعلة «لن تفهمي.. إنّهُ شيءٌ خاصٌّ  
 بالفيتامين».

«هذا ما تقوله دائماً».

«اسأليني عن أيّ شيءٍ آخر».

جلست هيلين على السّرير وفكّرت. كان وجهها متّقدماً  
 بابتسامة خفيفة «توجد إشاعاتٌ تقول إنّك تعمل مع (هوتشي).



(منه) وإنك جاسوسٌ، وهذا ما يجعلك تختفي وتغيب. وذاك الرجل الرّهيب الذي كنت معه، باو. إلى أين ذهبتما؟. أجاب أخيرا: «الأمر أكثر تعقيدا ممّا تظنّين». «أشرحه لي إذا».

«أحيانا من الممكن أن يشكّل ماضي المرء صعوبة في فهم حاضره. أنا أحبّ الأمريكيان لكنّي لا أعرف إذا كانوا صادقين مع الفيتناميّين أم لا. أريدهم أن يبقوا وأن يغادروا بالقدر نفسه». أخذ لين نفسا عميقا ثم هزّ رأسه. كيف بإمكانه أن يجعلها تفهم؟ إنّ علاقته معها ومع كلّ الأمريكيين كانت حقيقةً وفي الوقت ذاته مزيّفة أيضا. أرادها أن تغادر لكنّه أغراها بالعودة من جديد. ذاك الازدواج الذي في داخله مشابه لعلاقة والده المعقّدة مع الفرنسيّين. كيف لها أن تفهم؟ على الرّغم من كلّ الصعوبات التي واجهتها كانت لا تزال ترى العالم من خلال أصحاب الامتياز. كيف كان لها أن تفهم معنى أن تكون دخيلة؟ خاصّة في بلده. إنّ الأمريكيان في تفاؤلهم دعموا الطّرف الخاطئ؟ وهو طرفٌ لن يستطيع الاستمرار من دونهم.

بعد شفاء هيلين بشكل يسمح لها بالعودة إلى العمل أوكل غاري إليها مهمّة متابعة (لان) التي تمّت إعادتها إلى عائلتها من جديد. تجنّبت رؤية الفتاة لكنّها الآن اشترت لعائلتها الملابس وأدوات الطّبخ وهي أكثر الأشياء قيمة عدا عن الطّعام بالنّسبة للعائلة. أبعدت عن نفسها فكرة إعطاء الرّشوة. أما الطّفلة فقد اشترت لها كاميرا آليّة بسيطة والكثير من الأفلام. بدأت الخطّة تتضح في رأس هيلين؛ وهي أن تحضر الفتاة لتعيش معها في شقّة تشولون لتكون أقرب إلى المدارس ومراكز العناية الصحيّة. فأنشاء الحرب كان شائعا عند العائلات أن يعطوا الأطفال للذين يمكنهم المساعدة.

لم يوافق لين على سفرها إلى الرّيف لقلقه من صعوبة الأمر عليها جسديًا. تناقش مع غاري حول المهمّة، وغاري نظر إليه بدهشة لكّته لم يقل شيئًا. لم يدرك مدى تورّط لين في تحمل مسؤوليتها. «لم تعد مسؤولًا عنها الآن، والأمر يعود إليها إن أرادت الذهاب أم لم ترد. أنت أو هي.. لا يهمني من ينقذ المهمّة. لقد قدّم الناس التبرعات ويجب أن نتابع الحملة من أجلهم». استسلم لين إثر إصرار هيلين على الذهاب.

كان مستاء على متن الطائرة «تجيبين عن السؤال الآن، لماذا تصرّين على فعل ذلك؟».

كانت هيلين متعبة من تساؤلاته «هذا هو سبب وجودي على قيد الحياة، وهو ما يعطيني دفعا لأصحو كل يوم في الصّباح. أيرضيك هذا الجواب؟ نعم يجب أن أكون أنا من يفعل ذلك. فالمرأة ترى الحرب من زاوية مختلفة».

وصلا إلى قرية العائلة في مقاطعة (كوانغ نام) ليجداها محترقة بشكل كامل. ولا يوجد أيّ سجل عسكريّ عن إخلائها. اكتشف لين اسم القرية بالمصادفة عندما مشى بين بقايا البيوت المحترقة ووجد على الأرض إشارة خشبيّة صغيرة مكتوبا عليها بالفيتناميّة (هنا كانت قرية كوانغ نام).

لم يرَ لين خلال السّنة الماضية إلّا الدّمار في بلده يتسارع ويتسارع في أجزاء أكبر وأكبر. لم يستطع أن يشرح لهيلين شعور المرض واليأس الذي كان يسبّبه له ذلك. لم يستطع أن يعبر عن الفكرة اليائسة التي كانت تتميّى وجود أيّ شيء يوقف هذا الدّمار. ما لم تتمكّن من فهمه هو أنّ كلا الطرفين كانا على استعداد أن يدمّرا البلد ليحمّقا غاياتهما. إلى جانب من كان هو؟ كان إلى جانب من ينقذ الرّجال والنّساء والحيوانات

والأشجار والعشب وقمم التلال وحقول الأرز. ذاك الجانب الذي بإمكانه إنقاذ القرى والأطفال، والذي بإمكانه التخلّص من السّموم التي ملأت الأرض. لكنّه لم يعرف أيّ جانب كان ذلك.

عندما تواصل مع القيادة العسكريّة في فيتنام بمقرّها في (دانانغ)، تمّ توجيههما إلى موقع آخر تمّ إرسال القرويين إليه. بعد يوم آخر من الرّكوب في سيّارة الجيب عابرين الطّرقات اللينة وقضت هيلين أمام أحد السّجون المقفلة.. يملؤها الألم والغبار. كان هناك قرويون من مناطق مختلفة يتجمعون سوياً ويعيشون على أرض مفتوحة تحت أغطية الخيام لمُدّة تفوق الشّهرين، كانوا من دون عمل يضطّرون إلى أن يقفوا في صف ليتلقّوا معونات الطعام من الجيش.

لم يكن هناك سجلّ عن عائلة (لان)، لكن بعد تفقّد الأجزاء التي انعزلت ذاتيّاً من قراها الأصليّة، وجد لين أحد جيران العائلة، ومقابل عدّة دولارات عرف لين أنّهم هربوا مبكراً لأنّهم لا يثقون بالجيش الأمريكيّ، فانتقلوا إلى مقاطعة (كوانغ نغاي) المجاورة. «إنّهم أذكى منّي». قال.

«قالوا إنه لا شيء يأتي مجّاناً».

سافر لين وهيلين لمُدّة أسبوع من قرية إلى قرية على طول الطّرقات المليئة بالمطبات، وكانت الأيام تمرّ دون أن يكون الحظّ حليفهما. كانا يسمعان في بعض الأحيان أجزاء من الحقيقة وفي أحيان أخرى يسمعان بالكذب أنّ العائلة كانت منتمية إلى جبهة تحرير فيتنام واختفت في نواحي الشّمال، وأنّ رجل الفتاة قد نمت من تلقاء نفسها بشكل سحريّ، أو أنّ الفتاة ماتت، أو أنّ الأم هربت. كانت الشّائعات تتسلّل إليهما واحدة بعد

الأخرى حتى امتلأ رأساهما باحتمالات عديدة، كما كان الغبار يهبّ على الوادي والأرض المنبسطة في كلّ يوم.  
«ما الفرق؟» سأل لين «إنّها مجرّد فتاة أخرى».

لم تجب هيلين عن ذلك السّؤال، إنّ الطّلفة كانت مهمّة بالنّسبة لدارو. لكن كان هناك سببٌ آخر. عندما كبرت الحرب أكثر ازداد إحساسها بالعقم أكثر. منذ عودتها لم تكن قادرة على التّركيز على تجربتها إلّا بالتّركيز على جنديّ واحد فقط في كلّ مرّة أو على طفل واحد أو قرية واحدة فقط. كانت تلك طريقته في سرد قصصهم.

بعد أن طال البحث، أضعفتها قسوة السّفر وسوء الطّعام. قلق غاري من تأخّرهما فأتصل بهما طالبا منهما أن يستسلما ويعودا إلى سايفون لكنّها رفضت. اعتمدت على معرفة لين بالبلد لتكتشف الحقيقة. كانت عيناها تترجاه، أخبرني، فشرع قرويّ آخر بسرد قصّة مختلفة تماما، لم تعرف ما عليها أن تصدّقه وما عليها أن تتجاهله.

قلق لين ممّا كان سيحدث إذا لم يجدا الطّلفة، وقلق أيضا ممّا سيحدث إذا وجداها.

في كشك لبيع الشّاي على طرف الطّريق تكلم مع رجل عن عجلة درّاجته المثقوبة، واكتشف أنّه أحد أقرباء أمّ (لان). دلّهما الرجل على أن يذهبا إلى قرية على بعد ساعة باتجاه الجنوب. بدا أنّ هناك خلافا في العائلة يخصّ المال. ذهبوا إلى القرية وبعد أن سألا اكتشف لين أنّ أكبر البيوت وأكثرها ترفا يخصّ عائلة (لان).

عندما طرقا الباب استقبلتهما فتاة صغيرة تحمل مكنسة. كانت أمّ (لان) في الخارج تتجزّ عملا ووالدها كان مشغولا في

اجتماع في غرفة الطعام. طلبا منهما أن ينتظرا. عندما جلسا على مقعد في الحديقة دخل العديد من الناس وخرجوا وهم ينجزون المهام الموكلة إليهم. خرج الأب بعد نصف ساعة وهو رجلٌ قصيرٌ بأرجلٍ منحنية وأيدٍ خشنة كأيدي أي مزارع وصافح لين.

«نود أن نقابل (لان)» قال لين.

«حسنًا حسنًا. لكن هل ستكون هناك هدايا؟»

«لدينا أشياء سنقوم بتوزيعها. هل أنت بخير» لَوَّحَ لين بيده حول البيت.

نظر الأب إلى البيت ونفخ شفّتيه. كان يرتدي ساعة ذهبية واسعة حول معصمه «العمل متعبٌ وأنا مشغولٌ جدًا، ستأخذكم الفتاة إلى (لان)».

غادر الأب وعادت الفتاة التي تحمل المكنسة وأخذت الأغراض من هيلين ثم دلتّهما على الغرفة. كانت (لان) جالسة على الأرض وحولها مجموعة من الألعاب وفتيات أخريات جالسات حولها يرتدين ملابس بلون واحد، لكنّ (لان) كانت ترتدي ثوبا أسود من الحرير اللامع وفردة حذاء من الجلد الأسود ورجلها الصناعية غير موجودة.

«(لان)» قالت هيلين.

نظرت الفتاة في حيرة. كانت قد ازدادت وزنا وقماش الثوب مشدودٌ حول بطنها.

«أتذكريني؟ أنا هيلين؟»

أومأت الفتاة وقالت: «لم تحضري لي الكاميرا».

«أحضرتها لك اليوم».

توهّج وجه الفتاة «لنر».

أخرجتها هيلين وأعطتها إيّاها، لكن بعد أن ألقت الطفلة نظرة سريّة عليها وضعتها أرضاً لأنّها لم تعجبها.  
أتت الخادمة وأحضرت معها مشروبات غازيّة وبسكويتا مع زبدة البقول السّودانيّ. استخدم والدا (لان) الأموال التي أتتها من المجلّة والمعونات ليؤسّسا أعمالا كانت بادئة بالازدهار في اقتصاد السّوق السّوداء. عندما سأل لين عن الأقارب الموجودين في المخيم قالت الخادمة إنّ الأبوين غضبا عندما أتوا إليهما بأيّد ممدودة.

بعد أن أنهيا تناول المشروب والبسكوت طلبت هيلين من (لان) أن ترثدي الرّجل الصّناعيّة لتتمكّن من تصويرها صورة في الخارج لكن الفتاة أجابت أنّها لا تملك واحدة.  
«لَمْ لَا؟»

«الرّجل القديمة تؤلّمني».

«ليس هناك من لديه الوقت لكي يذهب إلى سايفون». قالت الخادمة «لقد ازداد وزنها كثيرا».

«النّاس يحضرون لي الأشياء الآن». قالت (لان) «أشياء أفضل بكثير». بعد التقاط الصّور شعرت (لان) بالملل، وعادت للعب مع الفتيات الأخريات، ولم تكلف نفسها أن تقول وداعا. بينما وضعا معدّاتهما في سيّارة الجيب ظهر الأب من جديد «هل التقطتما صورا جيّدة؟».

«نعم». قال لين «شكرا جزيلا».

«أنا أعرف أطفالا آخرين لديهم مشكلات ويمكن أن تصوّراهم أيضا».

احمرّ وجه لين بعد أن حمل الحقيبة الأخيرة.  
قادا السيّارة في صمت. وقفت قافلة أمامهما، وكان قد تمّ

تنظيف الطريق قبل ساعة على الأقل من عودة الازدحام إليه.  
أطفأ المحرك وتركوا سيارة الجيب في قافلة السيارات.

على طرف الطريق كان هناك مزارع يحرق حقل الأرز الذي  
كان مرتكزا على خندق. كردة فعل على المشهد بدأت هيلين تلتقط  
الصور، ستمرّ قرون قبل أن يطالب سوق الإعلام بصور مشاهد  
كهذه. ربّما ستكون هذه الصور تاريخيّة بعد قرون كالصور المعلقة  
في غرفتها التي تظهر عالما قد تلاشى.

وقف لين على جانب الطريق ويداه في جيبه.

«أردت أن أنقذها». قالت هيلين «خيالات الإنقاذ تسيطر

عليّ. كنت بحاجة إلى أن أنقذها».

«لم تكن تخصك لكي تنقذها».

«بالطبع لا». لم تكن تخص دارو أيضا. كان ساذجا فقط لمجرد

التفكير أنّ (لان) يمكن أن تعطي قيمة للأمور بعد أن قضى تلك

السنوات كلّها وهو يتغذّى على الحرب. كان من الأفضل إبعاد كلّ

التبريرات ليكون سبب البقاء هناك واضحا.

امتعض لين «عندما كان أبي صبيا صغيرا، أراد الفرنسيون

من الناس أن ينسوا بلادهم، علّمونا أنّ أسلافنا الفيّلان لهم

عيون زرقاء، وجعلونا ننسى أنّ لديهم ساعات ذهبية وزبدة الفول

السوداني».

حدّقا بصمت إلى حقل الأرز حيث كانت الشمس في وقت

العصر ترسل أشقتها إلى الماء. أخذ الفلاح ثوره وذهب إلى بيته.

قال لين: «أخبرتني أمّي أنّني إذا استيقظت مبكرا قبل الجميع

فسأتمكّن من سماع همهمة الأرز وهو ينمو. كانت النسوة تغني

أغنية شعبية:

«من أجل حبة أرز واحدة

## حبة ناعمة ومعطرة

في فمك...

يا له من جهد كبير ومرارة!

تمددت هيلين «أدعوك لتناول غداء ضخم عندما نعود إلى سايفون». شعرت بالحرص أثناء وجودها في منزل (لان) بسبب وضوح فساد إحسان الأمريكيين إليهم.

بدأ لين بالرفض لكنه توقف حين رأى نظرة خيبة الأمل في عينيها بعد الحميمة التي كانت بينهما في فترة مرضها، لم يعد يعرف كيف يعاملها في الأماكن العامة، ولم يعرف ماذا يفعل بتلك المرأة. «حسنًا اتفقنا» قالت.

ابتسم ابتسامة تتم عن الخسارة.

«إلى أين تريدان أن تذهبي؟»

«أفكر في الذهاب إلى الكونتinentال وشرب كأس مثليج من الجن والتونيك وأكل سندويشة».

في المهمة التي كانا فيها كجزء من «فريق الشواذ» وفريق المروحيات الذي يوزع المهام فيما بين تحديد الأهداف أو الهجوم عليها، جلس كل من هيلين ولين على مقعد المراقب الصغير لأحد حاملي السلاح وهما في طريقهما للانضمام لقوات الجيش الحكومية أثناء خروجهم في مهمة. وصل الطيار مبكرا وسألها إذا كانا يريدان أن يستمتعا برؤية المناظر الطبيعية للجبال على طول الحدود مع (لاوس).

«كلاكما سويًا لا تعادلان ثقل الجندي المسلح». ضحك الطيار لأنه وجد أن الفكرة سخيفة خاصة في ذاك الصباح.

جلسا مقابل بعضهما، بينما كانت مقدمة المروحية تبدو كفقاعة طافية فوق الأرض. لا شيء يحجب عنهما الرؤية إلا



الأرض المعدنيّة ولوحة التّحكّم. كانت قمم الجبال الجرداء مغطّاة بالضّباب. وكانت مروحيّة المراقبة معلّقة كالطّائر فوق الأشجار الّتي أحاطت نفسها بالصّخور مع آلاف آثار الأقدام في وديان الأنهار الضيّقة الّتي كانت مظلمة حتّى في وقت الظّهيرة. حوّموا حول الشلالات الضخمة وغابات الخيزران وغابات الخشب الجاف والأدغال العريضة، وكلّها كان متشابكة في حقول صغيرة من أعشاب الفيل وهي أشبه بالمجوهرات. وبعد ساعة كان الإنسان الوحيد الّذي رأوه هو أحد رجال قبيلة (مونت غنارد).

تألّست عينا هيلين من ضغط البحث عن أية حركة في بحر من اللون الأخضر. كانت التّزهة في غاية الوضوح كحلم الطّيران على البساط السحريّ. طارت الأشجار تحت قدميها. وهذاها تدفّق اللون الأخضر وضوء الشّمس والطّيّار الّذي يسحب الآلة الّتي تهدر متحديّة الجاذبيّة. ترامت إلى خيالها رؤية خضار غير متناه، والحرارة الشّديدة جعلتها تشعر بالوخز بالرّغم من وجود التّكييف داخل المروحيّة. شعرت بالاحتراق وأغلقت عينيها. تفحّص لين الّذي كان جالسا إلى جانبها الحقول بالمنظار، وضع يده على يدها ثمّ أعطاها المنظار، مشيرا إلى جرف ممتلئ بالصّخور: «أترين يا هيلين؟ تعالي الآن». قال في أذنها فوق صوت المحرّك.

عندما قرّبت المنظار من الطّريق التّرابي تحت المنحدر، خرج نمراً وظهر بوضوح كبير. لمعت الخطوط البرتقاليّة والسّوداء تحت ضوء الشّمس بعد سيل من الخضرة الّتي شاهدها. وقف النمر بهدوء واستقلال وهو ينظر إلى الأرض الّتي تحته. كان الانعزال هو الشّيء الوحيد الّذي سيجعله متفطرسا لدرجة أن

يتجاهل هدير المروحية فوقه، وقف لدقيقة أخرى رافعا رأسه ليتفحص الهواء عندما مالت المروحية ومّرت فوقه، حيث ناور الطيّار ليتمكّنوا من رؤيته عن قرب أكثر. مدّ يده إلى المروحية وتمدّد جسمه في حركة انثناء واحدة، كان جسده المنهك طويلاً ونحيلًا، وقد تلاشت سحابة من الدخان بعيداً وصارت الحافة الصخرية خاوية.

«اللّعة! هل رأيتم ذلك؟» صرخ الطيّار مبتهجا.

ابتسمت هيلين للطيّار ونظرت للأمام، لكنّ ما شعرت به هو اللحظة الوجيزة التي لامست فيها يد لين يدها كهزة كهربائية صغيرة. كانت بعيدة ومنفلقة لكنّها الآن استطاعت أن ترى، مالت وهمست له: «أنا هنا الآن معك».

(16)

## تاي نغويين المرتفعات الغربية

تغيّرت الحرب وغيّرت هيلين معها .  
كانت هناك معركة تدور في وادي (داك تو) في المرتفعات  
المركزيّة، وهي المنطقة ذاتها التي شهدت سنوات من المعارك  
المروّعة في بدايات الحرب، حيث هُزم فيها أسطولٌ من المظليّين،  
كانت هيلين قد قامت بتغطية إنجازاته عدّة مرّات قبلا، والآن  
يتمّ إرسال فرق المشاة لقتال مواقع العدو المحاطة بالخنادق .  
انتشرت الشائعات بأن مجموعة من الجنود المتبقّين قاموا  
بإضرابات في مواقعهم آمليّن أنّهم إذا تقادوا ضربة مباشرة  
فسيتمكّنون من الهرب في الفوضى التي ستحدث بعد ذلك .  
ألحت على غاري أن تقوم هي بتغطية الخبر، فقد كانوا  
جنودها، والمنطقة كانت منطقتها . لكنّها عندما ذهبت إلى  
الحمام بعد ذلك لم تتوقّف يداها عن الارتجاف . كانت تلك  
معرفة مسبقة بلعنة ستحل عليها .

«لست مضطرة لأن تذهبي» . قال لين .

«أريد أن أذهب . الجنود ليس بيدهم حيلة» . ما عنته أنّها  
كانت بحاجة أن تذهب، وأنّ التوتّر الذي شعرت به كان هو الذي

افتقدته في كاليفورنيا، وهو الأمر الذي جعل الأدرينالين يسري في عروقها.

«لقد أثبت مسبقاً أنك شجاعة».

«كل صورة جيّدة عن الحرب هي صورةٌ مضادّةٌ للحرب. لماذا أنا هنا إن لم يكن من أجل هذا الأمر؟» ضحكت على لين. «توقّف عن القلق على أيّة حال فقد أصبحت واحدة من المسحورين، ألم تسمع بذلك؟».

أسماءها الفيتناميّون المرتفعات الغربيّة؛ لأنهم لا يزالون يرون البلد ككلّ كامل ولم يتقبّلوا التقسيم الاصطناعي لجنوب وشمال. كانت الأسماء مهمّة.

كانت الأسماء في النّهاية هي الشيء الوحيد الذي خلفه الفيتناميّون وراءهم.

على مرّ التاريخ وُجِدَت فيتنام على رؤوس ألسن النّاس، وممنوع عليهم أن يذكروا اسمها بصوت عال. أصبحت الجغرافيا قوّة.

الأسماء التي أعطيت لقطع من الأرض أو للبحر أو للجبل كانت تدل على من كان يتحكم في الأمور. فإحساس الأمريكيّين بالأمّاكن كان يفضّب الفيتناميّين.

كان اسم بحر الصّين الشّماليّ مزعجاً بشكل خاصّ لأنّه يضع بحرهم الشّرقيّ في اتّصال مع عدوّهم التّقليديّ وهو الصّين. شيءٌ آخر يفضّبهم، كان الشّرق الأقصى، الشّرق الأقصى في اتّصاله مع ماذا؟ كانت لديهم تلك المشكلة قبلاً؛ فقد كان الفرنسيّون يشيرون للمرتفعات على أنّها الهضاب العليا، وهو اسمٌ وصفيّ عقلائيّ للمرتفعات الممتدّة من الحدود الجنوبيّة لفيتنام الشّماليّة إلى مئات الأميال داخل سايفون، بداية من الشريط

الساحليّ للأرض المصقولة وحتى الشّرق حيث جبال أناميّزي البريّة. كان الاسم يشكّل صفة أخرى بالنسبة للفيتاميّين، فهو خيالٌ استعماريّ فرنسيّ، القصد منه إزالة فيتنام الأصليّة. فأطلقوا على جبالهم اسم (الترونغ سون)؛ لأنهم لم يجدوا سببا لتسمية أراضيهم بأسماء أجنبيّة.

كان لدى هيلين الجغرافيا الخاصّة بها. فكانت تعرف الأرض من ألوانها. فمنطقة (ميكونغ) كانت خضراء وذهبيّة وزرقاء، والنّور رقيقٌ وشفافٌ بسبب الماء الموجود على الأرض والموجود في الهواء. كان الوحل يغطّي الجنود بشكل لا مفرّ منه، وكان طين الدّلتا ممزوجا بالصلصال على طول الطّرق المائيّة، وكان يجفّ مبيضا على الوجوه والأجساد للأحياء والأموات. كما كانت (المرتفعات المركزيّة) أرضا للجلاء وللقمامة وللظلال الحادّة ذات التسلسل الرقيق لدرجات اللّون الأخضر الذي يتدرّج من الأسود إلى أكثر الظلال رقّة من الأخضر الطّحلي. وهناك غابات من اللّونين البني والأسود والخشب الجاف الذي قطعته الطّائرات، والأراضي المسطّحة من اللّون الرّماديّ، وجذوع الأشجار المقتلعة والجذور التي تشكّل تماثيل سيراليّة. كان التّراب يشكّل طبقة حمراء غنيّة صبغت وجوه الجنود وملابسهم وتلاشى لونها مع الوقت ليصبح أشبه باللّون الصّدئ للّدّم الجاف.

كانت جغرافيّتها أيضا مليئة بالمنعطفات والوديان الخطيرة. وكان عليها أن تبقى دوما محلّقة في السّماء، وألا ترتبط بمكان واحد لوقت طويل، وألا تترك وزنا أو أثرا على القشرة الأرضيّة التي يمكن أن تشكّل طريقا ما. كان هناك سطرٌ للكاتب (سايتوس) يدور في بالها دوما وهو: (لأسفه الشديد، وجد مصدر الرّاحة في الحرب).

مشوا إلى مكان إنزال الدّخيرة والقوافل حتّى وصلوا إلى القيادة العامّة للميدان، والتي كان مقرّها في واد قاحل عند خاصرة الجبل. كانت الفوضى العامرة تملأ خيمة الضّحافة، وفي خيمة القيادة كان عمّال الهاتف يبلغون عن إسقاط المروحيّات الواحدة تلو الأخرى. لم يحدث إخلاء خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، وكانت حساباتهم تدل على أنّ الدّخيرة التي على الجبل ستنفد عند الصّباح.

كانت فرق المشاة تذهب سيرا على الأقدام في الأدغال وتقاتل حتّى تتوصل إلى الرّجال الأسرى. وكان صدى الأفواج العسكريّة لجيش فييتنام الشّعبيّ يرنّ في الهضاب المجاورة بمخازن أسلحتهم التي لا تتوقف.

كان يتمّ تقديم الطّعام للجنود المغادرين، لكنّهم كانوا يحصلون على وجبة واحدة هي مزيج من الإفطار والغداء، وذلك بسبب أوامر المغادرة المتعارضة. وضع الرّجال الطّعام الذي كان مكوّنا من الجزر والبيض المخفوق والأضلاع وكعك الأناناس والبرغل على أطباقهم. كان كلّ ذلك بمثابة وقود لهم، فبدت لهم فكرة جيدة وهي أن يملؤوا بطونهم ليكون ذلك درعا أخرى للبقاء. وضع ذلك الطّعام الذي وصل صباحا ابتسامة على وجوههم الشّابة الخائفة، وعدّوه إثباتا لقيمتهم. شعرت هيلين بالغثيان لمنظر تلك الغنيمة، ولأنّها كانت تعرف فساد الجيش فخمّنت أنّ هذا هو أفضل طعام يقدّم للمحكوم عليهم بالموت. كانت تلك وجبتهم الأخيرة، وعلى الرّغم من معرفتها تلك لكنّها مضغت طعامها دون أن تشعر بطعمه، لكن بعد عدّة ساعات وحتّى بعد عدة أيام ستعدّبها فكرة عدم الأكل. لذا اختارت أن تأكل حتّى الشبع لكيلا يختلط شعور الجوع مع الشعور الآخر الذي أحست به.

عندما طالبت هيلين بأن تكون بصحبة أحد فرق الإنقاذ والمساعدة رفض مكتب الصحافة والمعلومات طلبها. «هذه أشياء مهمة وفي غاية الخطورة وليس بالإمكان السماح لامرأة بالمرافقة».

«لقد غطيت هذه المجموعات من قبل».  
«لا تتعبى نفسك، لا أستطيع أن أتخلى عن أحد الرجال كي يرافقك».

«أنا أغطي المعارك منذ سنتين».  
أصبحت ملامحه فظة: «إنها القوانين».  
«لا تسري عليّ، لقد غطيت هذه المنطقة في...».  
«إنها القوانين، هل فهمت؟».  
تابعت «غطيت المنطقة في عام 1966 قبل أن تعرف أنت أين هي فيتنام».  
«لسنا بحاجة إلى امرأة ميّنة».

سمعت من خلفها صوتا عاليا وشعرت بصفعة يد عالية على كتفها: «هيلين آدامز».

استدارت وأصبحت وجهها لوجه مع الكابتن أولسن. لم يتغيّر منذ سنتين ونصف، كأنّ ذلك اليوم المرعب في ميكونغ قد حدث بالأمس فقط.

«لا بدّ أنك أجريت اتّفاقيّة مع الشّيطان». قالت: «تبدو أصغر ممّا بدوت عليه آخر مرّة رأيته فيها».

«أصابته الماريا وانشغلت بالعمل في المكتب طول هذا الوقت».

«ذهبك مع البديل عنك الكابتن هورنر».

«حلّت لعنة على تلك المهمة، يا للعار!».

لم تذكر هيلين صموئيل، لكن الأمر لم يحتج منها أن تذكره. استطاعت أن ترى في عيني الكابتن أولسن أنه أخذ على عاتقه مسؤولية ما حدث. فلم يكن مثل دوريان غراي. «هذا الرجل هنا». قالت هيلين مشيرة إلى مكتب الصحافة والمعلومات «يرفض السماح لي بالذهاب، وفرقتي قد بدأت بالتحرك».

«لووين، هل تسبب الإزعاج لهذه الفتاة؟».

«يقول إنني سأموت إن ذهبت».

«رجل نبيل فعلاً، أليس كذلك؟ هذه الفتاة هي التي جعلت مني بطلاً. هي ومن معها من المصورين. دعها تفعل ما تشاء».

عبس لووين وقال: «أذهبي واحملي سلاح 45».

«لن أحمل سلاحاً» قالت هيلين.

وقف موظف خدمة المعلومات وقد تغصن وجهه «إذا كانت صديقتك فسوف أبلغها بالمعلومات».

أخذ الكابتن أولسن هيلين من ذراعها واصطحبها. أشارت هيلين إلى لين أن يأتي إليها وقالت: «أريد أن أغطي هذه المهمة». أوما أولسن وصافح لين «إنّ لووين أحقق لكّه محقّ في هذا الأمر. فالأشياء سيئة هناك، خذي السلاح».

هرّت هيلين رأسها.

«أنا جدّي، فلن يساعدك أحدٌ هناك».

قال لين: «سأحمّله أنا».

عندما عادوا كان موظف خدمة المعلومات يدخن سيجارة.

قالت هيلين: «التدخين مضرّ لك».

«إذا كان علينا أن نحمل أسلحة». قال لين «فأنا أريد بندقية

إم 16 ومسدّس 45».

احمرّ وجه موظف خدمة المعلومات «اللّعة، لا أصدّق ذلك».



نظر إلى أولسن الذي تجاهله «هل استخدمت أحد هذه الأسلحة قبلاً؟».

لم يتردد لين وقال: «عدة مرّات».

بعد عدة ساعات، وبعد أن تسلّقوا من خلال الأدغال الكثيفة إلى غابة الخشب الجاف وعادوا إلى الأدغال من جديد، وصلوا أخيراً إلى قاعدة الجبل عند الفسق. جلسوا في مكان عند الطريق وأراحت هيلين ظهرها على إحدى الأشجار. عادة كانوا سيخيّمون طوال الليل، لكنّ الوقت كان مهمّاً، فمن المحتمل ألا يبقى أحدٌ منهم حتّى الصّباح. كانت أصوات القصف المدفعي والضّربات على التّلال المحيطة تصمّ الأذان، وكانت الأرض تهتزّ من تحتهم وهم يمشون، والأشجار المتساقطة على الأرض تعيق دربهم التّرابي الضيّق المنحدر.

تمركزت الفرقة عندما اقتربوا من القمّة، وأضاءت مشاعل المظلات المشهد بضوء غريب. وعلى مدى النّظر كانت الأشجار محترقة ومهشّمة، وهي تشكّل غابة من الدّمار. وكان الدّخان الكثيف يشكّل ضباباً. خبا ضوء المشاعل إلى ظلام أعمق وأكثر غرابة.

عندما مشّت الفرقة المسافة الأخيرة المؤلّفة من مئات الياردات في الظّلام مرّوا بجوار قطع خشبيّة متساقطة من الأشجار، قطع توجد على انفراد أو في مجموعات أو في ركام، وأرعبهم اكتشاف اشتعال ضوء آخر، ثم وجدوا أن تلك الأشكال لم تكن أشجاراً بل أجساداً متعرّية من لباسها وأحذيتها وأسلحتها أشبه بالأشجار المشوّهة المتناثرة.

في منتصف الليل تعثّرت فرقة (الإنقاذ والمساعدة) في متابعة الطّريق للوصول إلى غرف محصّنة هجرها العدو

واحتلّها الأمريكان. فمن بين قوّة مؤلّفة من أكثر من مئة لم يبقَ إلاّ درّينة(\*) من الرّجال. أمضوا يوما كاملا من دون طعام يقفون في شريط محاذ لغرف المراقبة الأماميّة الضحلة.

بعد أن أبلغوا الأفواج الجديدة بالمستجدات أكل الرّجال حصصهم من الطّعام ثمّ غطّوا في النوم على أرض غرف المراقبة. كان أحد الرّجال قدّر الوجه ولا يزال يحمل ملعقة وهو نائمٌ. أشعلت هيلين ضوءا والتقطت صورته ثم التقطت صورة أخرى لإشارة مصنوعة من غطاء صندوق ذخيرة موضوعة على مدخل الغرفة مكتوب عليها: مرحبا بكم في الجحيم.

وقف جنديّ أسود من قوّات الدّرجة الأولى الخاصّة إلى جانب هيلين «يبدو أننا لم نأت مبكرا».

«لقد نفّذوا فيهم حكم إعدام بإرسالهم وحيدين إلى هنا».

قال: «وماذا عنّا يا سيّدتى؟».

لم يكن هناك ما يمكن لهيلين ولين أن يفعلاه سوى الجلوس والانتظار حتّى طلوع الفجر، كان الهواء ننتا برائحة الجيف في الغابة حولهما ودخان الثّيران يحيط بالهضاب المجاورة. كانت عيناها متوتّرتين. حاولت أن تفسلهما بالماء لكنّها لم تستقد شيئا، فأغلقتهما وحاولت أن ترتاح إلى جانب جدار غرفة المراقبة القذر الرّطب. وعندما كانت تغفو تلك اللّيلة لفدّة دقائق كانت تجفل عند سماع أصوات ضرب الصّواريخ وحفيف الشّظايا المعدنيّة التي كانت تصطدم بأيّ شيء، كان السّطح الهوائيّ القذر يقطر عليهم. انزلق جسدها من مكانه بعد عدّة ساعات حتى أصبح رأسها في حضن لين وهو يضع يده فوق أذنها ليخفّف من حدة الصّوت

(\*) درّينة: كناية عامية عن عدد يعادل 12. (الفاحص)

لكيلا تتمكّن من سماع وابل الرصاص، تمّ إبعاد الصّوت قليلا بكثافة يده الواحدة. جعلتها يده حول أذنها تسمع طنين الدّم ونبض المحيط، كما أعطتها تأكيدا طفوليا أن لا شيء يمكن أن يحدث لها وهي محميةً بتلك الطّريقة.

زاد تواتر مدافع الهاون عند السّاعة الرّابعة صباحا، وأمر أحد الرّقباء هيلين ولين بأن يتحرّكا إلى الغرف الخلفيّة. لم تكن المنطقة التي فوق الأرض مألوفة بالنّسبة لهما، فطلبا أن يخاطرا ويبقيا في مكانهما، لكنّ الرّقيب لم يقبل حتّى الجّدال.

انحنيا وعدّوا على الأرض الممتلئة بالحطام المكسّر المتناثر. من المفترض أن يكون المدخل على بعد عشرة أقدام فقط من غرفة المراقبة، لكنّهما مشيا ثلاثين قدما على الأقلّ حتّى وصلا إلى صفّ أشجار، ثم عادا أدراجهما وغيّرا اتّجاههما إلى اليسار ليجدا مدخلا أكبر من الذي وصفه لهما الرّقيب، لكنّهما قرّرا عدم الدّخول لدى سماعهما صرخة ذعر مدويّة عند وصولهما، ألقت هيلين بنفسها على الأرض في الدّاخل ولين على ظهرها، كان ذلك بسبب صوت سقوط شيء من ارتفاع عدّة أقدام، مما جعلها خائفة ولاهثة، وذلك عندما انفجر مدفع هاون على بعد عشرين ياردة أسفلهم. في الظّلام شعرت بشيء ناعم ودبق؛ وأدركت أنّها كانت تفوص في اللحم البشريّ.

قفزت هيلين مفضّلة أن تجرّب حظّها في الخارج على أن تبقى محبوسة تحت الأرض. أخذت جرعة المياه المتبقّية وخلعت قميصها الملوّث ووضعتة فوق سترتها. جلست مقابل جدار رمليّ صغير. كانت المدافع تطنّ في أذنيها والأصوات خانقة، ولم تستطع فهم كلمات لين إلّا عندما اقترب منها.

«عودي» مشيرا إلى غرفة المراقبة.

سَرَتْ دموع الارتباك والتوتر على خديها. لم تستطع إيقافها على الرغم من أنها لم تشعر بالخوف على الإطلاق. غادرها الخوف المستمر من التعرض للأذى أو ما هو أسوأ منه. لكن الخطر الأكبر كان بعد ذهاب الخوف وصرخت مخاطبة لين: «تحرك أنت. أنا أفضل حالا هنا».

جلس إلى جوارها وهزّت رأسها وهي تدفعه ليبتعد لكنه بقي إلى جانبها. عندما هدأت لاحقا حبّوا إلى غرفة مراقبة فارغة أخرى وقضيا فيها بقيّة الليل. استمرّ ضرب القنابل حتّى الفجر. وعند بزوغ أوّل ضوء عادا إلى غرفة المراقبة. نظر الرقيب إلى هيلين ثمّ أعطاهما كأسا من القهوة الفاترة المصنوعة من كيس من القهوة الفوريّة المسحّنة.

بعد نصف ساعة وفي نور الصّباح الرّماديّ الضبابيّ رأت الجنود الأمريكيّان يقتربون من بين الأشجار. أخرج الرقيب منظاره. شعرت هيلين بالرّاحة لانتهاء الأزمة، كان رأسها ثقيلًا وشعرت بأنّ هناك خطبا ما، لكنها لم تكن خائفة.

قال لين: «إنّ الجنود كانوا قادمين من الاتجاه الخاطئ، وليس من الطّريق الذي استخدموه قبلًا».

مرّر الرّقيب منظاره بين الضّباب. وعندما أصبح الجنود على بعد أقلّ من خمسين ياردة رأت هيلين جنديًا مرشدًا يرفع سلاحه. تباطأت أفكارها وشعرت بالبرود والانفصال عمّا كان يحدث أمامها. ربّما ظلّ الجنود أنّ الفيتناميّين كانوا في الغرف. فتح الجنود النّار ورشّوا الطّلاقات، عبست هيلين لعدم قدرتها على استيعاب المنظر الذي أمام عينيها. صرخ الرّقيب للجنود في الغرفة ففتحوا النّار على الرّجال الذين كانوا يمشون بين الأشجار.

عندما تلاشى الضباب أطلقوا قنابل b-52s من مادة النابالم شديدة الاشتعال مما تسبب في نشوب حريق على الهضاب المجاورة. وظهرت زوبعة زرقاء - رمادية في السماء. ثم أتت أفراد من القوات المسلحة، وتمكنوا هذه المرة أن يخرجوا ويدخلوا دون أن يتأذوا. فإما أنهم تمكنوا من هزيمة العدو وإما أنه قد تراجع.

وقفت هيلين خارج غرفة المراقبة وهي تنظر إلى المنطقة التي كانت بالكاد تستطيع تلمس خطاها بها في الظلام.

استطاعت في الضوء الضبابي الدخاني الأبيض أن ترى بقايا الأشجار والأجساد المتفحمة. قرّبت كاميرتها من عينها وهو فعلٌ يشكّل راحة بالنسبة إليها. تبعت خطا الجنود بين الأشجار والتقطت صور الفيتناميين الموتى في ملابس الأمريكيان. كان الجرحى مستقلقين بصمت واستسلام لقدرهم دون أن يشتكوا أو يتوقعوا أية مساعدة. تفاجأت هيلين من غرابة ردّة الفعل تلك ومن القدرة العجيبة على القسوة، ولم تستطع أن تكبح إحساسها بالاحترام الكريه. كره الأمريكيان قدرة العدو على استخدام المدنيين وقدرتهم أن يرتدوا ملابس العدو، ومع ذلك فإنّ الالتزام بقواعد الحرب المعتادة كان سيكلفهم الخسارة.

زحف الجنود الأمريكيان من تحت الأرض بوجوههم الهزيلة والقاتمة وعيونهم الحادة كالسكاكين من طول فترة الخوف، وملابسهم المتشكّلة على أجسادهم والتي يبدو عليها صدى العرق والوسخ. وعندما مدّوا أجسادهم المتصلّبة المتشنّجة وتقدّموا في المخيم أصبحوا أكثر حيويّة، فالتقطت هيلين صورة لاثنين منهم، أحدهما يقذف علبة طعام كما لو أنّها كرة قدم. وقد كانت تلك لحظة راحة أنهم رأوا ضوء النهار.

مشت في المخيم والتقطت الصور وهي عملية تألفت من فتح الكاميرا مع ضبط سرعة مصراع الكاميرا. كانت تلك معركة أكبر بإصابات أكثر ممّا رآته من قبل، لكن مع ذلك كان إحساسها بما جرى أقلّ حدة عما شاهدته في الماضي، في الواقع لم تشعر بشيء.

مشى الرقيب سيمونز إلى جانبها وقال: «هل أنت هنا لتجعلينا مشاهير؟».

حاولت أن تبقى طبيعية مع أنّها شعرت أنّ شعبا يحوم حول ذلك المشهد: «نعم بالتأكيد».

«يا لعنة! لا بدّ أنّ يكون هناك سبب آخر غير إيصال صورك إلى دانانغ والحصول على خبر والحديث عن مدى شجاعتك».

بعد أن صوّرت هيلين الفيلم الذي كانت بحاجة إليه، جلست على صخرة وانتظرت. لم تكن قد أكلت منذ اثنتي عشرة ساعة ولا نامت منذ أربع وعشرين ساعة. ما زال الصّوت يأتي إليها مكتوما كما لو أنّها تحت الماء. صوّر لين فريق المدفعية الذي كان هناك منذ ثلاثة أيام. أصبح هناك شكّل جديد لعلاقتهم العملية منذ عودتها لأنّ لين مصوّر مستقلّ الآن. كانا يسافران معا لكن عندما يصلان إلى وجهتهما كانا يتصرّفان كأنّ أحدهما لا يرى الآخر.

عندما نزلا عائدين إلى الهضبة ببطء. كان هناك جرحى على طريقيهما وجنود أحياء بعيون ميّنة لم تلمحهم حتّى. شعرت هيلين بالقوّة في إحساسها بأنّها شبح. لم يتمّ تحريك أكوام الموتى لكن تمّت تغطيتهم بالكلس الذي أخفى ملامحهم وجعل أجسادهم مجهولة، ممّا جعل الأحياء يشعرون وكأنّهم يتحرّكون في سرداب موتى، شعورٌ في غاية الغرابة.

انتظروا لساعات حتى تم تحميل الجرحى على المروحيات. وعندما انتشرت قوات المشاة على شكل سلسلة قامت مجموعة أخرى بتأمينهم لساعات معدودة فقط قبل أن تأتي الفلّاحات فرادى ومثلى من القرى المجاورة. وقمن حافيات الأقدام مرتديات سترات بيضاء باهتة وبيجامات سوداء وهن ينقلن أوزان أجسادهم من رجل إلى أخرى، كنّ مغويات من دون كلام. وعندما أتت مروحية نسين أنفسهن وأسرعن إلى السياج وأشرن بالأصابع في حماس لرؤية الآلة الطائرة. كانت أصابعهن في صغر ورقة أصابع الأطفال، وبعضهن أظافرهن مقصوصة ومطلية بالأحمر والوردي المبهرج.

ذهب أحد الحراس إلى السياج وقال شيئاً لفتاة صغيرة بشعر كهرماني اللون يصل حتى الكتف وقميص أزرق لامع كبير على جسدها الصغير. رفعت هيلين كاميرتها بفضول عندما أخرج شيئاً من جيبه وفتحه ورأته هي كهديّة إنقاذ للحياة. أدخل أصابعه في السياج وأطعمها واضعاً الحلوى مباشرة على لسانها. كانت تلك هي الصورة التي أرادت الحصول عليها، وقد تحمّلت ساعات الرعب السابقة لتصل إليها، لكنها أرضتها حين حدثت وشعرت أنها تستحقّ التضحية. لم تكن لتتمكن من ملاحظة شيء صغير وممتلئ كهذا إلا في حالتها المجردة تلك. أصبحت تلك صورة غلاف وكسبت عنها جائزتها الأولى، لكن بالنسبة إليها كانت قيمة الصورة أنها أعادت إليها الغرض والهدف الرئيسي وهو إيجاد طريق صغير للإنسانية.

صعدت هيلين ولين إلى المروحية الأخيرة، وتمّ إنزالهما في مركز تزويد بالمؤن، وكان من المفترض أن تقوم تلك المروحيات بنقل رحلات حمولة أكثر من تان سون نهات. وعندما حطت الطائرة

كانت الرحلة الأخيرة قد أقلعت ولم يكن لديهما خيارٌ آخر إلا قضاء الليلة هناك. كانت المرتفعات كلها في حالة استنفار ولم يكن لتوفير مقاعد للصحافة أولوية في تلك الحالة. مازحها الجنود المنتظرون قائلين إنَّ القوّات العسكرية كانت تحاول أن تقتل أكبر عدد منهم قبل شائعة انسحاب القوّات.

انتظروا من جديد في اليوم التالي، وكانت هيلين في خيمة الطعام تشرب القهوة. وقف لين إلى جانب منظم الحركة الجوية وبدأ يزوّده بالسجائر وأعطاه قارورة بربون.

كان الموقع في تجويف منخفض تحيط به خواصر جبل وعرة لا يمكن أن يمرّ من خلالها إلا ممراً ضيقاً. بدت الغابة أنها تُظهر منطقتهم الصغيرة المكشوفة، وكانت كثيفة ومهيبة ولا يمكن الاقتراب منها. حتّى الأرض نفسها كانت ضدهم، حقول الأرز والأدغال والهضاب والجبال، كلّها كانت تتآمر عليهم وتنتظر موتهم واختفاءهم.

أتى لين إلى غرفة الطعام ومشى إلى طاولتها وقال: «هل أنت بخير؟».

«كيف حال الرحلات؟».

«لا يوجد رحلات ذهاب ولا إياب الآن، ويمكن أن نبقى هنا لأيام».

تفاجأت بالكلام. كان عليها الاعتراف أنّها كانت أكثر تأثراً ممّا ظنّت، فقد كانت بحاجة للهرب مع أنّ الهرب يصبح أكثر صعوبة يوماً بعد آخر.

«الخبر الجيد أنّ لا أحد آخر يغادر أو يأتي ويمكننا الاستمرار في التصوير».

لم تستطع أن تلومه فقد كانت تلك حياتهما، لكنّ الكلمات



الخاصّة عن سبق صحافي رنّت في رأسها بطريقة مرعبة. وبعد الظهر أحسّت بيأسها من الخروج من هناك في تلك الليلة، لكنّ لين أتى راكضاً إلى خيمة الطّعام بعد أن تمكّن من إقناعهم بأن يسمحوا لهما بركوب آخر طائرة حمولة متّجهة إلى تان سون نهات.

عندما اقتريا من الطّائرة أتى إليها أحد أفراد الطّاقم وأعطاهما وشاحاً أبيض، لكنّ صوت هدير المحرّك وصوتها كتم السّمع وجعل مستحيلاً عليها أن تفهم كلماته، ثمّ أشار إليها في النهاية أن تربطه حول أنفها وفمها.

«لا أفهم». صرخت هيلين فوق هدير المحرّك فأمسك بأنفه. كان الوشاح مدهناً وتفوح منه رائحة بلسم الثّمر الحادّة في المنتصف. هرّت رأسها وأعادته إليه.

مشى لين إلى سلّم الحمولة ووقف أمام المشهد الذي بدا من أمامه. كان في داخل المعقل أكياس جثث تملأ المكان من الأرض إلى السّقف. هرع نازلاً السّلم دون أن يتكلّم مكتفياً بالإشارة. وقف على الأرض وذراعه مكتوفة، وعندها وجدت هيلين مراقب الحركة الجويّة المنزعج الذي لم يخبر لين عن ماهيّة الحمولة على الطّائرة. امتعض المراقب معبّراً عن عدم رضاه. قال إنّهما إذا رفضا تلك الرّحلة فإنّهما سيضطرّان لقضاء ليلة أخرى أو ليلتين هناك.

قالت هيلين: «لا يهّمّ ليلة أخرى».

«لنذهب من هنا». قال لين.

جلسا في مساحة ثلاثة الأقدام المربعة التي أفسحها لهما المراقب في القسم الأماميّ من حجرة الحمولة. كانت الرّائحة نفاذة وتمنّت هي لو أنها أخذت الوشاح. كان هناك جدارٌ من العظام المتكسّرة واللّحم المتهشّم، والشّيء الذي جعل المشهد حضارياً ونظيفاً أنّهم كانوا موضوعين في أكياس مطاطيّة مغلقة. كان

عليها أن تضع شيئاً يفصلها عن ذلك المشهد فرفعت كاميرتها. امتلكت الكومة السوداء التي أمامها قوة كبيرة لكنها لم تكن صورة تستحق أن تلتقطها. كانت مشابهة لصورة أخذتها منذ عدة سنوات للجنود المكوّمين على شاحنة القافلة. ثم صدمتها المذبحة وقرّرت أن تظهرها. لم يعد أيّ من الأجساد أمامها مجهولاً، كان كلّ واحد منهم هو (مايكل ودارو وصموئيل) والجميع. كان للصورة قيمة لكنها لم تكن تستحق الالتقاط، فأخفضت الكاميرا. كان عليها أن تجد أقلّ أجزاء الخلاص في تلك الصورة، وإلا فإن التقاطها كان سيدمرها. حتّى لو عني ذلك المخاطرة بإساءة الفهم بأنّ الحرب لم تكن مرعبة كما كانت.

جلسا وانتظرا والكاميرات في حضنيهما عديمة الفائدة، ولين لم يحرك ساكناً لكي يصوّر المشهد.

عندما طاروا في الهواء هبّت الرياح على الأبواب المفتوحة وخفّفت الرائحة، لكنها سبّبت هديراً مخيفاً للأكياس وتضارباً كان يضاهي سوء الرائحة التي سبقته. أغلقت هيلين عينيها وحاولت أن تفكر بأيّ شيء إلا المكان الذي كانت فيه.

خلال الهبوط الحادّ إلى (تان سون نهات) سرت سوائل من الأكياس الرّاشحة وشكّلت موجة صغيرة وشعر لين بسائل بارد ولزج يبّل سرواله. عندما أصبح مصدر الرطوبة واضحاً وضع يده في الأسفل محاولاً الوقوف لكن البقعة الرّلقة كانت مثل بياض البيض على أرض معدنيّة فانزلق بسببها. أصبح كلّ شيء أسود أمامه وفتح فمه لكنّ أصوات المحرّكات كتمت الصوت. قرّبت هيلين منها وشدّت ذراعيها حول خصره وأبعدته عن المشهد حتّى وقف كلاهما متعلّقين بالجدار المتشابك، لكن حتّى بعد أن استعاد توازنه أبقاها بالقرب منه. هذا هو كل ما استطاعت فعله.. لم تكن لتقلته.

(17)

## نفهيا الحب

كان قلبه قد ظل مغلقا لفترة طويلة.  
اختار ألا يسمح لنفسه بالشعور مرّة ثانية منذ اللحظة التي  
أنزل ثقل جسم (ماي) عن كاهله ووضعها على الأرض. لم يكن  
قد حمل أو عانق امرأة أخرى حتّى اللحظة التي حمل فيها هيلين  
عن الرّصيف وأعادها إلى غرفتها في تشولون.  
آمن أنّ المرء يتواصل ويحبّ شخصا آخر باللمس المتكرّر  
والتّواصل المتكرّر كما تتواصل الأمّ مع وليدها الجديد، الطّريقة  
التي نامت فيها عائلته في الغرفة المشتركة كانوا يمسون بعضهم  
برفق، كان نموذجا لتواصل أطراف كل عصب مع العصب الآخر،  
نبضٌ على نبض يخلق إيقاعا من سيلان الدم، فأصبح الآن يلمس  
الآخرين، الغرباء منهم، لمسات عابرة دون أمل.  
أعاد إحساس وزن هيلين بين يديه ذكريات عديدة. لقد غزت  
قلبه. فعلت ذلك في البداية عن طريق الصور التي التقطها دارو،  
وبعد ذلك بتلامس أيديهما من حين إلى آخر، وبرائحة شعرها،  
وأخيرا بثقل آلامها بين ذراعيه.  
بعد أن تعود إلى فييتنام سوف ينتظرها في الشّقة، وخلال

انتظاره لها سوف يلفّ أحد أقراطها حول إصبعه مستمتعا بفكرة أنّه لامس بشرة أذنّها الرّقيقة. لم يكن يريد أن تعرف هيلين بمشاعره، وكان راضيا بالتصرّف على هذا الأساس. لقد كان الحمل الخفيّ بحجم الحمل المرئيّ في عالمه.

بعد مغادرة (داك تو)، طلبت هيلين من لين أن يعيدها إلى القرية الموجودة عند الدلتا، والتي أقامت فيها مع دارو لفترة من الزمن. أرادت أن تستعيد إحساس السّكينة الذي أحسّت به هناك. لكنّ القرية لم تكن إلّا بقايا رماد الآن وسكّانها أصبحوا لاجئين: «أعلنوا أنّها مركزٌ للعدوّ».

«كنا هناك، كانت آمنة».

امتعض لين «ربما كنا على خطأ، ربّما كانوا هم على خطأ، لا يهمّ، فالقرية الآن مدمّرة».

صمتت هيلين للحظة «ألا يهّمك ما يحدث لبلدك؟».

استدار بغضب ونوى المغادرة، ثمّ تمكّن من استعادة سيطرته على نفسه، لكن بدلا من ذلك وللمرّة الأولى عاد واستدار نحوها. كان مع الأمريكيّان لفترة طويلة واعتاد على تحدّثهم علنا عن مشاعرهم، وكانت لديهم رغبةٌ عارمةٌ أن يفعل هو ذلك أيضا. «حربي مستمرّة منذ تسعة أعوام ولا أستطيع أن آخذ استراحة منها وأن أذهب إلى بيتي وأعود، فالحرب في بيتي».

«لم أقصد أن...».

«الأمر أشبه بأن ينقّذ المسعف عمليّة اختبار، بأن يقرّر من سيموت، ويحاول إنقاذ الشخص الذي يمكنه إنقاذه، يريد أن يبكي على الموتى ولكنّ ذلك لن يساعد أحدا. ذلك وعي السّائح، وأنا يوما بعد آخر أذهب مع المصوّرين الذين هم سيّاح في هذه الحرب».

«لماذا أنت مختلفٌ عنّا؟».

«أنا كنت مع الطرفين وتركتُ كلا الطرفين، لكنّهم لا يسمحون لي بالذهاب ولم يكن أمامي خيارٌ إلّا أن أكون مصوِّرا». «وهم يسمحون بذلك؟».

«أدعي أنّ لي تأثيرا على تغطية الأحداث، وأعطيتهم معلومات قليلة أعرفها لأقنعهم أنّ لي قيمة وأنا على قيد الحياة». استدارت هيلين مبتعدة وغاضبة من ذكرها الأولى عند بداية وصولها، وكيف عدّت الحرب لعبة، وكيف تحوّل لين والبلد كلّهُ إلى ستار خلفي لمغامرتها..

«سأخذك إلى مكان فيه أمانٌ وسلام» قال.

ركبا طيّارة حمولة متّجهة إلى (نها ترانغ) ثمّ استقلّا سيارة جيش إلى قرية صغيرة فيها مجموعة بيوت متوضّعة على شاطئ هلاليّ. كان الرّمْل أبيضَ بلون العظام، والمحيط كان بلون فاكهة (البابايا) الخضراء النّيئة.

البيوت الأقرب إلى البحر كانت تقف في ظلّ بنفسجيّ لأجمة كثيفة من أشجار جوز الهند. وكان هدوء المكان النادر هو أوّل شيء يمكن ملاحظته حيث لم يكن هناك أيّ صوت للحرب أو أيّ صوت للنّاس.

كانت عمّة لين تمتلك البيت. وكان البيت كبيرا ومصنوعا من الحجر مع سقف من القرميد الأحمر. وكانت تحميه الأشجار، كما كانت الحديقة الأماميّة تحتوي على بحيرة هلاليّة صخريّة، وفي الدّاخل كانت هناك غرفتان غير مفروشتين لكنّهما نظيفتان. «أين النّاس؟».

«لقد أخلوا القرية منذ سنّة أشهر، والعجائز هربوا من المركز وعادوا ليهتمّوا بما تبقى من المؤن حتّى عودة البقيّة».

«أين عمّتك؟».

«تزور بعض الأقارب».

فهمت هيلين من الطريقة السريعة التي يتكلم بها أنه يكذب. «لم يكن من المفترض أن تغادر، كنت أتمنى أن ألتقي بها».

أوما لين: «ربّما من الأفضل لها ألا تعرف أنني أحضرت ضيفة أمريكية».

كانت تلك هي نهاية فصل الجفاف، وكان المطر يهطل بعد الظهر، أما الشّمس فكانت تغمر السّماء بلون أزرق معدنيّ كلّ صباح، وكان الهواء ثقيلًا ورطبًا كما لو أنّه قد تم اعتصاره من الجوّ. تأخّر المطر وكأنّه يأبى أن يأتي. ومن جهة الشّرق بقيت السّماء فارغة فوق المحيط، ومن جهة الغرب كان يظهر فوق الجبال عند الظّهيرة تكتّل غيمة واحدة طويلة تجمع الغيوم الأخرى حولها حتّى منتصف ما بعد الظّهر، لكي تشكّل سلسلة غيوم بيضاء تتجمّع في غيمة واحدة فوق الأرض. لكنّ الغيوم لم تتمدّد وبقيت السّماء حادّة وجافّة.

أمضت هيلين أيامها مختبئة في الظلّ البارد في الدّاخل حيث كانت تنام على بساط صوفيّ على الأرض. كانت ترتدي سروالا قصيرا وسقّرة صيفيّة، ومع ذلك كانت تستيقظ في وقت متأخر بعد الظّهر مبلة بالعرق. توقّفت أحلامها وشعرت بالرّاحة لكثافة سواد الثّوم.

انكسر شيءٌ في داخلها.. لا ماض ولا حاضر ولا إحساس بالوقت. كان إحساسها أنّ كلّ يوم لا نهاية له مثلما كانت تشعر وهي طفلة. كما كان لين محمًّا في قوله عن أنها كانت سائحة في الحرب بداية. لكن كانت هناك قوّة أيضا في ذلك البعد، كما قال دارو، هناك ثمنٌ للتّفوق. هي الآن في الجحيم، فلم تكن مجرّد

سائحة مشاهدة للبلد كما أنها ليست جزءاً منه أيضاً، وللمرة الأولى منذ أن كانت طفلة فكّرت أن تصلي، لكن الأمر بدا صغيراً وجباناً بعد الشوط الكبير الذي قطعته في هذه اللعبة.

جاء لين في وقت الفسق بصينية طعام كبيرة حضرتها جارتهم السيّدة (ثاي شوان) فيها سمك وقريدس مشويّ وطبق من الأرز وباذنجان مع صلصة الصّويا. أكلا بجانب باب الدّار المفتوح متربّعين على البساط انتظاراً لنسيم المساء القادم من المحيط. نظرا إلى الحديقة والمحيط من ورائها حتّى حلّ الظلام وتعذرت الرؤية. أشعل لين عود كبريت وأضاء المصباح وأحضر مجموعة أوراق لعب.

علّمته هيلين منذ عدّة أشهر أن يلعب لعبة الجنّ، وكانا يلعبانها كلّما سنحت الفرصة. في البداية كان لين يخسر في كلّ مرّة لكنّه بالتّدريج استطاع أن يربح بعض المرات. كان يحتفظ بدفتر ملاحظات وقلم رصاص إلى جانبه، ويسجّل فيه مرّات الرّيح والخسارة بدقّة المحاسب. كانا يلعبان حتّى وقت متأخّر من الليل وخلال لعبهما يضحك واحدٌ منهما ضحكة عالية أو يصرخ صرخة انتصار عالية توقظ القروّتين الذين بالقرب منهم. كان يراقب تفاصيل وجهها في تلك الأمسيات، انحناء فمها وخطوط الضّحك التي ترسم بشكل خفيف على حواف شفّتها وحتى أنفها. والتقوّس الرّقيق لحاجبيها وآثار العبوس العموديّة بينهما التي كانت تظهر عليها عندما كانت تعبس وغالباً ما كانت تفعل ذلك، كأنّها كانت تفكّر بحلّ مشكلة ما في داخلها.

مع أنّ الحديث كان سهلاً بينهما لكنّه كان يدور بارتباك حيث ينتهي ويبدأ من جديد. وكان كلّ منهما يمدح الطّعام والليل بإفراط. ولم يجرؤ أيّ منهما على أن ينظر في وجه الآخر دون

أن يتسلّح بالكلمات المناسبة. مرّت اللّحظات وقضياها في الأكل ولعب الورق والصّوت الوحيد الذي تمكّنا من سماعه هو صوت الأمواج وسرعة غدّو الوزغ(\*) على الجدران.  
«شكرا على ذلك». قالت.

أوماً لين وقشّر برتقالة ووضع جزءا منها في يدها الممدودة. بدا لها أنّه حتّى عندما كان دارو على قيد الحياة كان أغلب وقتها بصحبة لين. كان هناك عبءٌ جديدٌ عليها عندما كانا سوياً وكلّ منهما واعٍ للانجذاب الموجود بينهما الذي كان مخفياً قبل ذلك. فكّرت في الوقت الذي كانا فيه سوياً في الدلتا، وهو الوقت الوحيد الذي كانت فيه وحيدة مع دارو وبعيدة عن العمل. ومع أنّهما كانا على علاقة حبّ لكنه كان هناك شعورٌ بالغيرة والشكّ الدائم بسبب شرود أفكاره وتركيزه في أشياء أخرى.

كان هناك عامل خلاف صغير وتنافسٌ دائمٌ بينهما. لم يرغب دارو في إقامة علاقة انسجام وشبع.

بعد تناول الوجبات كانت هيلين تأخذ حماماً وهي تسدل ستارا حول البركة الهلاليّة، ثمّ تغفو وهي لا تزال مبتلة، قبل ظهور النّجوم الأولى.

ما زال المطر محتجبا. انحسر الماء في الصّهرج إلى مستوى منخفض ثمّ أصبح مالحا قليلا بسبب الوحل في أسفل قدور الصّلصال.

لم يبرد الهواء في اللّيل لكثّه بقي حارّا وواخزا ومثقلا بالمطر الذي رفض أن يهطل. اختار لين أرجوحة معلّقة بين شجرتي

(\*) الوزغ: نوع من السحالي ينتمي لفصيلة الزواحف، يسمى بالعامية (أبو بريص أو بريص).  
(الفاحص)



نخيل، واستلقى آملاً في نسمة باردة تأتي من الماء. حمته أغصان  
النَّخيل الكثيفة المتراكبة من الشَّمس والمطر إن أتى.  
هكذا أصبح غير المرئي مرئياً.

ملأ صوت الأمواج رأسه قبل أن يغفو ويسترسل في أحلامه  
عندما فاجأه صوت أيقظه في إحدى الليالي. ومع أنَّ الأرجوحة  
كانت في ظلٍّ عميق ومكان كامل الظلِّمة لكنَّ بدر تلك الليلة أضاء  
كلَّ شيء من حوله. أدار وجهه للناحية الأخرى من اتِّجاه البركة  
الهالِية.

كانت هيلين مغمورة في البركة لا يظهر إلَّا رأسها وشعرها  
الذي كان ممسكاً للخلف، وقد انحنت وهي تنظر إلى القمر.  
كان وجهها كالزَّنيقة على سطح الماء. وللحظة قصيرة تخيل لين  
صورة أميرة فيتنامية من الأسطورة التي تحكي أنَّها أغرقت  
نفسها في بركة كهذه بسبب الحزن على حبيب فارقت. لم يخبر  
هيلين بتلك الأسطورة قبل ذلك، بل كان قد أبعداها عن ذهنه،  
فالأمريكان لا يفعلون أشياء كهذه.

شعر بالغرابية والارتباك بسبب تأكُّده من أنَّ هيلين عرفت  
مكان نومه، لكن شعر بالذَّنب مع ذلك لكونه هناك. أيمن أن  
يكون ذلك حلماً؟ استدار بحزم وظهره مواجهةً للبركة وأغلق عينيه  
بشدَّة. مازال يحبس أنفاسه وهو يجتهد لسماع صوت رشِّ الماء.  
أمسك قميصه من نهاية الأرجوحة ووضعه فوق رأسه ليكتم  
الصَّوت. تاق أن يرى جسدها لو لمرة واحدة لكنَّه أجبر نفسه ألا  
يطيع تلك الرغبة. أتت إلى ذهنه أسطرٌّ من قصيدة كيو:

«في ماء حمامها المعطر..

غمرت كيو جسدها كزهرة ربيع...

وبنقاء فتاة مغناج....».

استيقظ مصدوماً أنه قد غفا، وتأكد أن كل ما حصل كان حلماً. كم طالبت غفوته؟ كان قميصه على الأرض، استدّار باتجاه البركة ورأى أن هيلين لا تزال واقفة هناك وظهرها باتجاهه ونصف جسمها ظاهرٌ تحت ضوء القمر.

استدارت ووجهها بين يديها ثم نظرت محدّقة في الظلام إلى المكان الذي كان مستلقياً فيه. تاقت إليه وشمرت بالدّنب لتوقها ذاك. «غطّني».

أكان السبب صوت الرّيح بين أغصان النّخيل؟ ربّما كانت رغبته تخادعه.

ثمّ قالت مرّة أخرى: «غطّني».

إذا ذهب إليها فستغيّر حياته، وإذا لم يذهب فستغيّر حياته أيضاً وستذوي. لم يكن لديه خيارٌ آخر إلا أن يذهب إليها. نهض وهو يتحسّس معصمه بأصابع يده الأخرى. مضت خمس سنوات على فقدانه زوجته (ماي). مشى إلى البركة حيث كان الماء بارداً على جلده المحترق وغطّى كتفّيهما بقميصه وضمّها إلى صدره قريباً من قلبه.

لم يتوقّع شيئاً أكثر من تلك اللّحظة، فقد كان ذلك أكثر ممّا ظنّ أنه سيحصل عليه في حياته.

كانت يدها ترتجفان وهو يمرّرها على منحدرات كتفّيهما الرّقيقة. مدّت أصابعها تحت ذقنه وقربت عينيه من عينيها. «لا بأس إن لم تكن تحبّتي» قالت.

هزّ رأسه لسخافة الأمر، لأنه كان واضحاً أنه أحبّها منذ أوّل مرّة وقعت عيناه عليها، وكان الحبّ يكبر ويتعمّق مع الوقت. كانت أكبر هديّة من دارو أنه لم يذكر لها افتتان لين الواضح بها، لذا لم يكن لين مضطراً أن يفصل عن علاقة الصداقة بينهما.

جعلتهما الرّغبة غريبين عن بعضهما من جديد . قادها لين ومشيا يدا بيد إلى البيت واستلقيا على السّجادة . كانت الرّغبة ملحّة بعد مرور كلّ هذا الوقت فلم يتحمّلا مرور لحظة أخرى دون أن يعرفا بعضهما أكثر . كانا يتلمّسان بعضهما كالأعمى الذي يتلمّس طريقه ؛ اكتشف جسدها في أصغر تفاصيله حتّى حجم إصبعها كما لو أنّها كانت المكان المجهول على الخريطة .

سمع الأنفاس الثّقيلة التي تخرج من رثتيها ، صرخات لم يتمكّن أحدٌ آخر من سماعها وكانت له هو فقط ، أحس بضعف أجفانها المغلقة ووضوح العروق الزّرقاء تحت جلدها ، أمسك انحناء ظهرها برّقة كأنه يحميها ويتلمّس التّضاريس الرّقيقة لعمودها الفقري . وضّمد أصابعه ومعصمه بصفائر شعرها الشّافية .

أمضيا ساعات طويلة في ظلّ الأشجار وهما يشاهدان تحرّكات القروّتين جيئة وذهابا بين البيوت والمحيط . لم يتكلّما لفترات طويلة من الزّمن فقد كان الكلام غير ضروريّ . كانت تلك المرحلة الجديدة من الحميميّة ببساطة إثمارا لارتياحهما السّابق بصحبة بعضهما البعض . ذهبا إلى الشّاطئ في وقت متأخّر من بعد الظّهر بعيدا عن العيون الفضوليّة ومشيا كلّ على حدة حتّى وجدا ساحلا منعزلا . دخلا الماء الّذي كان بدرجة حرارة الدّم وسبحا بسهولة في السّائل المالح الدّافئ وتحركا باتجاه بعضهما كحيوانات البحر ، واللمسات والنظرات والأيدي متشابكة .

عادا إلى البيت مرهقين واستلقيا على السّجادة من فرط الدّفء وثقل الأطراف . كان الشّغف مخدّرا . كان لين يريح رأسه في حضنها ويشعر بحرارتها من فوق الشّرشف الخفيف حيث كان يضع أنفه عليه ليستشّق رائحتها المالحة .

«ماذا سنفعل بعد الحرب؟» سألها.

«ماذا تعني بكلمة (بعد)؟ لم تعد الحروب تنتهي كما في السابق». قالت.

ابتعدت عنه وضحكت قائلة: «أظن أن السيدة شوان تتجسس علينا فهي وأصدقائها يقفون بالقرب من السياج في فترة بعد الظهر».

كان يجب دفع ثمن السعادة، وكان ذلك دليلاً لا يمكن دحضه، ويمكن لباو أن يستخدمه ضده. سحبها لين إليه من جديد ووضع رأسه أمامها. أي ثمن لهذه اللحظة غير مهم. «العجائز الثرائرات».

«ربما لا يعجبهم وجودك هنا مع أمريكية».

«الجنيات الثرائرات».

حدقت في السقف ومزّرت أصابعها على شعره «أخبرني شيئاً عن نفسك، شيئاً لا أعرفه».

«لماذا؟».

«لأننا عشاق، لأنه حان الوقت لذلك. من كان لين قبل مجيء دارو؟».

امتعض وعدّل جلسته: «أخبرتكَ عن جيش فييتام الشمالي والجنوبي». كان قد لاحظ نظرات السيّد شوان الطويلة خلال الأسبوع الماضي لكّته تجاهلها. ربما دفع لها باو لتتجسس عليه. «إذا لم تكوني تعرفيني الآن، فكيف ستعرفيني في الماضي؟».

«أخبرني عن زوجتك. كيف التقيتما؟».

جلس لين على الأرض من جديد. «كانت عائلتي تعيش في المدينة وتنازلوا للعيش في القرية بعد التقسيم عندما غادرنا إلى الجنوب. فكانت العادات غريبة علينا. كان الصّبية في القرية

يذهبون إلى النّهر في الليلة مكتملة القمر ليغثّوا أغاني للفتيات الجالسات على الضفّة الأخرى من النّهر».

تذكّر عندما أكل القريدس والفلفل الأحمر الحارّ الذي كان أصفر من إصبعه، والذي ترك فمه محترقا، كان يشرب الجعة التي يحضرها أخوه الأكبر (تشا) مع أصدقائه. وكان يشعر بالضيق في معدته حين يتذكّر المصاييح الملوّنة المعلقة على أطراف النّهر ليتمكّنوا من الرّؤية بشكل أفضل تحت انعكاس ضوئها على سطح النّهر. كان يضيق عينيه قليلا ليتمكّن من رؤية وجوه الفتيات اللّواتي كنّ مشبوبات بلون صاف. لكنّ وجه (ماي) كان في غاية الوضوح، وكانت الأضواء الرّزقاء تُظهر ملامحها كضوء القمر في اللّيل.

«وكانت الفتيات يغثّين أغنية ردّا على الضّبيّة، ويقضون اللّيل هكذا. كان كلانا بعمر الخامسة عشرة عندما رأيتها تغني لي عبر النّهر».

«اختارتك؟».

أنزل رأسه في حوض هيلين وقال: «اختارتني».

«إنّها قصة جميلة». داعبت كتفه ورقبته برقّة أصابعها.

«كيف التقيت بدارو؟».

«ذهبتُ أطلب عملا من دارو وكان بحاجة لمساعد».

«مذهل».

«وجعلني أطيّر إلى إنغكور في اليوم نفسه».

«تلك كانت الفترة التي عشق فيها المبّكان، أليس كذلك؟».

«قال غاري أنّ لا أحد آخر سيعمل معه».

ضحكت هيلين وقالت: «أنا سعيدة أنّك بقيت معه».

وقف لين واستأذن بالانصراف وكانت هيلين قد أوشكت أن تغفو عندما عاد يقطر ماء.

«هل ذهبت لتسبح؟».

هزّ رأسه وقال: «التقيت به مرّة واحدة قبلاً».

«من تقصد؟ دارو؟».

أوماً لين برأسه «أتى ليصوّر التحرّكات مع مجموعة من جيش فييتام الشمالي والمستشارين من الأمريكيين».

«أوه».

ابتعد عنها. أخبرها لين القصّة التي لم يكن قادراً على إخبارها قبلاً، وقد كانت القصّة الوحيدة المهمّة. كان مستيقظاً وهيلين ترتجف وركبتها بالقرب من صدرها ووجهها بين ذراعيها المطوّيتين. ومن دون تفكير أمسك بكاحلي هيلين كما لو أنّهما مرساة، كلّ واحد بيد، وأصابعه مشدودةً حول زوايا عظامها الحادّة، ولم يعرف إن كان يمسك بها أم بنفسه.

شعر بالخطر أنّه بعد أن أخبرها بكل ذلك فلن يحتمل وجوده معها أكثر. فقد كان الجرح شديد العمق، ولا يمكن أن تشاركه فيه، لكنّها شاركته بدموعها. أصبح حزنه هيكلاً عظيماً في وحدته. تمنّى لو لم يكن مضطراً أن يكون كذلك، تمنّى لو استطاع استيعاب الألم وحده وإبعاده عن الآخرين، لكن بدلاً من ذلك بدا أنّه يمكن تقليل الألم فقط بتحويل جروح وكدمات صغيرة منه إلى الآخرين.

«سامحيني». همس لها.

بدت تحته كالمعجزة، كيف فتحت وأغلقت أجنحة رجلها ويديها عليه.

«كانت صحبتنا بين حقول الأرز واستقررنا في تلك الليلة عندما عسكرت جماعةٌ من الكشافة في مخيم خاصّ بفرقة تحرير فييتام. انسحبنا بسرعة إلى قريتنا ووقف المستشاران

الأمريكيّان وحيدّين في الميدان يطلقان السّباب ويطلبان قوّات مساندة لاستهداف الغابات المتّصلة. أتت الطّائرات وأسقطت القنابل التي هزّت الأرض على بعد كيلومترات عديدة، وكانت بالقوّة التي جعلت القرويين يصلّون ألا ينتهي العالم.

بعد تنصيب حرس في محيط المنطقة ابتعدت عن المكان لأرى عائلتي وأطمئنهم.

كان أبي وأمّي يحزمان أغراضهما ويجهّزان نفسيهما للهرب مع (ماي) وأختي الكبيرة (نيها) وطفلها وأخويّ (توان) و(تشا). كانت أمّي قلقة أكثر من كونها خائفة، وبدأت تصرخ أنّها تهجر وطننا بعد الآخر منذ أن كانت فتاة صغيرة في الشّمال. نزلت الدّموع على وجه (ماي) وأمسكت أطراف بطنها كأنّها تؤلمها. اهتزّت كحيوان يشعر باقتراب الفأس، ورجعتني أن أبعدها إلى مكان أكثر أماناً. إلى بيت أختها (ثاو) «أرجوك خذنا بعيداً عن هنا».

«لا أستطيع. للحظة قصيرة أغضبتني أنا نيّة (ماي) رغم سحرها النسائيّ. لو تسوّى لي أن أختار من جديد كنت سأختار (ثاو) التي كانت خياراً أكثر عمليّة. هلقت أمّي أن تكون (ماي) في غاية الضعف والثّوتر ولن تكون زوجة صالحة.

قالت: «وعدت أن تأخذني إلى سايفون».

«رفاقي يعرفون أنّي هنا».

«لا يهّم». هزّت (ماي) رأسها وعيناها تلمعان بجموح ولم تكن

تراني: «سأذهب وحدي على أيّة حال».

كانت (نيها) تستمع، فاستدارت مبتعدة لشعورها بالإحراج من أجل زوجة أخيها. كان طفلها يتدّمّر بين ذراعيها ومازال محمّوماً بعد إصابته بالبرد. كانت (نيها) حنونّة مثلما كانت

(ماي) رائعة فقد كانت مرتاحة بفضيلتها وتضحياتها. وعدتها أن القنابل كانت لحمايتنا، وأن فرقة تحرير فيتنام كانت قد تراجعت الآن ولا يوجد شيء مخيف، جربت الكلمات في فمي وأنا أقولها ولم أعرف إن كان بإمكانها تصديقي أم لا، التقيت بأحد الأمريكان. «إنهم يساعدوننا ولا أعرف ما الذي يدفعهم إلى ذلك» قال أبي وهو يهز رأسه: «كانت عيون الأشجار وأذناها ترى تراجع الجنود».

كانت عائلتي ما تزال خائفة، لكن بعد هدوء الأجواء هدأت الأعصاب. أشعلت أمي نارا صغيرة وصنعت الشاي والأرز الطازج. عندما عرضت (ماي) مساعدتها ضربتها أمي بيدها لتبعدها. «أتذكر في هانوي أن الخدم صنعوا وجبة كاملة وهي الهليون وحساء السلطعون. وكان الشيوعيون يمشون في المدينة. مهما حدث لا بد أن نأكل».

أدارت (ماي) عينيها في شكوى أن العجوز حوّلت كل شيء إلى الكلام عن قصة ثروتها السابقة. «كم هو جميل أن نحصل على بعض الهليون وحساء السلطعون الآن!» تابعت أمي قائلة.

تم إحراق البخور من أجل الأسلاف. كما تم تقديم طبق من الأرز كأضحية. أحنيت رأسي إلى الأرض ثلاث مرّات عند المذبح. وأكلنا في صمت.

قالت ماي: «هل لاحظت ما حدث خلال المسرحية والأغنية؟». قالت (توان): «رجاء، أيتها الفتاة الغبية، ألا يمكنك التفكير بشيء أكثر أهمية من تلك المسرحية الملعونة؟».

كوّرت (ماي) شفّتها ورفضت أن أنظر في وجهها متأكّدا أنها كانت ستتفجر بالدموع مرّة ثانية. حاولت جاهدة الوقوف



على قدميها دون أن تتمكّن من الوقوف تماما حتّى أتت (نيها) ورفعتها من تحت ذراعيها . خرجت (ماي) مع طبقها . لا أستطيع أن أقول شيئا لأنّ (توان) كان أخي الأكبر وكان بائسا ومريرا بسبب بقائه من دون زواج . لكن لم يكن ممكنا أن يسرّني شيء آخر بقدر الكلام عن المسرحيّة . أيّ شيء كان سينسيني خوفي الحاضر .

لأنّه لم يكن لديهم خيار آخر حاولوا أن يشاركوني إيماني بأنّ الأمريكان كانوا مختلفين . عرفت أنّه كان عليّ إخبار فريقي بذلك لكنني لم أستطع . فبعد غياب سنة كيف يهّم غياب ليلة أخرى؟

نام الجميع عند منتصف الليل نوما متقطّعا في غرفة مشتركة حيث كان بإمكانهم أن يتواصلوا ببعضهم بسهولة في أيّ وقت . كنت أذكر لاحقا الخوف الذي سيأتي في الصّباح الثّالي عندما أصبح وحيدا من جديد . استيقظت وسمعت صوت طفل (نيها) وتمنّيت أمنية، وشعرت بالعار من أمنيّتي أن أتمكّن من أن أكون وحيدا مع (ماي) مرّة أخيرة قبل أن نفترق . أكانت (ماي) على حق؟ أكان يجب علينا أن نهرب إلى سايفون عندما كان ذلك بمقدورنا؟ كانت فكرة الهجرة حاضرة دوما كالعجين في المعدة .

سمعنا صوت ضجيج عواء رهيب . كما لو كان زئيرا من باطن الأرض . استيقظنا بارتباك في منتصف اللّيل . في الخارج كان هناك ضرب مدافع هاون على طرف القرية وشظايا من النّار والأرض تتطاير في الهواء ، وكانت أشجار النّخيل وأسقف البيوت القشّ تحترق ، استطعت أن أسمع الصّراخ وصوت صراخ (ماي) ونحيبها يرتفع وهي تلتقط أنفاسها ثمّ تعود للنّحيب من جديد . من أين أتت قذائف الهاون؟ من أيّ اتجاه؟ أتى صوت

ونفسٌ ونفخةُ هواء. ثم سمعنا صوت ثلاث قذائف حطت حول الكوخ. علا ريش الأرض أعلى من مستوى نخيلها. هرب جنودٌ من فرقتي تاركين القرية مكشوفة، هاجمهم العدو من منطقة قريبة كما لو أنه من داخل القرية نفسها. صرخت: «بسرعة، علينا أن نغادر».

سيدعو الأمريكيان الآن قوة جوية ويقومون بتدمير القرية. كان أبي لا يزال في قوة منتصف العمر، فركض وأحضر حبلاً طويلاً استخدمه ليربط الشور الذي كان لدينا إلى الجرافة. كان صلباً وثقيلاً والخيوط جلفة. وأجزاء منها أصبحت نحيلة بسبب الاحتكاك مع المشدّ الخشبي وأجزاء أخرى مكسوة بالطين والزوث. قطع أجزاء من الحبل وربط أفراد العائلة مع بعضهم حيث أصبح معصم كل شخص مشتركاً مع شخص آخر ولم يعد له وحده، كانت تلك هي الطريقة لكي لا نضيع أو نفترق عن بعضنا، فلا يكون هناك مجال لتترك الضعفاء أو نسيانهم إذا حلت حالة ذعر.

رفضت (نيها) الحبل، وقالت إنَّ عليها أن تحمل طفلها. تمايلت بتردد وقلتُ لها: إنني مستعدٌّ أن أحمله، لكنها استمرت بالنظر إلى الأسفل وهمست: «يجب الاهتمام بكل شيء».

«لا».

«الطفلُ مصابٌ بحمى». هزّت رأسها «حبل؟» وضحكت ضحكة حزينة واستدارت مبتعدة. قال أبي إننا سنعود لنأخذها. وهربنا من البوابة الأمامية للقرية وأتت امرأة لطلب المساعدة فسي حمل كيس من الأرض إلى عربتها. ومع أن الأب لم يقف في صف واحد مع أبناء قريته منذ أكثر من عشر سنوات وأمضى وقتاً أطول في حقول الأرض أكثر ممّا أمضاه وهو يطالع كتاباً،

لكّنه لا يزال يشعر بالالتزام بأن يكون مثلاً أعلى للجميع.  
«ماذا تفعل؟» سألته.

كان فكّه متصلّباً: «(توان) تعال معي».  
«لا». قلت بينما فكّ (توان) الحبل عن معصمه. «لقد تأخّر الوقت».

غادر كلّ من أخي وأبي وميّت الدّقائِق وأصبح صغير الانفجارات أسرع وهو ينزع الأرض واللّحم كالورق. كانت النّار تأكل وتطعم نفسها والطلقات النّاريّة تتطاير كعشرات حادّة حارّة، وأناس أمضينا طوال حياتنا معهم مرّوا بجانبنا كغرباء.  
على الرّغم من أنّه كان يمكن أن نموت واقفين في مكاننا لم أجرؤ على ألا أطيع أبي «هل علينا أن نغادر؟» سألت (تشا)، لكّنه بقي صامتا.

«ها هما». قال (تشا) مشيراً إلى أبي وأخي وهما يركضان باتجاهنا وعادا وربطاً نفسيهما معنا من جديد، وبدأنا المشي على الطّريق عندما دوت قذيفة هاون فوق رؤوسنا وأصابت كوخين على طرف القرية، واشتعل القشّ في لهيب النّار كعود كبريت بسرعة البرق. أراد أبي أن يعود من جديد وكلّانا عرفنا مكان سقوط القذيفة، لكنّي نظرت إليه وأشرت إلى أنّه يجب أن نتحرّك بسرعة وننقذ ما تبقى.

ركضنا في الظّلام وأربكتنا الأصوات التي حولنا كلّها، وتبعك فريق الهارب الذي كان يتوقّف ليطلق طلقات عشوائيّة من الخلف متخيّلين أنّ ذلك سيوقف العدوّ الذي لم يتمكّنوا من رؤيته. أصابت القرويين العديّد من الرّصاصات الطّائشة. وأصيبت إحدى العائلات أمامنا بقذيفة هاون وتناثر خمسة أفراد كالدمى في الميدان. قلقك على أمّي وعلى (ماي) لكّنهما

كانتا منبهرتين ومصدومتين ومتعثرتين في المشي. عرفت ذلك من وجودي مع الجنود في المعركة وكيف يتوقف العقل عن العمل ويعمل الجميع تحت إمرة الفريزة.

وصلنا إلى حقل أرر، ولحيرتنا غصنا في الوحل البارد إلى الأسفل وتابعنا طريقنا. تجمع الوحل حول أقدامنا. وغرق الحبل بالماء فأصبح ثقيلا أكثر. وفي أية طريق اتجهنا فيها كان يواجهنا جدارٌ من الطلقات النارية من كل اتجاه. سلكنا الطريق الخاطئ مباشرة إلى ميدان قتال. لعنت نفسي لأنني لم أكن جنديًا حقيقيًا، فقط لأنني ادّعت أن أكون كذلك، لأنني لم أتحمم بما جرى. لقد كان الأمر أكثر رعبا بالنسبة لي من عدم وجودي بين رفاقي الجنود فقد كنت تحت القصف مع عائلتي التي لم يكن لها خيار آخر إلا إطاعة والدي المسكين الأعمى. تلمّست بيدي الفراغ بجانبني وشعرت بالهزيمة لمجرد إدراكي أنني تركت سلاحني في الكوخ خلال هروبنا السريع. أي نوع من الجنود ذاك الذي ينسى سلاحه؟

خذلتني الشجاعة من جديد، وبالكاد استطعت أن أمشي. كان تقدّمنا بطيئًا، فقد كانت النسوة ينزلقن في الطين ويسحبن معهنّ أذرع الرجال حتّى أصبحنا نصفين. وكان الأمل الوحيد هو الوصول إلى الطرف الآخر وإلى الجنود، لكنهم كانوا أسرع منا لأنهم كانوا دون حمولة. حكّ الحبل معصمي وجرحه.

تساءلت دوما ماذا لو؟ ماذا لو تولّيت أنا الأمر واستدرت إلى اليسار بدلا من الاستدارة إلى اليمين؟ ماذا لو أخذتهم ليختبئوا في الغابة وليس في الحقل؟ لكن الخوف تملكنا في منتصف تلك الليلة لأنني لم أكن متأكّدا من أي شيء، فأنا لم أفعل شيئا.

حدث الأمر عندما كنّا في الحقل محاطين بالأشجار حيث

تعرّض (توان) إلى طلقة في خلقه. كان الضّجيج المحيط يصمّ الآذان ولم يكسر الظّلام إلّا أشباح أضواء الثّيران المتطايرة التي لاحظناها فقط بسبب الوزن الرّائد في الحبل.

نزلت (ماي) التي كانت أمامه على ركبتها. أمّي جلست في الوحل محاولة إيقاف الدّم بقطعة قماش. أمّا (توان) الذي كانت هوايته المفضّلة إمساك الضّفادع في الحقل حيث كان يلبسها تيجانا من قشور الثّخيل، فهو ذاته أخي (توان) الذي كان يخاف من الظّلام، لذلك فكّه أبي، وفجأة رأيت عشر سنوات تخطّ على وجهه. ولا خيار أمامه إلّا أن نترك جسده نصف غارق في الطّين، ووجهه مرتفعا على حجر صغير.

توقّف الوقت أو مرّ بسرعة، ضيّعنا دقائق أو ضيعنا زمنا أبديا ونحن نتحرّك. ارتجف المطر في الهواء فأتت القطرات خفيفة في البداية ثمّ أصبحت تضرب على ظهورنا.

كنا نرتدي أحذية ثقيلة من الطّين في أرجلنا، وبدأنا نمشي بأوصالنا المرهقة وعضلاتنا المصابة بالخدوش. شقّت رصاصة طريقها إلى صدر (تشا) بصوت صغير حادّ كسهم ضرب خشب شجرة. (تشا) الذي كان يستمتع بإحضار الحلوى إلى (ماي)، انتفض جسده إلى الخلف كأنّ ريحا قويّة ضربته وأسقطته على الأرض. تعثّر بالحبل الطويل الرّلق بعد أن أضاع سكينه في الوحل. أحنى رأسه بوجهه الذي شاخ كعجوز وقال لي: «عليك أن تأخذ مكاني من الآن فصاعدا».

أمرت النسوة أن يبتعدن وأخذت سكينتي وقطعت الحبل الذي ربطنا. توقّفت قليلا ثمّ ذهبت إلى كلّ فرد من أفراد العائلة وقطعت العقدة التي على كلّ معصم، إذا نجونا فسيكون كلّ منا وحيدا. سقطت قطع الحبل على الأرض كالأفاعي.

تأوّهت (ماي) ورفعت شعرها بيديها وهي جالسة في الطين.  
«انهضي يا (ماي)». هزّت رأسها فرفعتها لتقف على قدميها.  
كانت معدتها كبيرة وقاسية وبارزة، لكنّها أثنت ركبتها ونزلت  
على الأرض من جديد «أرجوك يا حبيبتي»، فتأوّهت بصوت  
أعلى عندما نظرت إلى (تشا) ويدها تضغطان على جانبيها.  
سحبتها للأعلى وصفعتها على فمها: «يكفي! ستمشين». وقد  
كانت تلك أولى كلماتي القاسية منذ أن تزوّجنا.

أومات برأسها بعد أن أحسّت بتأنيبي وخطت خطوة كثيية  
ثم خطوة أخرى، ولم ننظر للخلف أبداً.

تلك هي الطريقة التي تعلّمنا فيها كيف ننجو.  
بعد ساعتين أصبح القتال متقطّعا ولم يبق إلا طلقات  
القنّاصة وضربات الهاون البعيدة التي ضربت الأرض من وقت  
إلى آخر. توقّف المطر، وكانت أجسادنا مبلّلة وباردة ومتعبة.

أطلقت (ماي) صرخة ناعمة، وجلست على الأرض  
مئنكة على شجرة محطّمة ومعدتها ثقيلة تجذبها للأسفل  
كمغناطيس. في الليل المظلم سأل دمّ أسود من بين رجليها.  
فضمت رجليها مع بعضهما وتذكّرت بصوت عال كيف ضحكنا  
في ذلك الصّباح عندما قلّد (تشا) رقصتها. «يبدو أنّه مضى  
الكثير من الوقت» أصابها ألم عميق وقاهر. قالت إنّها كانت  
على خطأ في أنانيّتها عندما صلّت أن نكون سعداء سوياً  
لدرجة أنّها أخفت المال لتشتري قسلادة ذهبية للطفل. لقد  
أغضبت الله. «أردت أن نذهب إلى سايفون لترى أنّي لست  
زوجة عديمة الفائدة».

فركت قدميها اللّتين كانتا متجمّدتين كحصي النّهر الصّغيرة  
«سنذهب الآن».

همست أمي في أذن (ماي) ووضعت يدها على معدتها  
وأخرجت سترة من حقيبتها وطلبت من (ماي) أن تضغطها بين  
قدميها لتوقف ولادة طفلها في تلك الليلة. كانت (ماي) هادئة  
وقد نضجت فجأة من كونها فتاة وتحولت إلى امرأة حكيمة  
لا تشبه فتاتي، ممّا أقلقني.

«سنذهب إلى سايفون» قلّك بصوت أعلى، وبدأت أعلّق  
ما تبقى من الحبل على صدري كحيوان الماشية.  
أتى أبي ولمس كتفي وقال: «يجب أن نعود إلى القرية».  
«لا يمكننا ذلك».

«من الأفضل أن تذهبا وحدكما، ربّما تلحق بكم (نيها)».  
كنت مرهقًا جدًا ولم أستطع الجدال فأشرت برأسي  
موافقا. جلست (ماي) مرهقة على سرج الحبل الذي على ظهري  
وأسندت رأسها على كتفي، وبعد أن عبرت بقي أبي وأمي واقفين  
عند الشجرة المحطّمة، وحتى الآن هذا هو المكان الوحيد الذي  
أتخيلهما فيه.

«سامح حماقتي». همست (ماي). لكّتي لم أستمع لها، وبدأت  
أمشي باتجاه الجنوب باتجاه الجيش، باتجاه الوهم بالأمان.  
فقدت الإحساس بالوقت، لكنّ (ماي) مرّرت أصابعها على  
عنقي خلال الليل وكان ذلك مصدر راحتي الوحيد والشّيء  
الوحيد الذي شجّعني.

مشيت طوال الليل وأضعت حذائي في الطّين. مشيت رغم  
جراحي ورغم أقدامي الدّامية دون أن أجروّ على التّوقف حتّى  
عندما وصل بي العطش إلى أن تشقّق حلقي كأرض نهر جافّة،  
لكنّني تابعت المشي. كدت أموت ماشيا. غفت (ماي) خلال الليل  
ويداها على طرف جسمها.

ثم أضاءت السّماء كملاك وكائن نورانيّ، تلوّنت بلون اللؤلؤ الرّماديّ من جهة الشّرق، وظهر وجه الشّمس المتعب كما لو أنّ ضوء النّهار كان خجلاً أن يضيء الأرض. سباد الهدوء لدرجة أنّني سمعت زقزقة أحد العصافير على شجرة كنت ماراً بجانبها، كانت معجزة أنّ يوماً كهذا تبع تلك الليلة. وصلت إلى الطّريق السّريع في الجنوب وانضمت إلى حشد من اللاّجئين أتوا من القرية مثلنا. كان حلقي متقرّحاً كالجرح المفتوح، تمتمك: «أصبحنا قريبين الآن».

مشيتُ حتّى شعرتُ بأحد يسحب كمّ سترتي فنظرت ورأيت وجها مجعداً لامرأة عجوز. هزّت رأسها بحدّة كأنّها تطرد عنها شبحاً. لم أستطع أن أفهم كلماتها من فرط التعب، رأيت فقط شفاهها الغائرة وأسنانها القليلة المليئة بالبقع والمائلة للسّواد. أشارت بيدها إليّ أن أستلقي فأصبحت فكرة النّوم مسيطرة عليّ بعد كلّ هذا التعب. كنت سأتابع المشي حتّى أسقط مغشياً عليّ. تابعت المشي حتّى وصلت إلى الأعشاب الطّويلة على طرف الطّريق، وعندما بدأتُ بفكّ عقدة الحبل عن صدري لاحظتُ ثقل جسم ماي البارد، وعندما ركعت ببطء على قدمي لإنزالها أدركت أنّني لم أشعر بحركة منها طوال اللّيل أو أيّ نفس دافئ. عندما وضعتها على العشب الطّويل الملوّن بالليلك نزل شعرها الطّويل على الأرض، رأيت فيها شحوب الموت اللؤلؤيّ الرّماديّ وعرفت على الفور لماذا هزّت العجوز رأسها وأعطتني باقة صغيرة من الورد الأصفر قبل أن تبتعد. لقد حملت جثة طوال اللّيل لكن روح (ماي) أنقذتني بطريقة ما. هكذا ينتهي العالم بلحظة، ثمّ يبدأ من جديد في اللّحظة الّتي تليها.



انحنيتُ بين العشب ورأيتُ أننا كلينا ملطَّخان بالدمِّ وأنها  
نزفت طفلنا حتَّى الموت. نظرتُ إلى جانبي الطَّريق السَّريع  
ورأيتُ جثثًا وأناسًا على أطرافه، وعندما نظرتُ إلى وجوه النَّاس  
أدركتُ أننا كنَّا جميعًا الموتى الأحياء ولم ينجُ أحدٌ منا.  
أحنيتُ رأسي وباقة الورد مازالت بين قبضة أصابعي. كانت  
العائلات الفقيرة تشتري من تلك الأزهار وتضعها على مذابح  
العائلات.

كانت البتلات قد ذوت وتكاثر عليها الغبار من كثرة  
الاستخدام، والورود الصَّفراء تفتَّت في المكان الَّذي أمسكتها به  
العجوز. لكنِّي مع ذلك عندما قرَّبت الباقة من وجهي استطعتُ  
أن أشمَّ رائحة ورود البرتقال الطَّازجة الَّتِي فاحت من شعر  
ماي. وهكذا دفنْتُ زوجتي تحت الشَّجرة الَّتِي غنَّى عليها الطَّير،  
ووضعتُ باقة الأزهار في فمها. كانت الأزهار بلون أصفر باهت  
ومغبرة من الحزن، لكنَّها كانت كلُّ ما تبقى لديَّ لأعطيها إيَّاه.



(18)

## كات كاي داو اقتطع الرأس

بحث لين في الصّباح التّالي عن السيّدة شوان ووجدها تطعم سمك السلّور في بحيرة القرية الكبيرة بمخلفات الأطعمة. «نحن بحاجة إلى صندوق لنضع فيه نبات الكوثل والتبّول والأقراط الذهبية. هل بإمكانك أن تحضّري وليمة صغيرة مؤلّفة من ستّة أطباق على الأقلّ، وذلك للقرية بأكملها؟» سأل. شعر بالسّرور عندما رأى حاجبي السيّدة شوان ترتفعان وثرثرتها تقف عند هذا الحد، قضمت شفّتها عندما أعطاهما لين النّقود وقالت: «متى؟». «قريباً بعد يوم أو يومين على الأكثر، علينا أن نعود إلى سايفون». «أبهذه السرعة؟» قالت بعد أن فكّرت أنّ الوقت يمكن أن يسمح لها بأن تنقل المعلومات لباو مقابل جائزة أكبر. عرف أنّ العجوز لن تتخلّى عن المبلغ المالي الذي ستكسبه. «سنقوم بالمراسم في سايفون بدلاً من ذلك، فهي تفضّل هذا». «لا، لا.. إنها عروسّ جائعة ولن تصبر على ذلك». أغلقت السيّدة شوان عينيها في جهد فاشل لتبدو على

طبيعتها وسحبت بسرعة يدها المليئة بالدولارات.

بدت هيلين هادئة عندما أخبرها لين عن نواياه في أن يقيم احتفالاً، فهي لم تستوعب مضمون الوقت الذي قضياه سوياً بعد. لكن بعد أن سمعته عرفت أنه كان يتكلم بجديّة. لم يظن أحدٌ إلا الأمريكيان أن فييتنام كانت إباحيّة كبيوت الدّعارة وحنانات سايفون. بل كان المجتمع محافظاً ولم يسمع أحدٌ عن علاقة خارج نطاق الزواج. بدا لين في بعض الأحيان غريباً؛ لأنه أصبح الآن حبيبها وقد كانا قبلاً مجرد أصدقاء. «ألهذا الأمر علاقةٌ بباو؟ هل سيفضبه أن يعلم بما جرى؟».

«حفظ ماء الوجه أمرٌ مهمٌّ، وهو مهمٌّ بالنسبة لي أيضاً» قال. كانت تلك مناورة جامحة ليحتمي هيلين لكّته خمن أن باو سيفهم معنى الشهوة.

كان باو مشغولاً طوال السّنة الماضية بالعمل في مجال المخدّرات بينما كان لين مشغولاً بعمله، ولم يسألما أي تقارير لصالح جيش فييتنام الشّمالي منذ وقت طويل. وفي محاولة يائسة ليبدو مشغولاً خطّط باو أن تقوم فرقة تحرير فييتنام بالقبض على هيلين وسجنها. وربّما سيجعلها تلتقط صور الطّرف الآخر وتسريب بعضها إلى الخارج. فكّر أن ذلك سيجعله يهتمّ من جديد بمهمّته ويُسكت الحديث عن تعيينه في مكان أقلّ إغراء في الشّمال.

«لسمّ لا نقيم احتفالاً مدنيّاً في سايفون وندعو إليه غاري والآخرين؟» قالت هيلين.

«سنقيم احتفالاً بوذيّاً في البداية».

«تعرف أنني لا أستطيع الإنجاب».

«أنت كلّ عائلتي» قال.

فركت هيلين جبهتها، فقد كانت تعيش في عالم الأحلام في القرية، وهو الآن يجبرها أن تفكر بسرعة لكن أفكارها أتها بكسل. كيف تمكنت أن تشرح له عن قلبها الخائن الذي لم يمنعها أن تحلم بدارو في الوقت الذي كانت فيه بين ذراعيه. قادها إلى الجنون أنها تشعر بالألم نفسه من وجودها في الحرب مع لين مثل نفس الألم في حال ابتعادها عنه. تحوّل الانكسار بداخلها إلى شيء آخر لم تعرف بعد ما هو. أيمنها أن تحبّ شخصا يتغير؟ هي لم تحبّ لين وربما أحبّت شبحا. إنّ العقل غدار.

كان الاحتفال بسيطاً ولم يحضر إلا بعض الأشخاص الذين شكلوا سگان القرية بأكملها. كان العروسان أصغر سناً بعدة عقود عن أصغر الحاضرين في الحفل. كانت فترة ظهيرة مكبوتة هادئة، والغيوم متفرقة في السماء وقطرات المطر تتساقط.

في الزيف كان الوقت يمرّ بصعوبة مهما امتلك المرء من المال، والسيدة شوان لم تتمكن من شراء خنزير يليق بالوليمة فقامت بتقديم سمك السلور والقريدس ولحم الجاموس.

وقف لين مع هيلين أمام مذبح صغير من عيدان البخور واستعار صورا لوالديه وإخوته وأخواته و(ماي) من عمته. تمّ تقديم كأس من الكحول والأرز وطبق من الطعام خلال الاحتفال. انحنى أمام صندوق أوراق نبات التبّول وجوز الأريكا ليكون ذلك رمزا للتّوحد والثقة بزواجهما، وقدّم لهيلين أقراطا ذهبية تقليدية ليكمل عهد الرّواج. خاف من شعوره بالأمل بقضاء مستقبله معها.

وقفت نساء القرية مجتمعات في مؤخرة البيت. والسيدة شوان واقفة في المنتصف. وكانوا يخرجون أطباق الطعام التي تمّ إدخالها ووضعها على الطاولة خلال الاحتفال القصير. وعندما

صَقَّ لِن بِيديِه دَعَا الجَميع لِيأَكُلُوا هَجَمُوا عَلى الطَّعام بَعيون  
مفترسة وأصابع كالمخالب.

بَعْد أن أَكَل القُروِيُّونَ أَصَبَحَت مَعَدَاتُهُم مَشْدُودَةٌ كَالطُّبُول  
وَجَلَسُوا فِي الحَدِيقَةِ وَقَضَوْا اللَّيْلَةَ فِي الشَّرْبِ، لَكِنَّ لِن وَبَخْهُم  
وَأَبْعَدَهُم عَنِ البَيْتِ وَأَعْطَاهُم مَا تَبَقَّى مِنَ أَطْبَاقِ الطَّعامِ.  
ضَحَكَتِ العَجَائِزُ الثَّلَاثُ وَقَلْنَ: إِنَّهُ عَرِيسٌ مَتْلَهْفٌ، لَكِنَّ إِحْدَى  
النِّسْوَةِ وَهِيَ صَدِيقَةٌ مَقْرَبَةٌ مِنَ السَّيِّدَةِ شَوَانِ قَالَتْ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ  
بِوَاجِبِهِ كَعَرِيسٍ مَسْبِقًا طَوَالَ فِتْرَةِ الأَسْبُوعِ المَاضِي، وَانْفَجَرْنَ  
جَمِيعًا ضَاحِكَاتٍ.

«يَكْفِي». قَالَ لِن «دَعُونَا وَحَدْنَا».

جَلَسَت هِيلِينُ الفَافِلَةُ عَنِ كُلِّ الكَلَامِ بِجَانِبِ البَرَكَةِ وَهِيَ  
تَشَاهِدُ الفَيُومَ تَتَحَرَّكُ أَمَامَ القَمَرِ. ذَهَبَ لِن إِلَيْهَا عِنْدَمَا غَادَرَ  
الجَمِيعُ «أَلَا تَشْعُرِينَ بِقَطْرَاتِ المَاءِ؟ أَنْتِ مَبْلَلَةٌ».  
«أَنَا سَعِيدَةٌ».

حَمَلَهَا إِلَى البَيْتِ وَقَدْ تَغَيَّرَ عَطَشُهُ إِلَيْهَا وَأَصْبَحَ أَكْبَرَ كَمَا  
لَوْ أَنَّهُ يَشْرَبُ مَاءَ البَحْرِ الَّذِي يَجْعَلُهُ أَكْثَرُ عَطْشًا مَعَ كُلِّ شَرْبَةٍ.  
اسْتَيْقَظَ فِي اليَوْمِ الثَّالِي فِي وَقْتٍ مَتَأَخَّرَ بَعْدَ الظُّهْرِ، كَانَ وَجْهُهُ  
أَكْثَرَ نَحُولًا وَهَنًا هَالَاتِ سَوْدَاءَ تَحْتَ عَيْنَيْهِ كَمَا لَوْ أَنَّهَا فَاكْهَةٌ  
مَخْدُوشَةٌ، لَكِنَّهُ عِنْدَمَا لَمَسَ جِلْدَهَا مِنْ جَدِيدٍ أَعْطَاهُ ذَلِكَ شَعُورًا  
كَتَيَّارٍ كَهْرِبَائِيٍّ، فَرَضِبَ أَنْ يَفْزُو كُلَّ جِزءٍ مِنْهَا مَرَّةً أُخْرَى.

أَصْبَحَت هِيلِينُ الآنَ تَطْلُبُ الطَّعامَ مِنَ السَّيِّدَةِ شَوَانِ.  
فَاسْتَحْسَنَتِ العَجُوزُ تَصَرَّفَ الأَمْرِيكِيَّةِ الجَدِيدِ الأَشْبَهَ بِتَصَرَّفِ  
الرَّوْجَاتِ. أَحْضَرَتِ هِيلِينُ الطَّعامَ إِلَى لِنَ بَيْنَمَا كَانَ نَائِمًا  
وَمَسَحَتْ عَرْقَهُ بِإِسْفَنْجَةٍ مَبْلَلَةٍ بِالمَاءِ الدَّافِئِ بَعْدَ أَنْ كَانَ كِلَاهُمَا  
يَتَصَبَّبَانِ عَرَقًا وَيَشْعُرَانِ بِآلَامٍ فِي العَضَلَاتِ وَالْعِظَامِ.

أعطاهما الاعتناء به متعة عميقة في تلك الأيام، وهو شيء لم يكن يسمح به قبلاً. وأخيراً، انتهى شغفهما مثلما تنتهي الحمى، وحلّقا سوياً في الهدوء الذي يتلو ذلك الإحساس.

أصبح الأمر أكثر وضوحاً في الأيام اللاحقة؛ إنّ هيلين ولين لن يستطيعا أن يحبّتا بعضهما بقوة وأنانيّة العشاق الشباب. لقد أحبّتا بعضهما كقديسين علمانيّين بغيرة شديدة، وبمعرفة بالآلام بعضهما ومحاولة تجنّبها. لقد أحبّتا بعضهما بحيلة من يعيشون في منتصف العمر.

عادا إلى سايفون وانتقل لين إلى الشقة الملتوية في تشولون. لم يكن بإمكانها أن تحضر رجلاً آخر إليها؛ لأنها كانت مقدّسة ومدنّسة في الوقت نفسه.

تلقى لين رسالة متوقّعة خلال أيّام معدودة مفادها أنّ باو يريد الاجتماع به. لقد توقّع تلك الرّسالة وردّ عليها برسالة أنّه من الخطر أن يلتقيا في المدينة، واقترح أن يلتقيا بالبيت في غابة (هو بو).

استقلّ لين السيّارات العسكريّة إلى كوتشي، ثمّ ركب الدراجّات الناريّة والدراجّات الهوائيّة، وقد كان ذلك هو الجزء الأخير من الرّحلة.

توقّف في ليلة ما قبل الرّحلة ليتناول وجبة ويستريح عند البائع الذي يقف على طرف الطّريق، ويشترك في محادثات مع العديد من الرّجال وهو يضع يده في جيبه من وقت إلى آخر متأكّداً من ملمس الأسلاك الناعم. بعد الأكل مشى وحيداً طوال السّاعات الأخيرة إلى الغرفة المهجورة في الغابات.

هبت الرّياح عند شروق الشّمس بقوة كبيرة، وتسبّبت في اهتزاز الأوراق على الأشجار وتشابك الأغصان وسقوط الفاكهة

التي لم تكن قد نضجت لتسقط بعد . وجد لين سعادة كبيرة خلال الأسابيع التي كان موجودا فيها مع هيلين، لكنه الآن أصبح يشعر بوزن ذاك الحب وثقله .

خجل من شعوره بالرّاحة لوجوده وحيدا . مشى على الطريق المهجور وحيدا وخطر في باله أنّه يستطيع أن يتابع المشي ولا يعود .

كانت تلك فكرة جبّانة . هبّت الرّياح على الفيوم وأضاءت السّماء بأضواء حادّة أتت من النّجوم التي بدت كزجاج مكسّر على طاولة سوداء . أسرع لين في خطاه .

جلس باو على طاولة خشبيّة خشنة وشرب من زجاجة براندي غالية الثّمّن من نوع نابليون . وعلى طرف الطاولة تحت ضوء المصباح بدا متعبا وأصفر ممّا رآه لين آخر مرّة . كان الشّعْر الرّماديّ فوق صدغيه متكاثرا ورأى هالات سوداء تحت عينيه . وكان هناك عصا مسنودة إلى جانبه . مرّت سنواتٌ عديدةٌ منذ أن بدأت اجتماعاتهما سوّيّا . عندما رأى لين ابتسم وكشف عن سنّه البنيّة القصير والكبير .

«لَمْ أسمعك تقترب» قال «انضمّ إليّ» .

«لَمْ لَا؟» جلس لين في الكرسيّ المقابل .

«سَمعت أنّه يجب أن نشرب نخب الرّواج» .

لم يقل لين شيئا بل اكتفى بالابتسام فقط .

«في الحقيقة عندما أخبرتني السيّدة شوان أنّه تمّت دعوة

القرية بأكملها تساءلت إن كانت دعوتي قد ضاعت» .

لم يقل لين شيئا .

«تعال . ليس لدينا الكثير من الوقت . يبدو لي أنّ السّؤال

الأهمّ الآن هو ماذا سنفعل في الوضع الحالي؟» .



«هذا نوعٌ جيّدٌ من البراندي». قال لين وهو ينظر إلى كأسه.  
 «أعجبك الطّعم؟ ربّما يمكن للأمريكان أن يشتروه لك الآن». «لماذا لا تقوم بأيّ عمل؟ ما زلت جاسوسك وعيونك وأذنيك في كلّ مكان. وأمارس تأثيري على العمل بقدر المستطاع». تمّت مواجهة لين من جديد بمعرفته عن كَيْفِيَّةِ التّعامل مع أيّة حالة، لكنّه تمثّى على عكس الاحتمالات الموجودة ألا يكون الأمر كذلك. ضحك باو كما لو أنّهم أخبروه بنكته جيدة ثمّ مسح عينيه «لا يمكن للأشياء أن تبقى على حالها، فالعمّ قد أصبح أكثر ضعفاً، ومراكز القوّة والسلطة تخضع لإعادة تنظيم، فالبعض سيصعد والبعض سينزل وسيعاد تقييم الولاءات». «فهمت».

مسح باو شفّتيه بيده وضرب كوع سبّابته على الطّاولَة ليؤكّد فكرته. «لنكن صريحين يا صديقي. لا أحد منّا سياسيٌّ، وأنا كنت حرّاً مطلق العنان ويمكن القول: إنّهُ تمّ التّفاوضي عني، وقد عاملتك بالطّريقة نفسها، وحين الوقت الآن لكي تظهر ولاءك». «ماذا تقصد؟ ماذا فعلنا لك لكي تتصرّف بنفسك؟».

شرب لين من كأس البراندي في رشفة واحدة، ورفع باو حاجبيه لكنّه صبّ كأساً أخرى.

«لم يكن عملي إلّا أن أوصل لك المعلومات التي أعرفها كلّها، سنذهب إلى هنا أو هناك. نزر يسير جداً». قال لين ونظر إلى الكوخ ورأى سحابة من الغبار تخرج من ثقب في الجدار وتضيء المكان تحت ضوء المصباح وتستقرّ على الطّاولَة وعلى الكؤوس وعلى وجه باو المجعّد المريض.

«هذا صحيح، إن معظم ما تعطيني إيّاه غير مفيد. وما فعلته قد وصلني. أنت في مكان مناسب وأنا أثق بك. لم نعترف بك

لا كجندي ولا كجاسوس، لكن فقط كعاشق». ضحك باو.  
«إذا دعني استمر في عملي».

«كلانا رجل ذو خبرة». قال باو بصوت منخفض يثر «من الصّعب تجاهل النّساء. وأنا وأنت لم نؤمن بالحرب كثيرا على أيّة حال، إنّها الخطّ الجانبيّ لنا. لكن علينا أن نظهر تحالفنا الآن لكي ننجو».

«ماذا تريد منّي أن أفعل؟».

«سأقول: إنّ الرّواج كان لكسب ثقتها وإعادتها إلى الحدود وهو حدث استثنائيّ آخر كالذي خططنا له على طريق (هوتشي منه). اقبض عليها هذه المرّة لكي تجعلها تصدّق أنّها متورّطة. هي تقوم بالتقاط الصّور التي يتم تهريبها».

«هذا الأمر في غاية الخطورة».

«والأ سيكون الخيار الواضح هو مقتل مراسلة، سيثبّط ذلك معنويّات الأميركيّان».

«فكّر بشيء آخر». لقد خذل (ماي)، ولن يسمح لأيّ مكروه أن يحصل لهيلين.

«دعني أكلم القيادات» قال لين.

«القيادات لا تعلم من أنت. أنظنّ أنّي أحقق؟ هذه خياراتك. أثبت أنّ غريزتك لا تقودك. لقد تسلّيت بما فيه الكفاية. أخبرني، كيف هي في الفراش؟».

ضحك لين وشرب من كأسه. كان باو يشكّ بأمره مسبقا، فلم يكن الرّواج سيّئا ولا جيّدا. لكنّه كان مخطئا بشأن لين، فقد تغيّر في السّنوات اللاحقة وأصبح شخصا لم يكنه من قبل، لقد أصبح جنديّا. «صبّ لنا كأسا أخرى، وسأخبرك بأشياء، مثلا عيناها».

هبت الريح في الخارج لدرجة جعلت سقف الكوخ يتحرك ويهسهس.

«انسَ أمر عينيها. أخبرني عن صدرها فقد عرفت بأمركما منذ أن رأيت ذاك الشال معك». ضحك باو، وفكَّ أول زرين من قميصه بسبب الحرارة التي أتته من المشروب وحرارة المصباح في الغرفة الصغيرة.

«أكان الأمر بهذا الوضوح؟» عرف كيف فكَّر باو، وفضَّل أن يجد طريقاً غير شريف على أن يكون سهلاً ومستقيماً. فضَّل أن يسرق دولاراً على أن يتمَّ إعطاؤه إياه. ككثير من الشيوعيين هو لم يحبَّ تلك البلاد أو أهلها، لكنَّه استخدم النظام ليسرق منهم. تتهدَّ باو وبدا منشغلاً وجبهته وعنقه غارقان في العرق «يمكننا أن نقنعها أن تنضمَّ إلينا وتجعل القصص متعاطفة معنا أكثر، لكنَّ ذلك لا يفسِّر زواجك منها». صبَّ باو المشروب، لكنَّ يده هذه المرة كانت أكثر بطئاً وغير مثزنة وهي تحمل الزجاجات، وبدت دائرة صغيرة من السائل المسكوب حول إحدى الكؤوس. «ربَّما لأنني أحبُّها». قال لين. كانت الحقيقة أكثر خطراً من أيَّ كمية من البراندي، وخفق قلبه بشدَّة في صدره عندما نطق تلك الكلمات.

توقَّف باو وكأسه على شفتيه كأنَّه يفكِّر بذلك الاحتمال. «هذا أسوأ احتمال».

بغباء، خرجت الحقيقة الجامعة إلى العلن الآن، وأراد أن يصرَّ عليها. «لماذا؟ أعني إن كان الأمر حقيقياً». نظر باو إليه الآن وكأس الشراب في يده وعيناه الزاحضتان كالحبتان وباردتان. «رجلٌ طماعٌ أو فاسدٌ أو شهوانيُّ هذا يمكن فهمه، ويمكن أن يدخل في الحسبان لكن لا يمكن الوثوق برجل وقع في حبِّ العدو».

وقف لين متمددا كقطعة تتمدد وتتقّس وتطلق مخالباها،  
وجعل البراندي الغرفة تبدو كأنها تتمدد وتتقلّص.

مدّ باو يده وأمسك بذراع لين «ما أعنيه هو ما مدى ضياع  
الرجل ليقوم بفعل كهذا؟ كلمات العمّ تقول: نحن من عرق  
التّينيات والجنّيات».

سحب لين يده بتصميم. لقد كان جنديًا «إذا سنخطّط لرحلة  
جديدة إلى قاعدة (منقار الببغاء) في الأسبوع القادم». قال وهو  
يتحرّك ببطء جيئة وذهابا في الغرفة الصّغيرة ويحرّك إبهامه  
على معدته المسطّحة. قال لين: «إنّها منطقة خطيرة وسيتمّ  
القبض عليها لمُدّة أسبوع، وستلتقط صوراً يتمّ نشرها في جميع  
المجّلات، ثمّ يتمّ إطلاق سراحها دون أن تتعرّض للأذى».

«جيد». قال باو بعد أن أنهى كأسه.

«سنحصل على الطلاق وستعود إلى أمريكا. ثمّ سأبدأ ببناء  
مستقبل لنفسي في المجموعة بما أنّي لا أملك خياراً آخر» قال  
لين «ربّما بإمكانك أن تساعدني لأتعلّم، بما أنّه لا أحد يعرف من  
أنا. صحيح؟».

«فحلّ صغيرٌ أليس كذلك؟» ضحك باو.

«لا أحد يعرف من أنا ليحميك. لا يمكنني الإبلاغ عن  
نشاطاتك».

«صحيح». قال باو بعد تفكير.

«أليس لديك بنات غير متزوّجات؟ سأحتاج زوجة جديدة».

صمت باو.

«ألم تكن أصغرهنّ حسناء؟ أو ربّما لا؟ هل أنا على خطأ؟».

«(يان) جميلة» اعترف باو.

مشى لين حول الطاولة ووقف خلف كرسيّ باو. نعم لقد كان

جندياً الآن: وعلى الجندي أن يفعل ما عليه فعله لينجو بحياته. مدّ يده وسحب لفّة الأسلاك ولفّها حول راحتي يديه ونهاياتها الخشبيّة بين قبضة يديه، تفاجأ لين عندما رأى خفّة الشّعر على رأس باو. لم يكن هناك أيّ شعر على الإطلاق فقط ذكرى وجود شعر. لقد كان عجوزاً وجاهزاً للموت.

«لكن!» تابع باو «لا يمكننا تسليمها إلى رجل لا يمكننا الوثوق به؛ الرّجل الذي تزوّج من العدو. تعرف هذا؟ أليس كذلك؟ لكن...!».

هرب الهواء من حلقه بسرعة كبيرة، وبقيت تلك الجملة عالقة في الغرفة وانتظرها أن تنتهي. مرّر باو يده الغليظة على الطاولة وحفر شظايا الخشب ثمّ تمدّد حتّى استرخى أخيراً. ثمّ ألّقاء لين إلى الأمام حتّى لامست جبهته الطاولة. شكّلت بركة داكنة من الدّم هالة حول رأسه قبل أن تتمدّد وتستدير حول المصباح وزجاجة البراندي والكؤوس. رفع كأسه وحطّمه على الأرض الصّخريّة.

اتّكأ لين على الجدار، ووضع يديه المرتجفتين في جيبه. نعم لقد كان جندياً. لم يشعر بالخوف لكنّه شعر بالأدريّنالين. بدا باو البيروقراطيّ ذاته كأنّه يأخذ غفوة صغيرة لم يسمح لنفسه بأخذها خلال حياته. كرهه لين عندما علم عن فسادهِ وشراكته في تجارة المخدّرات وبيوت الدّعارة، لكنّه رأى فوائد ذلك بسرعة؛ كيف تفاضّى رجلٌ مثله عن زلّات الآخرين. في الحقيقة لقد تقدّم لين في العمر حتّى أصبح عاجزاً عن الحب وعن أن يتحمل أن يحبّ باو، لن يأتي أحدٌ لبحث عن لين إذا اختفى باو تحت ظل النّظام الجديد، كان الطّمع القديم محرّجاً. كان كلاهما محتالين، وقد سحب لين الورقة الرّابعة أوّلاً.

خَمَّت الرِّيحُ فِي الْخَارِجِ إِلَى أَنْ أَصْبَحَتْ كَالْهَمْسِ، كَظَلِّ  
الْإِعْصَارِ، وَأَطْفَأَ لَيْنُ الضُّوءِ. فِي الظُّلَامِ افْتَقَدَ بَاو. رَجُلٌ سَخِيفٌ  
تَافَهُ وَمَحْتَالٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ شَرِّيراً. كَانَ خَطْوُهُ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى ثَقُلِ  
امْرَأَةٍ بَيْنَ ذِرَاعَيْ رَجُلٍ.  
فَتَحَ لَيْنُ الْبَابَ وَمَشَى إِلَى الطَّرِيقِ الْمَضَاءِ بِضَوْءِ الْقَمَرِ، لَكِنَّ  
نُطَاقَ حَرِّيَّتِهِ أَصْبَحَ أَقْلَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ.

(19)

## محيط من الحليب

30 أبريل 1975

كانت هيلين في مرحلة متأخرة من الحرب، وقد نال منها التعب.

لم تتم هيلين منذ وقت طويل على العشب الميت عند مبنى السفارة. نامت لعدة ساعات فقط في الليلة السابقة وأيقظها التفكير في لين. وفضّلت أن تلقى حتفها في سريرها إذا أقدم الشيوعيون على قتلها.

عندما وصلت إلى تشولون. مشيت كمّن يمشي في نومه داخل المبنى الملتوي عابرة باب بوذا المحطّم صاعدة الدّرج الآيل للسّقوط، والذي تفوح منه رائحة الأرّ، ذاك الدّرج الذي صمد عشر سنوات منذ آخر مرّة شكّت أنّه من الممكن أن يتحمل وزنها من جديد. أتت النّهاية متفجّرة مع أنّها صلّت من أجل أن تنتهي شرور الحرب، والآن بعد أن وصلت للنّهاية لم تستطع أن تتكرّ غرابة تحطّم قلبها. خلقت الحرب في نفسها شهية لم يُرضها إلا المزيد من الحرب، كما لو أنّها أفعى تبتلع ذيلها.

بطريقة ما استطاعت هي ولين أن يعيشا حياة سعيدة هنا. عادا من القرية متزوّجين، لكنّ لين أصرّ على الحفاظ على أمانهما

بالتزامهما بالهدوء. كانت هناك احتياطات تتعلق بالعمل أيضا بالرغم من أن عدّة رجال أمريكيّين تزوّجوا من نساء فييتناميّات. شعرا أن عليهما التزاما؛ وهو إخبار غاري قبل أن يصل إليه الخبر من غيرهما. انفجر وجه غاري بابتسامة عريضة، والتي يمكن أن تعني أيّ شيء فهو الذي كان دبلوماسيًا دائمًا. «مؤكّد أن الأمر رومانسيّ كالشعر». وأخذهما لتناول غداء فاخر. لكن الشخص الذي فرح حقًا كانت آنوك.

بدأت الحرب تفرع ناقوسها على آنوك. انتشرت الشائعات أنّها كانت تتناول الأفيون بشكل متكرّر، وجلدها الشاحب وجسمها النحيل أكّدا تلك الحقيقة. في المحلّ الخاص بها أعطت هيلين قلادة جميلة من ذهب ولؤلؤ.

«لا يمكنني أن أقبلها».

«إنّها هديّة الزفاف؛ لأنّ شيئًا حقيقيًا أتى من هذه الحرب في النهاية. أتوقّع أن تكوني في غاية السعادة».

وكانا كذلك حتّى عندما انتقلت الحرب من احتلال الصّفحات الأولى إلى الصّفحات الخلفيّة التي شجّعها الناشطون ضدّ الحرب، في أمريكا.

قامت هيلين بدور الرّوجة ورثبت شقّتهما وتناولت وجبات طويلة مع لين وتعرّفت على المدينة من الدّاخل. كان وقتها سويًا غنيًا وقيّمًا.

استمرّا بتغطية الحرب مع أنّ المهمّات أخذت تقلّ أكثر فأكثر، وهذا كان مناسبًا لهما لفترة من الوقت. بدا الناس في أمريكا وكأنّهم نسّوا أنّ الجنود في فييتنام مازالوا يحاربون ومازالوا يموتون، ثمّ أتى التّدهور والتّناقص في عدد الوحدات العسكريّة وقلّ الطّلب على صور الحرب.



قاما بتغطية الأزمات الإنسانية التي سببها وجود الحرب في البلاد لفترة طويلة، ومنها تأثير المواد الكيميائية وقلة الطعام وأزمة المدارس. انسحب الجيش الأمريكي في عام 1973، وصنّفوا مساعديهم الكلاب كمعدّات لا فائدة منها وأعطوهم موتاً رحيمًا وقالوا: إنّ عودتهم إلى أمريكا ستشكّل خطراً. تعرّض العديد من الجنود للمشكلات وهم يحاولون تهريب كلابهم إلى الولايات المتحدة. احتلت القصص السياسيّة في لاوس وتايلاند وكمبوديا الأسبقيّة، وانتشرت مع الأخبار، حتّى إنّ غاري تحدّث عن نقل مكاتب الدائرة الرّسميّة إلى سنغافورة، لكنّ حدثاً عسكريّاً اندلع وسبّب بالإسراع في رجوع الجميع إلى سايفون. أمّلت هيلين في الوصول إلى مساومة ما وإيجاد عمل دائم في البلد يمكّنها من البقاء. لكنّ لين عرف أنّهم استهانوا بقوة الشماليين.

بقي المبنى ساكناً. هل هجره النّاس لأنّ امرأة أمريكيّة كانت تعيش فيه؟ وإذا كان ذلك صحيحاً إلى أين ذهبت العائلات في المدينة، والتي كانت الآن معزولة كسفينة في أقاصي البحار؟ كان أولئك النّاس أصدقاءهما وقد تناولوا معهما الطّعام. وكانت هيلين عزّابة لخمسة أطفال، ومع ذلك دمّر الخوف كلّ تلك العلاقات.

مع أنّ الوقت كان فجرًا بدت السّماء كثيبة ومليئة بالغيوم المنخفضة.

مشّت هيلين إلى الضّوء الأحمر وأطفأته وانتوت أن تنام. بدا المصباح غير مرئيّ حتّى في تلك الأيّام الأخيرة، لكنّها الآن لاحظت أنّ الضّوء تفتّح أكثر إلى لون الطّين الفاتح كالدمّ المغسول، كان القماش في غاية الهشاشة حيث كان بإمكانها أن

تُدخل إصبعها فيه . ببساطة لقد انتهت صلاحيته لكنّ الظلام أفقدها أعصابها، وأضاءت المصباح من جديد .

تم إرسال مقتنياتهما إلى اليابان منذ أسابيع عندما وصلت الأخبار الأولى أنّ الرئيس (ثيو) قد هجر المرتفعات المركزية، اختفت المدن التي كانت مألوفة بالنسبة لهيلين مثل (كونتوم) و(بليكو) و(بان مي ثوت) .

أوحى لها الغرف بشعور مبتذل كالليلة الأولى التي قضتها مع دارو . لكنها لم تعد غرفته منذ زمن طويل . كان كلّ من هيلين ولين قد تشاركوا في ذكريات كثيرة في تلك الغرف وأزالا سويًا اللّغة التي خافت منها في ذلك المكان . وشعرت أنها بدأت تتناسى الشّقة والمدينة والبلدة .

خلعت هيلين ملابسها وكان جسدها متصلبًا يؤلمها، فمسحت الخدوش وعلامات الأظافر عن ذراعيها والجرح الذي على صدغها . سيترك الجرح ندبة بجانب شعر رأسها لأنها رفضت خياطته . قلقها على هذا النوع من التكبر سيجعل لين يبتسم، لكن ربّما يحافظ المرء على عقله بهذه الطريقة . أخرجت الكيمونو الجديد الذي كان قطعة الملابس الوحيدة لديها عدا عن ذاك الذي ترتديه، لكن فرحها السابق به كان قد انتهى فلم يكن لين معها ليراه، واقتصر على كونه الآن مجرد غطاء . ومّرت إلى جانب المرأة دون رغبة منها أن تواجه نفسها به . بدت الغرفة ممتلئة بالأشباح، وأدركت أنّها لم تكن يوما وحيدة فيها . كان لين يملأ المكان بالحياة ويبعد عنها الأرواح الشريرة .

تخيّلته في تلك اللّحظة على البحر الوردّي بلون الغروب . على الأرجح أنّه لم ينم إلّا بشكل متقطع طوال تلك اللّيلة . هل سامحها؟ يجب أن يعرف أنّها ستلحق به بعد وقت قصير، بعد

عدّة أيّام، لتكون قد صوّرت الظّافر الجديد بالمدينة ثمّ يتمّ إخراجها منها. بماذا كان يفكّر؟ ما الذي كان سيفتقده في وطنه؟ بالطبع هي كانت تعرف أن تلك هي بلاده. كانت هي ما سيفتقده حتّى عودتهما سوياً.

عبست هيلين ونظرت إلى الخريطة المعلقة على الجدار. فهمّ لين أنّها منذ أن التقطت صورة الكابتن تونغ وهو يطلق النّار على العجوز، فلا خيارَ أمامها سوى أن تلتقط المزيد والمزيد من الصّور بعد أن يملأها الغرور ووهم أهميّة النّفس بوهم تلك المهمّة. كان الوصول إلى المجد هو المشجّع على البقاء في البداية، ثمّ كانت الإثارة وبعد ذلك قوّة الثّحمل والمهارة وعدم القدرة على تخيّل القيام بعمل آخر. لمكن كان هناك شيءٌ أكبر يصعب الإمساك به. فقد كان المرء يشعر بالصدّاقة الحميمة في الحرب والحاح التّواصل الذي كان من المحال تكراره في الحياة الطّبيعيّة. شعرت بإنسانيّتها أكثر عندما كانت حياتها على الحافة.

لم يكن الأمر كذلك بالنّسبة إلى لين، فقد كان هناك شيءٌ ما أبقاه بعيداً وآمناً ومنعزلاً، لكنّه فهم إدمانها وسمح لها به، لكنّه منعه من التّفاقم بشكل كبير مثلما تفعل الآن. مرّرت أصابعها على الخريطة (كوانغ تري، هيو، دانانغ، كوانغ نغاي، كوي نهون). كان كلّ اسم يعيد ذكره، وكلّ اسم يصحبه وقتٌ معيّن في السّنة ومهمّة عسكريّة انتهت بهزيمة أو بنصر. لكن كلّ هذه الأسماء أصبحت مطموسة، وأصبحت الخريطة فارغة شيئاً فشيئاً تملؤها رقعة فراغ الخسارة البيضاء.

أصبح عقلها مخادعاً من جديد يفكّر بكلّ شيء. ملأت كأس ماء بالفودكا لتتمكّن من الثّوم، وتمنّت أن تغيب عن الوعي قبل أن تنتهيها. شرد عقلها كإبرة على أسطوانة مهترئة

فأخرجت أحد كتب دارو لتهدي نفسها، وفتحت صفحة مطوية الروايا. وبدأت تقرأ أحد المقاطع.

«جعله هيكل إنفكور ينسى كل تعب الرحلة الذي سيختبره إذا وجد واحة خضراء في الصحراء الرملية، كأنه سحر حوله من البربرية إلى الحضارة ومن عمق الظلام إلى عمق النور».

لم تفهم يوما هوس دارو بإنفكور فقد بدت لها مثله رومانسية ومتسامحة. غفت والكتاب بين يديها دون أن تحصل على جواب لسؤالها.

استيقظت هيلين بعد عدة ساعات وأحسّت بالرعب من أن شيئاً ما قد فاتها. تعثرت أثناء وقوفها على قدميها ولبست ثيابها التي كانت ترتديها في اليوم السابق. ترددت عند الباب ليس بسبب الخوف لكن الخارج بدا الآن بغيضا. يقع الإنسان في حب مكان جغرافي من خلال الناس وعندما يرحل الناس يصبح المكان باردا وغير شخصي.

أخرجت كاميرتها في القصر الرئاسي وأخذت تلتقط صورا لدبابات الاتحاد السوفييتي وهي تمشي على طريق (هونج ثاب تو). أعطاهم شعور بالراحة أن تحبس تلك الصور في عدسة كاميرتها. مرّت بعد ذلك بجادة ثونغ نهات وهي تقطع في طريقها قطعاً مكسورة من الطريق ثم تعيد تركيبها كبلاطات أشبه بلعبة السوليتير.

عندما اقتربت دبابة من البوابة الأمامية توقفت كاميرا هيلين عن العمل فحرّكت المقبض للأمام والخلف لكن دون فائدة، لقد كانت عالقة. انتزعت الحبل من عنقها عندما سمعت صوت المعدن المتشّم، وضعت الكاميرا بين ركبتيها وأخرجت عدسة أخرى، ولكن عندما جهّزتها كانت الدبابة قد عبرت بوابة خبز

الرّنجبيل ومزّقت المعدن. اكتشفت بعد ذلك أنّهم عرضوا فتح البوّابات لكنّ جيش فييتام السّمالي أصرّ على تحطيمها كأنّه كان عرضاً شعبياً. لعنت سقوط الكاميرا من بين ركبتيها وأخذت تضرب رجلها بالرّصيف. ركعت على الأرض ومسحت العدسات بمنديل لتري إن كان أصابها خدشٌ. ثم نظرت إلى الأعلى ورأت بوضوح على إحدى الشّرفات علم البشّمال الأحمر الكبير الذي يحتوي على نجمة ذهبية.

خلال ساعات وبعد أن أدرك أهل سايفون أنّه لن يتمّ تفجير مدينتهم وأنّ حمّام الدّم الذي أشيع عنه لن يحدث. خرجوا بتردد وبدؤوا بالتلويح والتّصفيق للجنود الفييتاميّين السّماليين المارين. إن كانت تعرف أيّ شيء عن ذلك المكان فهو أنّه يغيّر حلفاءه بسرعة، لكنّها شعرت أنّها تعرّضت للخيانة رغماً عنها.

عندما مشّت في الشّارع فاجأتها رؤية مَحالّ المعكرونة مفتوحة من جديد، ورأت في إحداها شخصاً لا يتلاءم مع المكان، ذا شعر أشقر فاتح، ثم تعرّفت عليه. لقد كان المراسل الجديد (مات) الذي التقت به في اليوم السابق. كان يشرب آنية حساء مع مجموعة من جنود جيش فييتام السّمالي. وكانت لحيته طويلة من اليوم السابق، وكان مرتدياً السّترة السّوداء ذاتها التي رآته فيها آخر مرّة. وعندما رآها أشار إليها أن تأتي إليه.

«لديّ خبرٌ لك وحدك فقط هذه المرّة. انظري إلى هؤلاء الشّباب يا هيلين. إنّنا في نزهة».

نظر إليها مجموعة من خمسة جنود شباب وضحكوا. كانوا صفاراً ونحيلين ولباسهم أصفر بلون المستطردة، كانوا بسيطين مقارنة بجنود جيش فييتام الجنوبيّ المتأنّقين والمصقولين. ذكّروا هيلين بأولاد الرّيف المهذّبين، وتمنّت أن يظهر الجنديّ الصّبيّ

من جديد وينفخ علكته. معظمهم لم يزر مدينة من قبل. سايفون في حالتها غير المرتبة كانت أعجوبة من الثروات. ضاع الحُكَّام الجدد في طريقهم إلى القصر الرئاسي، واضطروا إلى الوقوف وسؤال شخص مدني خائف عن الاتجاهات.

«اسمعي. يظنون أنّ المراوح الرئاسية تستخدم لقطع الرؤوس». ضحك مات وفمه مليء بالمعكرونة ويده تقوم بحركات تقطيع صغيرة على رقبتة. «يظنونها للتقطيع أولئك الحمقى، أليس كذلك؟» قالها وضرب بكوعه أحد الجنود.

كان الخوف جديداً على هيلين ولم يمكّنها من الجلوس إلى جانب أولئك الرجال واحتساء المعكرونة. كان (مات) أحمق، لكنّه كان يتميز بأنه لا تاريخ له في هذا المكان. «عليّ أن ألتقط المزيد من الصور». قالت.

«انتظري. أظنّ أنّي أقنعتهم أن يتركوني أصعد معهم إلى الدّابة. يمكنك أن تصوّريني».

«ربّما في المرّة القادمة» قالت مبتعدة.

«أيّ مرّة تقصدين؟» صاح باتجاهها.

في الأيام القليلة التالية لم يسيطر الشيوعيون على المدينة، فقط لأنّهم لم يعرفوا كيف يسيطرون عليها. لكن بعد أن فازوا بنصر مستحيل لم يشكّ أحدٌ بأنّهم سوف يتعلّمون الطريقة الصحيحة.

استعاد أهل سايفون ثقتهم بسرعة عندما التقوا بأولئك الجنود السّاذجين، وبدؤوا يعملون على إعطائهم السّاعات الرّخيصة ذاتها والبضائع المزيّفة التي جعلت الجنود الجدد يرهنوها مقابل أشياء أخرى. وكانوا يتساءلون سرّاً عمّا كان يخيفهم. كان أكثر الأمور وضوحاً في صعوبة السّيطرة على

(تو دو) عدم وجود العاهرات اللواتي لم يسمح بوجودهن تحت قوانين العم (هيو) للعيش النظيف.

انتشرت النكات فورا عن أنه كيف قامت القوّات الجديدة باستخدام المراحيض الجديدة لغسل الأرض، وكيف غضبوا عندما ضغطوا على المقبض فاخفى طعامهم.

مشى هيلين جيئة وزهابا في الشارع، والتقطت صورة لأصحاب المخازن الذين نزعوا لوحاتهم الأمريكية وقاموا بتسوية النيون والمعدن وبدّلوها بلوحات فيتنامية سريعة الصنع. وقف رجل فيتنامي على سلم مهتر وبدأ بضرب لوحة مكتوب عليها (حانة باك)، وقد احتوت تلك اللوحة على صورة فتاة عارية ترتدي قبعة رايعي أبقار وحبل صيد يتحرك على جسمها في دوائر خضراء. كانت رجلاه نحيلتين ولزجتين، وقدماه متصلبتين في الصندوق الذي ينتعله، وأظافره خشنة وصفراء، حيث كان بالإمكان رؤية حياة من العمل الجاد في هاتين الرجلين. التقطت صورة لجسمه بينما كانت اللوحة من خلفه غير واضحة. وكان الزجاج يتساقط على شكل رقاقات صغيرة رنانة أشبه بقطع الثلج وهو يقوم بمسح الشظايا الصغيرة عن خديه وكتفيه ويضرب بقوة أكبر حتى سقطت اللوحة كلها في الشارع، كانت ملامح الألم ظاهرة على وجهه كما لو أنه يضرب أحد أولاده. عبس عندما رأى الكاميرا وكاد يفقد توازنه ولوح لهيلين أن تبتعد.

مشى إلى المكتب حيث كان غاري في الخارج، وكان هناك طاقم صغير يبت الأخبار خلال الفترة الصباحية.

«أين كنت؟ تضربين أحد جنود الشمال؟ أم أنك انضمت إلى جيش العم هيو؟ انتهت الحرب يا هيلين!» قال تانر.

«قلت لنفسى أن أقضي بعض الوقت معك».

مشى غاري إليها «تم سحب أوراق تكليفك منذ أسبوع. ولم  
تعودي تعملين هنا بشكل رسمي. كان عليك الذهاب مع لين». «حسنا سأذهب وأخذ صوري معي إلى الصحافة التي  
تخصني أو إلى الصحافة المتحدة». «لا تتصرفي هكذا، دعيني أرها». «هل ستعيدني إلى العمل؟» أبعدت حقيبة الكاميرا عنه.  
قال تانر: «حان الوقت لوجود (أليس في بلاد العجائب)  
هنا».

أخرجت الفيلم الذي صورته بنفسها، وأرسلت لغاري كل  
الصور لأنها من الممكن أن تكون الأخيرة. سيكون اسمها مكتوبا  
على أغلب صور سيطرة الشيوعيين على المدينة. ارتبط اسمها  
بالساعات الأخيرة لتهدم المدينة. وكان لها أخيرا طابعها الخاص  
في التاريخ. كان الجميع ينتظر القطع الحتمي لخطوط التواصل.  
وكان ذلك عندما يُظهر المنتصرون سلطتهم الحقيقية.  
ارتجفت الآلات وهي تنقل الأخبار في وقت مبكر مساء ثم  
سكنت أخيرا. شعر الموجودون في المكتب بموجة من الخوف.  
«هذا كل شيء يا أصحاب، فينتام مغلقة لإنجاز بعض  
الأعمال. لنذهب لتناول الغداء».

اجتمع فريق من الصحافيين من مختلف الجنسيات لتناول  
الغداء على سطح (فندق كارافيل). رفع تانر كأسه لهيلين ليشرب  
نخبها على انفراد. ومع أنهما لم يحبا بعضهما أبدا؛ لكنه كان  
هناك احترام متبادل بسبب طول الوقت الذي عملا فيه سويا.  
حمل النُدل الذين كانوا يرتدون المعاطف البيضاء الطعام من  
المطعم كأنها كانت مجرد ليلة لا تختلف عن سواها من الليالي.  
تفاجأ الغرييون أن المكان لا يزال يعمل لكّته بقي هادئا أمام



الطّاقم كما لو أنّ الحديث عن الحرب أصبح ينم عن قلة الذوق. وقف النادل الرئيسي بجانب طاولتهم وأعلم غاري بأدب أنّها كانت آخر ليلة عمل لهم؛ فلذلك لا يمكنهم إضافة الفاتورة إلى الحساب القديم بل كان عليهم أن يدفعوا نقداً أو بالشيك. اختفى النّادل قبل تقديم الحلوى. فتش غاري وكاتب فرنسيّ عن الآيس كريم في المطبخ. لم يحضر أحدُ الفاتورة الأخيرة.

بعد الطعام تناولوا السّجائر والمشروبات من الحانة التي أصبحت تعتمد على الخدمة الذاتية. كانت هيلين مستلقية على أحد الكراسي تحتسي كأس السّمبانيا وتتنظر إلى النّجوم. أتى الشاب مات وجلس إلى جانبها.

«كان يجب أن تبقي معنا، البارحة فقط أخذت منهم أشياء قيّمة». قال (مات).

عرفت هيلين أنّه كان يكذب لكنّها لم تهتمّ. في هذا الموعد المتأخّر كانت التفاصيل أمراً دقيقاً. هل عليها أن تفكر بحروب أخرى؟ أمريكا الجنوبيّة؟ ماذا سيظنّ لين؟

كان شعر (مات) على شكل ذيل الفرس، وكان يرتدي ربطة عنق وقميصاً مصبوغاً معلقاً على صدره شعار السّلام. بدا شكله بالكاد مقبولا كمعارض للحرب. رفع معصم هيلين ونظر إلى سوارها الفيتنامي وقال: «من أين حصلت عليه؟».

«منذ عدّة سنوات من رجل من القوّات الخاصّة قبل أن تلتقط صورتك الأولى حتّى». رفعت ذقنها إلى قميصه «أترتدي هذا أثناء العمل؟».

«نعم. طبعاً فهو بمثابة تنكّر».

«تنكّر ناجح، فأنت لا تبدو كمصوّر».

«أحبّ المرأة السّادية حقاً». ضحك (مات) وأعاد ملء كأس

الشَّمبانيا الَّذِي كَانَ مَعْلَقًا بِيَدِهَا لَكُتْهَا بَقِيَتْ مُتَّكئةً عَلَى الْكَرْسِيِّ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ «مَعْلَمِي الْقَدِيمِ تَانِرْ كَانَ يَقْرَأُ مَقَالَاتِ جَرَاهَامِ وَكُتَابَاتِ مَارِينِ. هَذَا مُضْحِكٌ لَأَنْكُمْ تَبْدُونَ وَكَأَنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ الْكُتُبَ ذَاتَهَا».

«أَلَيْسَ ذَلِكَ مَدْهَشًا؟» قَالَتْ.

«مَاذَا؟» سَأَلَهَا.

«هَذَا الْهَدُوءُ دُونَ طَائِرَاتٍ وَلَا مَدْفَعِيَّةٍ. لَمْ أَعْرِفِ الْمَدِينَةَ أَبَدًا دُونَ صَخْبِ الْحَرْبِ». غَمَرَتْهَا مَوْجَةٌ مِنَ الْحَنِينِ وَالتَّارِيخِ وَالْفُشْلِ وَشَرِبَتْ كَأْسَهَا.

صَبَّ مَاتُ كَأْسًا آخَرَ وَأَشَارَ إِلَى تَانِرِ الَّذِي كَانَ خَلْفَهَا «هَلْ جَلَبَ لَكَ السَّوَارِ حَظًّا؟».

اِمْتَعَضَتْ هِيلِينُ وَقَالَتْ: «مَا زِلْتُ هُنَا، هَلْ تَعَدُّ ذَلِكَ حَظًّا؟». أَتَى تَانِرَ وَجَلَسَ بِجَانِبِ قَدَمَيْهَا: «أَبْعَدْتُ شَرِيكَكَ بِأَمَانٍ وَأَصْبَحْتَ جَاهِزَةً لِلْعِبْ مَعْنَا. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟». «لَدَى مَاتٍ عَرْضُ يَقْدَمُهُ لَكَ».

نَظَرَتْ إِلَى الشَّابِّ بِتَمَعْنٍ أَكْثَرَ. كَانَ لَهُ وَجْهٌ صَبِيَانِيٌّ دُونَ خُطُوطٍ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ وَجِلْدٌ مَتَقَشَّرٌ بَعْدَ الْحُرُوقِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا لَهُ الشَّمْسُ. لَعَقَ شَفَتَيْهِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا غَلِيظَتَيْنِ وَعَابَسَتَيْنِ وَغَيْرِ مَتَنَاسِقَتَيْنِ مَعَ بَاقِي مَلَامَحِ وَجْهِهِ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّهُ كَانَ مَتَوَثِّرًا وَقَالَتْ: «قَدِّمِ عَرْضُكَ».

اِبْتَسَمَ اِبْتِسَامَةً مُتَكَلِّفَةً كَأَنَّهُ يَسْتَعِدُّ لِأَنْ يَخْدَعَهَا «سَيَطْرُدُونَنَا بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ اِنْتَهَتْ الْإِثَارَةُ مِنْ هُنَا». «مَا قَصْدُكَ؟».

«أَقْصِدُ أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَغَادِرَ قَبْلَ أَنْ يَطْرُدُونَا وَنَقُومَ بِرَحْلَةٍ فِي السَّيَّارَةِ إِلَى كِمْبُودِيَا وَنَتَوَقَّفَ فِي (فُومْبِرْز)، وَسَنَكُونُ الصَّحَافِيَّينِ

الوحيدين الذين التقطوا صورا لما يحدث في الرّيف. بقيّة الصّحافيّين مجتمعون في السّفارة الفرنسيّة». «هذا عملٌ خطيرٌ».

«لهذا دعوناك معنا» قال تانر «قليل من الحنين إلى الماضي، وتكون تلك هي إشارتنا الأخيرة».

كان تانر ممّن يفامرون، لكنّها افترضت أنّه يخاف على سمعته رغم كلّ شيء. وكان مات قد غطّى منطقة هونغ وخرج منها بقصّة جيّدة. الأمور ليست سيّئة.

«كمبوديا؟» قالت وهي تنظر إليه. إن أكبر إغواء هو أن يقع المرء تحت تأثير سحر إغواء أكثر براءة منه.

«سنذهب إلى هناك مرورا بتيالاند» قال تانر. بدت وكأنّها تصفي إليهم ممّا جعله هو نفسه يفكرّ جديا بالعرض. «متى؟».

«غدا في الصّباح الباكر».

كان دارو قد ربح جائزة (بوليتزر) قبل وصوله إلى فييتنام، لكنّه تابع إنجازاته وازدادت شهرته ليصبح أسطورة عندما ارتبط اسمه بحربه الآسيويّة الصّغيرة. أراد دوما أن يغطّي حدثا إضافيا آخر. قالت لنفسها إنّ هوسها لم يكن بالمقدار الذي كان لدى دارو، فقد كانت هي محترفة تقوم بعملها، بينما كان تانر واعيا للأخطار، لذلك ربّما كانت خائفة من أن تتخطّى الحدود كما يفعل دارو عندما يكون الأمر قابلا للتّفيذ. كان انتصارا ساحقا يحدث مرّة واحدة في العمر. وبغريزتها الصّارمة كيف كان لها أن تدع أولئك السيّئين الذين أرادوا أن يقوموا بعملهم القذر في الظّلام يريحون الحرب، وكأنّ الأمر لم يكلفها أكثر من استقلال سيّارة إلى مكان الحدث؟

عندما انفضَّ اجتماع الغداء أخذها غاري إلى جانب الغرفة وقال لها: «سمعت ما ينوي عليه هذان الأحمقان. لن تذهبي معهما، أليس كذلك؟».

اكفهرَّ وجهها «طبعاً لا، أتظنّني حمقاء إلى هذه الدرجة؟». كانوا على الطريق (رقم واحد) عند الظهيرة مقترين من الحدود أكثر فأكثر. وكان الموظفون الأجانب في خدمة البريد قد هجروا البلاد وتركوا سيّارتهم ومفاتيحها مع إشارات تدلّهم على الطريق إليها، ممّا جعل الأمور ميسرة لثلاثتهم. لم تكن هناك حركة عسكرية لأنّه لم يكن من الممكن التأكّد من أن تلك الوحدات التابعة لجبهة تحرير فيتنام تعرف إن كانت الحرب لا تزال قائمة أم لا؟ تمركزوا عند عربة وردية اللون عليها شارات السّلام وكلماتٌ مخطّطة بالجرافيتي على الجانب تقول: «أنت لا تعيش إلّا مرّتين». كانوا يحاولون التّظاهر إمّا بأنّهم ينتمون لطائفة (الهيبيز) وإمّا بأنهم مهزّبو مخدّرات صفار، كان أيّ شيء أفضل من أن يتمّ اكتشاف أنّهم ينتمون للصحافة، عندما يتم اعتراض سبيلهم.

جلس الثلاثة في المقعد الأماميّ وملؤوا المقعد الخلفي بمجلات وعلب بترول من سيّارات أخرى، وكانت معدّاتهم مكدّمة فوق كلّ هذه الأشياء ممّا ملأ السيّارة حتّى السّقف وجعل الرّؤية مستحيّلة من المرآة الخلفيّة. بدؤوا في التحرك عند الفجر ثم توقّفوا ثلاث مرّات لإصلاح عجلات مثقوبة. لم يكن هناك تكييف في السيّارة ففتحوها التّوافذ.

ضرب الهواء السّاخن وجه هيلين وشفّتها وحوّل شعرها إلى أسلاك حادة كالسّوط، لكنّ الحركة إلى هدف معيّن أعطتها شعوراً جيّداً. تشبّثت تفكيرها الّذي امتلأ بالمنعطفات والوديان

الخطيرة التي شكّلت مغامرة عظيمة. حال وصولها إلى تايلاند ستطير للقاء لين وسيستريحان في كاليفورنيا. سيكون هناك دوما حروبٌ أخرى وكلّهما ستكون بقدر تلك الإثارة التي كانت متساوية مع الأخطار التي مرّوا بها. كانت تأتيتها أحيانا الفكرة المحبطة أنّها بحاجة أن تبقى دائما في الجوّ، ومع ذلك وبعد كلّ تلك السنين أصبحت متعبة من عدم استقرارها في مكان واحد لفترة طويلة، وعدم وضع كامل ثقلها على كاهل قشرة الأرض التي كان يمكن أن تتشقق من تحتها. كان عملها هو التقاط الصّور لكنّها أحيانا كانت تنسى لماذا تفعل ذلك.

بدا الرّيف فارغا. فعندما مرّوا بالقرويين كانت هناك نظرة مفاجئة تغمر وجوههم أكثر من أيّ شيء آخر. لم تعرف هيلين ماذا توقّعت أن ترى فما من شيء تغيّر، الوجوه الفارغة هي ذاتها، والأراضي المليئة بأشجار الموز وبالبقع التي تنتشر عليها ما برحت مكانها.

جلس مات في المنتصف ولفّ سيجارة مرّرها عليهم. كان يرتدي نظارات شمسيّة باللّون الأزرق المعدنيّ عكست صورة هيلين حين كانت تنظر إليها.

«متى أتيت إلى هنا لأوّل مرّة؟» سألها.

«لماذا ترتدي هذه النظارات؟».

«كان يجب أن تريها، كانت كأنّها تلميذة ترتدي جوارب

قصيرة» قال تانر.

أخذ مات سحبة طويلة من سيجارته وحبس نفسه لدقيقة وقال رافعا صوته قليلا وهو لا يسزال يحبس بعض الدّخان في رثتيه: «متى؟».

قال تانر: «علينا أن نتوقّف لنأكل».

قالت: «أنا أتضوّر جوعاً. ماذا أحضرت؟»  
 «أحضرت ما استطعت إيجاده. بعض الرقائق وثمار المانجو  
 والطعام المعلّب» قال مات.  
 «كيف لك أن تحضر الطعام المعلّب، ما كان يجدر بك ذلك»  
 صاح تانر.

«ستكفيينا لزمان طويل».

«يا إلهي!».

«أتعرف. قم أنت بإحضار الطعام في المرة القادمة يا سيادة  
 المتذوّق». استدار (مات) وركبته على المقعد وأحضر كيساً من  
 خلف المقعد فوَقعت علبةٌ من النَّافذة المفتوحة.  
 «ماذا تفعل؟» صاح تانر.

طارَت علبةٌ من رقائق البطاطا من النَّافذة. أسندت هيلين  
 نفسها على الباب «أتيت في نهاية الخامسة والستين، تركت الكليّة  
 وأتيت إلى هنا، فقد كنت قلقة أن تنتهي الحرب إن انتظرت إلى حين  
 تخرّجي». ارتجفت قليلاً لكنّ مات وتانر كانا لا يزالان يتجادلان.  
 «أردتُ أن أعرف ما حلّ بأخي، رفض الطّيار أن يحطّ بالطائرة لذا  
 قام الطّاقم بدفع الرّجال منها من فوق ارتفاع عشرة أقدام، فتهشم  
 كلا كاحلي أخي، وبينما هو عالق في الطّين قام أحد عناصر العدو  
 بإطلاق النّار عليه فمات كالحيوان». حاول ما كراي أن يحميها من  
 معرفة قبح التفاصيل لكنّها احتفظت بها عبر السّنين. وشعرت  
 بالراحة لعدم شعورها بأيّ شيء عند تلقّظها بها.

«خنازير قذرة». أخذ تانر سحبة طويلة من السّيجارة وفرّغ

فمه من الدّخان بزفرة واحدة.

«أنت تجذب الانتباه إلينا برميك الأشياء من النَّافذة» قال

تانر مخاطباً مات.

«أنا جائع» قال بعد أن طرح نفسه على المقعد.  
بدا أنهم نسوا قصتها التي كان ثمنها غاليا ومزّت  
الدقائق.

قال مات: «إذا لماذا بقيت طوال تلك المدة؟»  
صمتت هيلين وقالت: «لأنه بدا لي أنني أقوم بأهم عمل في  
العالم، وكانت تلك المغادرة بمنزلة الموت».  
تابعوا طريقهم بصمت في السيارة حتى سمعوا صوت تنفيس  
عجلة أخرى.

«يا إلهي!» قال تانر.  
أوقفوا السيارة بجانب كوخ صغير مخفي عن الطريق خلف  
أجمة خيزران. أخرج تانر عجلة جديدة من الصندوق بينما مشى  
مات باتجاه المبنى.

«إلى أين أنت ذاهب؟» صاح تانر «لَمْ لا تساعدني؟»  
«أنا أتبول. فهمت!» قال مات.  
«لَمْ يذهب إلى الكوخ؟ باحثا عن حمام!» هزّ تانر رأسه وقال:  
«ذاك الولد واسع الحيلة».

بعد عدة دقائق ظهر (مات) عند زاوية الكوخ ولوّح إليهما.  
رأت هيلين العروق الحمراء تخطّ عينيه عن قرب وذلك بسبب  
التدخين وقلة النوم. تبعوه إلى حديقة موحلة صغيرة كان فيها  
إويزة تُنازع وهي ما تزال على قيد الحياة.

«رجلها وجناحها مكسوران» قال (مات) بصوت حالم. حاولت  
الإويزة أن تبتعد لكن كلّ ما استطاعت فعله هو تشكيل دوائر في  
الغبار. بدت عيناها السوداء وان باهتتين لكن عندما اقترب (مات)  
أكثر أصدرت صوت هسهسة لتبعده.

«كيف يمكن أن نعرف؟» سأل تانر.

أجاب (مات): «لقد تربّيت في مزرعة يا رجل، وقد حان وقت الغداء».

تذمّر تانر.

نظرت هيلين من أحدهما إلى الآخر: «ألا يجب أن نغادر؟». قال (مات): «علينا أن نأكل، أمهليني ساعة».

قال تانر: «ما زلت أعمل في تركيب العجلة الملعونة. هيّا. لكن هل أنت متأكد أنّ هذا الطير غير مصاب بمرض داء الكلب؟». «داء الكلب لا ينتقل إلى الطيور يا رجل».

ندمت هيلين على المجيء معهما، ولم تستطع تحمّل مشاّذاتهما أكثر من ذلك. أخافها تهوّرهما. فقد استطاعت أن تصمد طوال تلك المدة لأنها لم تخاطر من قبل إلا بمخاطر محسوبة. قامت بمخاطرة واحدة مع سقوط سايفون حين غطّت الاستيلاء عليها، وكان عليها العودة إلى بلادها. كمبوديا كانت شيئاً مغايراً تماماً. «أنا بحاجة أن أخرج من هنا لأصل إلى لين».

استدار الرّجلان لينظرا إليها.

مسحت هيلين وجهها وقالت: «لا تهتمّا».

عاد انتباه (مات) إلى الإوّة وقال: «ربّما سقطت من إحدى العربات أو ربّما تمّ دهسها. ستموت خلال ساعات وستذهب هباء».

مشّت هيلين لتجلس في ظلّ الكوخ بينما قام (مات) بقطع رأس الإوّة ونتف ريش جسمها المرتجف باحتراف وقطّعها ليطهوها على نار متّقدة. شعرت بالقرف من ذلك المنظر بأكمله، لكن بعد أن بدأت القطع بالاستواء وصدرت عنها رائحة اللحم المطبوخ شعرت بطعنة في معدتها، وأدركت أنّها كانت تتضوّر جوعاً. كان الجسد يخون دوماً أفضل نوايا المرء. تلاشت ذكرى



الجسد المرفرف والرأس والعنق الذي تم رميه على بعد عدة أقدام بين الأعشاب الطويلة، وحلت محلها ذكرى غداء يوم الأحد عندما كانت شارلوت تقوم بقطع شرائح صغيرة من اللحم الأبيض وتضعها على أطباق من الخزف الصيني، كانت تمرر تلك القطع الصغيرة كبتلات من الزهر على أرجاء الطاولة.

ابتسم (مات) وأحضر لهيلين قطعة كبيرة من لحم الصدر والأفخاذ ملفوفة بورق. أكلتها بسرعة وهي تضحك مع الرجلين مستمتعين جميعا بلذة الطعام. مسحت الدهن عن فمها وذقنها ومسحت يديها بسروالها لكنها لم تتمكن من إزالة بقايا الزيت عنها.

جلس مات إلى جانبها وهو يحمل كاحل الطير موصولاً بفضذه بكلتا يديه وقد أخذ يأكل لقماً كبيرة من اللحم الحار. «كيف انتهى بك الحال مع زوج فييتامي؟» قال.

ابتسمت وأكلت لقمة أخرى من اللحم. «اسأل تانر فقد كانت إحدى هواياته تحليل حياتي العاطفية».

«ليس الطعام سبيئاً أليس كذلك؟» سأل تانر وهو يشرب جرعة طويلة من زجاجة الويسكي.

أومأت هيلين «إنه جيّد». أعطاهما (مات) قطعة أخرى من لحم الصدر. شربت جرعة طويلة من زجاجة الويسكي وأعادتھا. قال تانر: «لا بأس بلين في رأيي فهو مصوّر جيّد ولا يتدخل فيما لا يغنيه، ولا يبدو أنه يكره حقيقة أنه يُعامل على أنه مواطن من الدرجة الثانية في بلاده، وأن أغلبنا يشك أنه ينتمي للشعوب الحمراء».

قالت هيلين: «هذه بادرة كبيرة منك».

«ما أقوله: إنّ لين واقعي. هو بالطبع يحبك فقد حصل على

الجائزة. ظنّ دارو أنّ كلّ ذلك بفضلّه. انخدع لظنّه أنّه كان هنا لهدف سام، فعندما كان ينبش عن عنوان عريض أو عن جائزة كبقيتنا كان يضعك مكانه على تلك المروحية ويأتي هو إلى هنا مكانك».

أزعجت هيلين تلك الحقيقة.

كان لون السماء أزرق باهتا تخطّها أذيال غيوم رفيعة كخطوط الدخان، ولم يكن هناك صوتٌ مسموعٌ سوى صوت مضغهم للطعام وخشخشة الورق.

«أين تعلّمت أن تطبخ هكذا بحقّ الجحيم؟» سأله تانر أخيراً. نظر (مات) إليهما: «هل حان وقت الحقيقة. ضربني أبي كثيراً فقرّرت أنّ عليّ أن أهرب إن أردت البقاء على قيد الحياة. ذهبت إلى شمال داكوتا عندما كان عمري أربعة عشر عاماً وعملت في مطبخٍ حتّى أصبح عمري ثمانية عشر عاماً».

«لماذا إلى داكوتا الشماليّة؟»

«سمعت أمّي تقول يوماً: لا أحد يملك عقلاً سليماً سيذهب إلى داكوتا الشماليّة. فخطر لي أنّه لا أحد سيجدني هناك».

سألت هيلين «هل وجدوك؟»

«لم يبحثوا أبداً وقضيت هناك أفضل أوقات حياتي». أحنى (مات) رأسه. «وجدت امرأة هندیّة تعمل محاسبة. وظلت معي لمُدّة أربع سنوات حتّى اكتشفت أنّي كاذبٌ حين أخبرتها عن عمري فطردتني، هل تصدّق ذلك. لقد فعلت أشياء كثيرة».

قال تانر: «لا نريد أن نسمع عن امرأتك الهنديّة».

كان رأس هيلين يرنّ من أثر الكحول وشعرت بأنّ أمراً جديداً سوف يطراً عليها.

«ماذا فعلت إذا؟»

صرخ (مات) وصقق يديه: «أتيت إلى فيتنام». لم ترغب أن تعرف، لكن كان عليها أن تسأل: «كم عمرك؟». «تسعة عشر عاما» قووس حاجبيه. «لماذا تسألين. هل أنت مهتمة؟». «علينا أن نذهب».

«أفضل طريقة للذهاب إلى إبادة جماعية هي على معدة ممتلئة» قال تانر، وانفجر هو ومات ضاحكين. ابتسمت هيلين. هما مهرّجان. كان غاري محمًا فقد كانت سعيدة لعدم معرفتها أين كانت، لكن بعد مجيء الصّور سوف تغفو عن كلّ شيء مرّة أخرى. كان الأمر دوما متعلّقًا بتجاوز الحدود.

قال تانر: «هذه ضربتنا أنا متأكّد بأنّنا سنغدو مشهورين». قال مات: «سيقابلنا (كرونكيت) وستتقاتل علينا محطات التلفزة».

«اللّغة على العاملين في التّلفاز».

كادت هيلين تحسد فرحهم وشهوتهم للشّهرة وقلة تعاطفهم المخجلة مع البشر.

سأل مات: «ماذا كان الأمر عليه في عام الخامسة والسّتين؟». ابتسمت هيلين وقالت: «أتيتم متأخّرين جدّا فالأيّام الجميلة قد ولّت وانتهت».

وعلى معدة ممتلئة تابعوا طريقهم بصمت ونعس حتّى وصلوا إلى الحدود. بدا مكتب الحراسة مهجورا لكنّهم أبطؤوا السيّارة على أيّة حال.

كان الطّريق أمامهم خاليا إلّا من الحجارة والأوراق المبعثرة ورجل عجوز يمشي باتجاههم ويحمل حقيبة في كلّ يد. تعرّ الرجل عندما مرّوا بجانبه ولم ينظر إليهم إمّا بسبب التعب أو الخوف. أوقفوا السيّارة.

«أيمكننا مساعدتك يا أبتى؟» سألت هيلين.  
 وقف في مكانه متردداً تحت أشعة الشمس الحارقة وعيناه  
 نصف مغلقتين خلف النظارات ذات الإطار الأسود.  
 «أتريد الماء؟» سألته مشيرة إلى الماء.  
 أنزل حقائبه وكان الإرهاق واضحاً على كتفيه اللتين بقيتا  
 منحنيتين وسار بضع خطوات إلى الأمام. كان يرتدي قميصاً  
 أبيض رثاً وسروالاً خاكياً. وكانت قدماه مشقوقتين وتزفان في  
 حذائه الصيفي القديم. أنزل له تانر مقعداً من خلف السيارة  
 ليجلس عليه ثم ذهب إلى مقدمة السيارة وأحضر كاميرته.  
 أعطت هيلين العجوز قربة ماء فارتشف منها بسرعة كبيرة  
 لدرجة أنه تقيأ.

«واو.. على مهلك يا عجوز!..»  
 «من أين أتيت يا أبتى؟»  
 «(بريك فنو) الواقعة خارج (فنوم بينه)»  
 «إنها مسافة طويلة للمشي؟»  
 «مشيت لمدة أسبوع وأكثر.. لا أعلم. لقد فقدت الإحساس  
 بكل شيء. أختبئ في الغابة خلال النهار، لكن الخمير الأحمر لا  
 يقتربون مني معتقدين أنني سأموت وحدي.  
 «سأذهب إلى (فنوم بينه)» قال تانر جالساً القرفصاء وهو  
 يلتقط الصور للعجوز وهو يشرب.  
 «لا».

«لا بأس يا أبتى»  
 «لقد أفرغوا المدينة والمستشفيات. إنه لأمر رهيب. أرى  
 أشياء لم أتمن أن أعيش لأراها»  
 «هل أنت من فيتنام؟» سألت هيلين.

أحنى رأسه وأوماً «أنا عائدٌ إليها بعد عدّة سنوات». عرفت أنّه لم يجدر بها أن تسأله عن عائلته، فذهبت إلى مقدّمة السيّارة وأحضرت له قربة ماء أخرى: «خذها. هل لديك طعام؟».

هزّ رأسه فأحضرت بعض السّندويشات والكعك والطّعام المعبّب.

«خذ الطّعام وبعض الضّمادات والمرهم لقدميك». «الحدود هنا». قالت مشيرة بيديها إلى الأرض دون تحديد خطّ تماسّ، عدا عن بيت الحراسة. «القرية الثّالية ليست بعيدة». ما الذي كان بعيدا بالنسبة لرجل عجوز على شفا الانهيار. «لا تتسي مفتاح العلبة». قال (مات) قادما من جانب السيّارة وهو يبدو كتلميذ مدرسة مهذب.

بقي العجوز جالسا وقال لهم شكرا.

عاد تانر وقال: «لنتابع طريقنا».

أومأت هيلين «عذرا يا أبتى، هل يمكنني أن ألتقط صورة لك؟».

نظر إليها نظرة فارغة وقال: «لم يبقَ أحدٌ يهتمّ يا بنيّتي». وقف متردّدا وهو ينظر إلى الطّريق. بدا شيءٌ على وجهه عندما ركّزت عدسة كاميرتها، كان ارتجافا جعلها تشعر بالإحراج لإحساسها بالتّطفل. كانت الصّورة الّتي أرادتها هي أوّل نظرة نظرتها إليه، والّتي كانت لشخص صغير مجهول التقى بهم وهو يحمل حقيبته، لم تستطع أن تبين الصّورة. أدخل يده في جيبه وأخرج منها ميداليّة من الحجر الرّمليّ لم تكن أكبر من قطعة نقدية صغيرة منحوتة عليها صورة لبودا وأعطاه إياها. «لا أستطيع أن أقبلها» قالت.

«لديّ واحدةٌ أيضا وهي تمنحني الأمل». أخرج واحدة أخرى من قميصه «ضعيها في فمك هكذا». فتح فمه كاشفا عن بضع أسنان وحيدة. وضعها على لسانه ثم أغلق شفثيه. بصقها من جديد. «ستحميك من الضرر. لهذا هربت ولم يقتلوني كما قتلوا البقيّة. قام بحركة تقطيع بمجرّفة بيديه.

أخذت هيلين صورة بوذا ويدها ترتجف وانحنت للعجوز. «أتمنى أن تحميّنا كما حمتك». وبعد أن تابعا طريقهم رآته يحمل حقيبتة ويمضي في طريقه. خرجت من النافذة والتقطت الصّورة التي أرادتها من الخلف. قال تانر: «لو كنت مكانك لما وضعت تلك الميداليّة في فمي لأنّه لا يمكننا أن نعرف أين كانت!». ضحك تانر و(مات) كزوج من الضّباع وهما يشاهدان العجوز يصفر ويتلاشى في المرآة الجانبيّة للسيّارة حتّى أصبح ظلّا اختفى في الأفق.

مضت عليهم ساعاتٌ طويلة وهم يقودون السيّارة على فوّهة حاقّة أخاديد شديدة تحاذي امتدادات حقول الأرزّ التي كانت ملساء أكثر من الطّريق، وهم يتقدّمون ببطء حتّى وصلوا إلى طريق مسدودة.

بدا الأمر مجرّد ركّام من مسافة بعيدة لكن عن قرب ظهرت لهم جمجمة وخوذة وسلاح وحذاء. لقد دخلوا أرضا خارج حدود اللّغة، ممّا عنى أنّه إذا تقدّموا لم يبق أمامهم إلّا الخطر. فجأة بدا الهواء الحارق يحتدم أكثر جفافا وغبرا. أخرجت هيلين رأسها من النّافذة ونظرت خلفها إلى الطّريق الذي قدموا منه. هل يمكن أن يكون العجوز قد وصل إلى برّ الأمان! عندما كان مات وتانر مشغولين بالخريطة وضعت الميداليّة في فمها. كانت بنيتها رملية كالإسفنج، وطعمها مالحا كالتراب والحديد.

«يبدو أننا أمسكنا بطريدتنا» قال مات.

استدارت هيلين لتتظر إلى الأرض المحروقة أمامها حيث كانت الأرض والسّماء سلسلة من الألوان الحمراء والصّفراء القاسية والأشجار الواهنة المليئة بالأشواك.

كان المكان بأكمله كمادّة سريعة الالتهاب تنتظر الاشتعال. بدا الشّكل الأوّل مجرّد كومة من الخرق على طرف الطّريق، لكن عندما تباطأت العربة اتّضح أنّها جثة ولد صغير مكوم على جانبه كأنّه نائمٌ ويده الصّغيرة تغطّي تجويف أذنه.

شعرت هيلين بالشّجاعة تتسلّل منها ويحلّ محلّها الخوف واليأس. امتدّت جثثٌ على بعد ربع ميل آخر، منها امرأة في العشرينات من عمرها ويدها ممتدّتان على جانبيها كما لو أنّها تعرّضت لصدمة، وكان هناك أيضًا جثة رجل وذراعه مطوَّيتان خلفه كأنّه يسترخي. ثمّ بدأت الجثث تتزايد على الطّريق، منها عائلات ومجموعات من الرّجال وعجائز ونساء كلّهم تعرّضوا لإطلاق النّار واصطقّوا كحزم الأرض المحصودة بالمناجل؛ ممّا اضطرّ تانر إلى إبطاء السيّارة والانحراف والتّمايل جيئةً وذهاباً على طول الطّريق، حتّى أصبحت الجثث كثيرة جداً وكثيفة فتوقّف ليتجنّب دهسها.

نزل تانر ومات من السيّارة بينما جلست هيلين تضع فيلماً في كاميراتها. جهّزت نفسها ووضعت منديلاً مبلّلاً بالمرهم على أنفها ثمّ تقدموا وبدؤوا بالتّصوير. أشار إليها تانر فمشت إلى حافة الطّريق، ورأت الميدان مليئاً بمئات الجثث المكوّمة، كان العديد منهم مقطوع الرّأس ومضروباً بالهراوة، فعرفوا أنّ قصص (فاي شول) كانت حقيقةً، فقد تمّ القتل بالمعاول من أجل توفير طلقات الرصاص.

«نحن الوحيدون الذين تمكنا من التقاط هذه الصور» همس مات وفكّه مشدوداً ومرتجفٌ ثم استدار مبتعداً وتقياً .  
وضعت هيلين يدها على ظهره وقالت: «لا بأس قد حدث ما حدث، اشرب بعض الماء».

«لم يحدث هذا معي قبلاً» أبعد مات يدها ومسح وجهه .  
عضت شفتها لانزعاجها: «إنها المرة الأولى التي بدأت تثير فيها إعجابي» قالت هيلين .  
«إنّ مقاييسك غريبة» قال .

«لقد صوّرنا بما فيه الكفاية» قال تانر: «لنذهب» .  
عاد الرجلان إلى السيّارة ومن دون تفكير انحنى هيلين عبر السياج والتقطت صوراً أكثر للجبش المكومة . حيث التقطت صورة من زاوية سفلى أفضل، حيث ظهرت السماء من خلفها ليتمكّن مَنْ يراها من أن يشعر بضخامة الأكوام . إذا لم تكن الصورة جيّدة فهذا يعني أنّ المصوّر لم يكن قريباً بما فيه الكفاية . أخذت صورة قريبة لفتاة صغيرة كان فيها مسحة سلام كما لو أنّها نائمة وقد تدلت وردة من شعرها . بعد خمس دقائق تسلّقت هيلين عائدة ومشّت إلى السيّارة . في الدّاخل دفعت قفل الباب إلى الأسفل ثم ضحكت من حماقتها . «إنني أصاب بالجنون، أعطني زجاجة من أيّ شيء» .

«حان وقت الويسكي» قال مات وبحث في الحقائب من جديد .

قاد تانر السيّارة على الطّريق وقال: «إلى الأمام!» .  
أخذت هيلين رشفة طويلة ومسحت فمها وشربت من جديد .  
كان مقياس هذا الفساد كأنّه جزء من الحرب العالميّة الثانية .  
هرّت هيلين رأسها . من الواضح أنّ الأمر كان أكبر منه «لن



نصل أبداً إلى (فنوم بينه). وحتى لو وصلنا ماذا سيحدث إذا؟ سيصادرون الفيلم». تمكنت هيلين في الخريطة «لنعدّ عدّة أميال ونأخذ هذا الطريق الجانبي. من المحتمل أنّه مسار قطعان الأبقار لكّنه متشابك مع الطريق السّادس، والطريق السّادس يقود إلى تايلاند».

صرخ تانر وضرب يده بلوحة العدّادات «ما رأيكم أن نشترك نحن الثلاثة بجائزة (البوليتزر)؟» ضحك «لقد حصلنا على الصّور، تخيلوا مدى حسن حظّنا».

حاولت هيلين الإمساك بزجاجة الويسكي لكنّ يدها لم تتمكّن من القبض عليها فقد كانت تهتزّ بشكل كبير. وضعتها بين ركبتيها لكيلا يتمكّن الرّجلان من الملاحظة. السّخريّة لم تكن لتحصل برفقة أفضل في هذه الرّحلة؛ لأنّهما كانا منعزلين عن الرّعب ومنشغلين بطموحهما. لم تكن تمتلك القوّة في تلك اللّحظة لتسأل نفسها عن دوافعها. لماذا كانت هناك حقاً؟ لم يكن بوسعها إلّا أن تصلّي من أجل أن يقودهم جهلهم إلى الحدود. «ظنّوا أنّهم سيفرّون دون عقاب فقد أنكر (بول بوت) كلّ شيء لأنّه ما من دليل إن لم توجد الصّور. لن يجعلنا ذلك مشهورين هنا! أليس كذلك؟» قالت هيلين.

«سيقتلوننا إن أمسكوا بنا» وافقها تانر «أعطني تلك الرّجاجة ودعينا نحتفل».

«عليهم أن يمسكوا بنا أوّلاً يا عزيزتي هيلين» قال مات. وصلوا إلى نهر الميكونغ بعد قضاء ليلة ونهار آخر على الطّرق الوعرة. تناقش تانر مع قائد المركبة ثمّ أعطاه رشوة ليقوم بنقلهم عبر النّهر. كان الرّجل يُدعى تشان وله عيون خنزير صغيرة وأحد خدّيه منتفخ عن الآخر بسبب سنّ ملتهبة.

استمرّ الرجل في تحريك قدر فيه شيءٌ أخضر على النار وسكب الصّلصة على كمّادة منسّخة كانت يده اليسرى تفتقد ثلاث أصابع مقطوعة من تحت المفصل. وبعد أن طلب منه مات أن ينظر بسرعة إلى خدّه استدار وقال: «أنا مصابٌّ بخراج».

أخيرا وافق تشان على أن يأخذهم عبر النّهر مقابل ثمن باهظ يعادل عشرة أضعاف الثمن المعتاد، وأصرّ أن يتمّ تمويه عربة المحطّة بمظلة من أوراق النّخيل. أخذ كلّ من تانر ومات يغطّون السيّارة، مشت هيلين إلى مات لتبّل منديلها. طفا قميصٌ وردّيّ ذو مربّعات على سطح الماء وعندما اقترب أكثر رأت أنّه يغطّي جذعا متورّما لإنسان. كان القماش مشدودا يشقّ الدّرزات. ظهرت جثّة امرأة ترتدي ثوبا أسود ووجهها إلى الأسفل ولها شعّرٌ طويلٌ يتمايل بين أعواد القصب.

خلال العبور كانت المياه كالمعدن السائل، وكانت العبارة متوقّفة على سطحها دون حراك. نظرت هيلين إلى الماء وانعكست صورتها حادّة وكأنّها تنظر في مرآة.

جلس قائد العبارة على حافة القارب وكمّادة مشدودة حول رقبته وحدّق فيهم، دحّن كلّ من مات وتانر سيجارة «دعنا نجم غطاءنا».

وضعت هيلين صورة بوذا على لسانها بعد أن تعوّدت على طعم الحديد حتّى غدا طعمها المرّ مريحا لها. «أنا لا أثق به» قالت هيلين.

امتعض مات ونظر إلى تشان وصورته الجاثمة الصّارمة منعكسة على نظّارته الشمسيّة الرّقّاء «ماذا تريدان أن تفعلين؟ تقتلينه!».

«سيقوم بالإبلاغ عنا» قالت.

«حظنا سيئ، سنعبّر الحدود في النهار ولكّني سأقتله إن أردت ذلك».

شعرت بأنّ رأسها خفيف كأنّه لم يكن هناك كميّة أوكسجين كافية في الجوّ.

بعد أن نزلوا عن العبّارة دفع تانر لتشان مرّة أخرى هبة مالية لكي ينسى لقاءهم. أخذها الرجل بحماس وابتسم للمرّة الأولى متنفّساً في وجوههم، كانت أنفاسه أشبه بالكبريت، لكنّ البفض بقي ملحوظاً في عينيه. كان يماطل في سحب حبل البوّابة ليسمح للسيّارة بالمرور. تطوّرت إنكليزيّته المبسّطة فجأة وقال: «الخمير سيّئون والأمريكان أغنياء وهم الأفضل».

«كيف سنصّل إلى حدود تايلاند دون أن نصطدم بالخمير إذا؟» أخرج مات كيساً من الماريغوانا ليديه له.

«لا مشكلة!».

تكلّم تشان مع مات ودلّه على الاتجاهات التي يمكن أن يسلكوها. سحب مات رزمة سمّية من جيبه وأعطاه المزيد. أشار تشان إلى السيّارة وإلى هيلين ثمّ قام بحركة التقاط الصّورة. أوماً مات بحكمة وأشار إلى هيلين «إنّها حبيبتي، وتريد أن تلتقط صوراً لـ(هنوم بينه) و(إنغكور وات)». ثمّ تجهّم مات وأخذّه جانبا «كم تبعد المسافة إلى (إنغكور)، وإلا فلن...».

قام بحركة فاحشة بيده فضحك قائد العبّارة. أعطاه مجموعة إرشادات معقّدة أخرى وأخذ قلمه ليرسم جزءاً من الصّورة على ورقة.

أخرج تانر نقوداً إضافيّة وأعطاه إيّاها.

«أذهبوا إلى (هنوم بينه) فالمكان هناك أفضل».

«ألا يوجد خطر؟».

«المكان هناك أفضل». أصرَّ الرَّجل وربّت على معدة تانر وقال: «نساء».

تحرك في النهاية لينزل جبل الحَاجز، وتحرك الرجال الثلاثة على المنحدر ليقودوا عربة المحطّة.  
«هل أنتم ذاهبون إلى (فنوم بينه)؟» ألح الرجل كما لو كان أمّا قلقة.

«نعم إلى فنوم بينه».

هزّ مات رأسه بكسل ولوّح إليه عند انطلاقهم. رفع كلتا يديه عن المقود وقام بالحركة الفاحشة فأضحك تشان.  
«سنتجنّب الأخطار بالتأكيد» قال مات.

«سنمضي من خلال الطريق الطّويل إذا؟» سأل تانر.

«يتوقّع منا تشان أن نفعل ذلك».

«لا. سنأخذ الطريق الأقصر لأن تشان يتوقّع منا أن نخونه».

«فلنجنّ ظنونه أكثر ونفعل ما نريد».

انطلقوا بمعنويّات عالية مقتنعين أنّهم ضلّوا قائد العبّارة، لكنّ الرّحلة تحوّلت إلى سلسلة مرعبة من المنعطفات الخاطئة والطّرق المسدودة.

«لقد كذب علينا ذاك الوغد الصّغير». قال تانر وهو يضرب بيديه على المقود.

«كان عليّ أن أبعده» قال مات. توقّفوا عند الفسق لخوفهم من خطر القبض عليهم بسبب أضواء السيارة. كانوا حذرين أن تأخذهم المفاجأة فخبّئوا السيّارة بين الأشجار وناموا في الخندق. جلست هيلين على كومة من أوراق الأشجار «أصفوا». همست لهم.

«ماذا هناك؟» سأل مات.

«لا أصوات.. لا شيء.. لا طيور حتى أو حشرات».

«أنت السيّدة التي تعشق الصّمت».

لم يتحدّث أحد لعدّة دقائق.

«غريب». قال تانر «غدا عند الغداء سنكون في أفضل فندق

في بانكوك نفتح زجاجة شمبانيا».

نظرت هيلين إلى السّماء، لكن حتى في تلك القبّة شديدة

السواد لم تظهر أيّة نجمة. كانت كغطاء من الرّصاص، فحتى

السّماوات كانت مطفأة. «أنا جاهزة للعودة إلى الوطن» قالت.

«ما الذي أحرك هكذا؟».

ارتجفت في الظّلام «كنت تائهة».

أغمضت هيلين عينيها وفكّرت بلفافات الأفلام الموجودة

في السيّارة وبالصّور التي ما زالت في الطّبقّة الحسّاسة منها،

ودار في ذهنها أماكن الظّلام والثّور كما لو أنّها كانت بداية

العالم. كانت هي نفسها ممثلة بالصّور الكامنة التي التقطتها

عبر السّنين، ومع ذلك فإنّ ما رآته سيبقى مختبئاً في داخلها.

كان لين قد غطّى عينيها خلال مهمّة (داك تو) لأنّه كان يعرف أنّ

العين هي أكثر الأعضاء أهميّة. نغلق عيوننا إمّا لنجنّب أنفسنا

الأخطار وإمّا في وجه من نحبّ. أن ترى يعني أن تكون متحملاً

للمسؤوليّة. كانت الجيوش تضع عصابات على أعين السجّناء

لكي تفرض قوّتها عليهم في الميادين، كان الخمير الحمر يجعلون

الناس يستديرون بعيداً لكي لا يرى الجلّادون أنفسهم في عيون

ضحاياهم.

ربّما كان تانر على حقّ، فالصّور كانت جيّدة، وقد تمّ التقاطها

بمخاطرة كبيرة، كان لديهم فرصة في ربح بعض الجوائز ممّا

جعلها تأمل في الوصول إلى مستوى دارو الفني.

كان الأمر أشبه بمطاردة ذيل نجم مذئب. لقد أنجزت آخر عمل لها في الحرب وكانت فخورة بذلك. لكن حتى مع اقترابها من الهدف فهمت أنّ ازدراء دارو لم يكن ادعاء، وأنه مع الوقت الذي يتمكن فيه المرء من اكتساب أوسمة شرف كتلك، يكون مضطراً لدفع ثمن أكثر بكثير ممّا تستحق. ومع ذلك كانت لا تزال باقية هناك..

وعندما خلدت للنوم سألت نفسها أين كان لين؟ هل كان ما يزال على العبارة أو هو الآن في طريقه إلى كاليفورنيا؟ ورات نفسها تعود إلى مجمع السفارة وترى الأوراق المحترقة والدخان يدوران في الهواء. ثم تخيلت نفسها على السطح تدخل لين إلى المروحية، لكنها ستبقى معه هذه المرة وتشعر بالخفة المألوفة عندما يطيرون فوق المدينة المظلمة ثم فوق المساء الذي كان أكثر ظلاماً. كانت تمسك بيد لين وكانت حرة للمرة الأولى منذ عدة سنوات، ربّما للمرة الأولى في حياتها. كان المستقبل يسارع خطاه إليهما من مكان ما في ذلك الظلام. هل تمكنت حقاً من خداع قدرها؟ ففكرت بأخيها ولم تكن في مخيلتها عنه تلك الصورة التي دمرتها الحرب، لكنها تخيلت صورته السابقة وهو يضحك ويرقص حولها. كانت يداه مرفوعتين للأعلى في حركة ملاكمة مخادعة، وكان شعره ممّلساً إلى الخلف، وأسنانه البيضاء تلمع. نسيّت أنّه كانت له حياته الخاصة قبل الحرب. وبسبب إحساسها بالذنب والمنافسة أضاعت فرصتها بأن تمتلك حياة خاصة بها. لكنّ مايكل بعد ذلك هزّ رأسه كحصان يحزّر نفسه ممّا يشكّمه ورفض ذكرها له.

رأت هيلين الفتاة الكمبوديّة التي صورتها في التّجمع مسبقاً. تخيلت تمزيق قماشة قميصها الرّقيقة وخصلات شعرها

الطويل التي كانت كخيوط الحرير، بل كأجزاء لولبية من زهور  
نجمة الصبح في الربيع، وقد بدت غائرة في جوف ضلوعها  
وفي تجاويف عينيها الجافة. كان الموتى يدخلون في الأحياء  
ويختبئون في جلودهم ويطوفون في الدّم ليستقروا أخيرا في  
القلب. استوعبت هيلين لغز الفتاة الصغيرة وعرفت أنها ستصبح  
مثلا شجاعة ومليئة بالإقدام، فقد عرفت خوفها وقرّرت أن  
تتجاهله، وأخيرا امتلكت الشجاعة الكافية للعودة إلى الوطن.  
لقد حان وقت التخلي عن الحرب.

استيقظت هيلين قبل الرّجلين عند الفجر وشعرت بالرّاحة  
كما لو أنها قد نامت ثماني ساعات في سريرها الخاص.  
مشّت إلى السيّارة وأخذت قميصا نظيفا من حقيبة مات.  
كان لونه أزرق فاتحا وعليه علامة السّلام. مرّرت يدها على  
الثّديّة التي على معدتها. كان لين قد مرّر أصابعه عليها قبلا،  
على تلك البشرة الّلامعة والفاتحة قرّحية اللّون كحراشف  
السّمك.

«لن أتمكن من ارتداء البكيني بعد الآن».

«هذا يجعلني أحبّك أكثر» قال لها.

«لماذا؟».

«هذا يثبت أنّك سوف تكونين شجاعة في المستقبل».

لكنّها لم تعد تشعر بالشّجاعة، فمنذ بداية وصولها إلى فيتنام  
كانت الشّجاعة هوسها، فقد كانت خاصيّة قديمة موجودة في  
الحياة المصريّة، وهي ذاتها الخاصيّة التي نالت إعجابها لدى  
لين ودارو. أمّا عندها فقد كانت موجودة بشكل نادر. كانت تلك  
هي حياة الصّحافيّ. فقد شعرت أنّها كبرت في السنّ مقارنة  
بالمهجّيين أمثال مات. أصبحت ليّنة وضعيفة، لكنّها أبعدت

تلك الفكرة عن ذهنها على أيّة حال. استدارت بعد أن ارتدت القميص ورأت مات ينظر إليها.  
«تبدين جميلة» قال.

حملت حقيبته ورمتها عليه وقالت: «منحرف شاذ».  
وصلوا إلى الطّريق السادس وسط فترة الصّباح بعد أن أعطوا السّجائر للقروّيين العاملين في الحقول مقابل المعلومات، متحدّثين معهم عن طريق معرفتهم القليلة بالّلغة الفرنسيّة والكمبوديّة. أطلقوا هتافات الفرح «بانكوك ها نحن قادمون». صاح تانر «سأحصل على أجمل عاهرة إن دفعت ثمنها». فكّرت هيلين بالصّور الّتي ما زالت في الفيلم. كانت ستصرّ على إنجاز عملها بنفسها في الغرفة المظلمة. كانت أوراق الأشجار متناثرة في الطّريق الفارغ أمامهم. وقدّر تانر أنّه بعد قيادة السيّارة ليوم واحد سيصلون إلى تايلاند.

توقّفوا في منتصف الطّريق عندما لم تستطع هيلين تأجيل حاجتها للتّبوّل.

طلبت من الرّجلين أن يستديرا، وقضت حاجتها خلف السيّارة، فقد كان من الخطر أن تدخل بين الشّجيرات بسبب الألغام. رأت على بُعد عدّة أقدام من مكان جلوسها القرفصاء نظّارات محطّمة سوداء كالّتي كان يرتديها العجوز الكمبوديّ.

كانوا على بُعد نصف ساعة من أنفكور عندما سمعوا صوت انفجار مدوّ، ورأوا زوبعة صغيرة في الوقت الّذي تمّ فيه إطلاق النّار من مسدّس آليّ على النّافذة الخلفيّة. طارت شظايا الرّجاج في السيّارة كالفلّاذ حيث ارتطم معظمها وجرح بعضها الأذرع والوجوه. كانت النّافذة الخلفيّة محجوبة ولم تستطع هيلين أن ترى أيّ شيء خلفها، فاسترقت النّظر من خلال المرايا الجانبيّة



لكنَّ السيَّارة كانت تهترُّ بعنف ولم تستطع إلا أن تلمح صبيًّا، ثمَّ رأت السَّماء ثمَّ الصبيَّ ثمَّ الأرض. داس تانر على دواسة الوقود وتقدَّمت عربة المحطَّة إلى الأمام بينما تمَّ إطلاق الرِّصاص من جديد على أبواب السيَّارة. انفجرت الإطارات وانزلقت السيَّارة في الخندق.

«اللَّعنة، اللَّعنة، اللَّعنة» قال مات. تحطَّمت إحدى عدسات نظَّارته الرُّقءاء وكشف عن جرح في القرب من عينه.  
«أخرس يجب ألا يبدو عليك القلق» قال تانر.  
«أهذا وقت المزاح؟» قال مات.

أحاط بالسيَّارة مجموعة من الجنود. ثمَّ شرعوا يضربونها مستخدمين قبضاتهم. كانوا يرتدون ثيابا موحدة رتَّة مع شالات عليها مربَّعات حمراء ملفوفةً حول رؤوسهم وأعناقهم، لتشير إلى أنهم من الخمير الحمر. وكانت البنادق معلقة على أكتافهم الصَّغيرة. كان قائدهم حافي القدمين ولكَّته يرتدي قبعة ونظَّارات طيَّار ملونة باللَّون البرتقالي تتماشى مع السَّماء النَّاريَّة، كان مظهره في غاية الغرابة مما جعله يبدو أقلَّ خطرا. ضرب محرِّك السيَّارة بمؤخِّرة بندقيَّته ممَّا ترك تجاويف بيضاويَّة الشَّكل، بينما قام جنديَّان بفتح باب السَّائق وأشاروا إلى الثلاثة بالتَّزول.

نزل في البداية تانر ثمَّ مات ثمَّ هيلين وأيديهم وراء رؤوسهم. أشار الجنود إلى الطَّريق بالبنادق. أملت هيلين أن يقوموا فقط بأخذ السيَّارة ويدعوهم يذهبون في حال سبيلهم، وكلَّ ما استطاعت التَّفكير فيه هو الصُّور الصَّائغة، لكن عندما مشى الثلاثة لمسافة عشرين ياردة سمعت إصدارا للأوامر، فركض خلفهم أحد الجنود واستخدم بندقيَّته كمضرب بيسبول وضرب مات على ركبتيه من الخلف.

لم يكن عمر الجنديّ أكثر من عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة، وكان وجهه نحيلًا وأسنانه كبيرة ومتراكبة، وعندما صرخ كان صوته يبدو كصياح الفتيات. أشار إلى الآخرين أن يركعوا في منتصف الطريق أيضًا، وعندما فعلا ذلك ضحك ضحكة عريضة وربّت على ظهر مات.

«على الرّحّب والسعة أيّها الصّغير القذر» قال مات.

أغلقت هيلين عينيها. كان الأمر برمّته غير حقيقيّ كالوهم. أرادت أن تقف وتتزع السّلاح من الصبيّ وتصفعه. لذا بدا بعيد الاحتمال أن يقوم أحدًا ما في أيّة لحظة ويضحك ويعترف أنّ الأمر برمّته مجرّد لعبة.

فتحت عينيها لدى سماعها صوت تدمّر من مات، ورأت الجنديّ يشير إليهم لأن يُنزلوا أيديهم ويخلعوا أحذيتهم. كان الجنود صبيّة ولم تكن لديهم الخبرة، لدرجة أنّهم لم يعرفوا كيف يفثّشون عن الأسلحة الموجودة معهم، لكنّ السّلاح الذي كان بحوزة مات كان مخبأً بأمان في السيّارة. لم تكن لديهم أي فرصة بالطّبع لأن يطلقوا النّار ليخلّصوا أنفسهم. جلس الثلاثة على الطّريق وأخذوا يفكّون أربطة أحذيتهم بأصابع خدرة ويتبادلون النظرات. أدخلت هيلين يدها في جيبها ووضعت أيقونة بوذا الصّغيرة في فمها دون أن يراها أحدٌ. وأحسّت بمرارة الحديد المنقّذة. بعد ذلك أمروهم وهم حفاة بأن يركعوا من جديد ويضعوا أذرعهم إلى الخلف بمرافق متلاصقة، اتّجه جنودٌ آخرون وربطوا أيديهم بحبل خشن. لعنت هيلين نفسها لأنّها لم تغطّ صدرها حيث كان اثنان من الجنود يضحكان ويشيران إليها. نظر الجنديّ الأصفر ذو الشّعر المجعّد بمكر إلى القائد المشفول بالسيّارة ثمّ انحنى وأمسك بصدرها بسرعة.

اندفع مات إليه، فوجه الجندي الآخر بندقيته إلى رأس مات.

قالت هيلين: «لا، مهما يحدث لا يمكنك إيقافه، أريدك أن تبقى على قيد الحياة». ارتجفت ركبتها وحاولت أن تجلس. كانت أفكارها مجزأة بطيئة تخرج منها بجهد كبير. لم يكن هناك فائدة من أن يخبروهم أنهم من الصحافة؛ لأن ذلك سيكون بمنزلة حكم بالإعدام. كان كل شيء ضدهم بما فيه لون جلدهم والسيارة بكل محتوياتها. كان فمها مليئاً باللعاب وقبل أن تفكر وقفت على قدميها وبصقت على الجندي الذي لمسها.

بدا الجندي مصدوماً، ثم انفجر ضاحكاً. ضحك معه الجنود الآخرون. رجعت هيلين إلى الخلف ورأت باقي الجنود يحومون حول السيارة، كان المجيء إلى هذا المكان خطأ فادحاً. كان ظلماً كبيراً أن الإنسان لم يحصل على أية أمنية سحرية، وأنه لم يتمكن من إلقاء خطأ واحد في حياته. كان ندمها الأكبر في موتها بتلك الطريقة هو تأثيره على لين. عند السيارة سحب الجنود كل المعدات ورفعوا كل كاميرا إلى مستوى رؤوسهم وحطموها على حجارة الطريق. قام أحد الجنود بفتح علب الأفلام وانتزع اللقافات من علبها المظلمة وكشفها على الضوء. شعرت هيلين أنها أنجزت عملها وتحزرت من سحر الحرب. كانت الحرب بشهيتها الأبدية للدمار الذي كان يبيد الأشياء والأرض والناس دون تمييز. رأت الجنود وهم يكومون مقتنياتهم ويرمون عليهم قنبلة يدوية ويضحكون على الانفجار والحطام المتناثر. قام الجنود أيضاً بالقفز على أكياس الطعام رغم أنهم لم يكن لديهم ما يكفيهم ليأكلوه، كما فتحوا الطعام المعبأ. ثم

صبّوا الوقود داخل السيّارة وأشعلوها فأصدرت دخانا أسود كثيفا إلى السّماء.

ثم تحول انتباههم الشرير إلى الثلاثة الرّاكعين على الأرض. نظرت هيلين إلى الطّريق وحاولت أن تتخيّل حدود تايلاند. تخيّلت أنّهم كانوا سيصلون إلى طريق مسدود بنهر مع أنّها لم تتذكّر وجود نهر على الخريطة، لكنّ النّهر كان واضحا ومندفعا في مخيلتها، وعرفت أنّ عليها أن تسبح لتتقذ نفسها، وكان ثمن ذلك العبور هو أن تترك خلفها كلّ شيء حدث في تلك الحرب. تذكّرت الكلمات التي ردّدها دارو في اللّيلة الأولى التي التقيا فيها ولم تفهمها حتّى الآن: «دعها تعد للوطن بالسّفن الكبيرة، يجب ألا تُترك على الأرض الغريبة». أرادت أن تعود إلى الوطن ولم تُرد أن تبقى هناك. تخيّلت لين واقفا ينتظرها عند بوابة خيزران صغيرة. فقد كان انتظاره لها هو الذي أنقذها دوما. سمعت صوت إطلاق نار على مدى قريب منها لكنّها لم تستدر لتتظر. ضغطت أيقونة بوذا على سقف فمها وشدّت أسنانها حتّى شعرت بها تتصدّع، تذوّقت طعم الدّم المالح في فمها ممتزجا بالحديد الذي أصبح جزءا منها. فوجئت أنّهم كانوا يستخدمون الرّصاص بمثابة معاملة خاصّة للأجانب. سمعت تدمّرات لكنّها لم تتظر فالتّظر سيجعل الأمر واقعيّا. لم يصدر صوت عن تانر الآن فلم يبقّ سواهما.

كان الهواء كثيفا ومشبعًا برائحة الدّم المعدنيّة.

سمعت صوت خشخشة، لكنّها كانت مذهولة تبحث عن نجاة أو سلام أو نعمة أو فراغ، لكي تستطيع إصلاح الأشياء التي قامت بها أو لم تقم. أصبح الصوت أقرب كحلم، وتساءلت إن كان صوت قلبها أو صوت تفتّت أعضاء جسدها. جعل صوت

طلقة أخرى أذنيها ترن، وحلّ الصّمت في المكان وأصبحت وحيدة. كانت وحيدة كما لم تكن من قبل في حياتها. ورغم سوء الأمر استجمعت قواها لتأخذ نفسها جديدا. حزنت في تلك اللحظة على خسارة صديقها البريئين أكثر من حزنها على الخسائر التي سمعت بها كلّها. شعرت بسائل حار بين فخذيها عندما استرخت ماثنتها.

عصّت على أيقونة بوذا، كان الألم محرّرا، شعرت بسيلان من بين شفّتيها حين امتلأ فمها بالدم. أحسّست بأيد تلمسها وتجرّها بعنف من شعرها حتّى تقف على قدميها. كانت رجالها في غاية الضّعف لدرجة أنّها سقطت على الأرض من جديد لخوفها ممّا خطّطوا أن يفعلوه بها قبل أن يقتلوها.

سمعت صوتا جديدا، وعندما شجّعت نفسها نظرت لتعرف مصدره ورأت شاحنة صغيرة مغبرة واقفة إلى جانب سيّارتهم المحترقة حيث نزل منها رجلٌ في منتصف العمر وأخذ على عاتقه قيادة المجموعة.

أغلقت هيلين عينيها من جديد، وكانت أكبر آمانياتها أن يأتي الموت بسرعة أكبر.

شعرت بدفعة قويّة بالبندقية على ظهرها فوقفت على قدميها. تعثّرت للأمام وخطت خطوة ثمّ خطوة تالية. ألم الحصى قدميها لكثّها لم تعدّ ذلك الماء، إنّما حياة، حياة لا جيّدة ولا سيّئة، لم يتبعها أحدٌ ولم يكن أحدٌ إلى جانبها. كانوا يتلاعبون بها ويجبرونها على المشي معهم للاستفادة منها لاحقا. تمثّت أن تتحرّك بشكل أسرع، أن تركض، لكثّها بالكاد استطاعت أن تمشي مشية مترنّحة بطيئة في طريق فارغ. بقيت أذناها ترنّان بصوت الطلقات البعيدة، لقد رحل صديقها واستطاعت سماع

الجنود يتجادلون من خلفها، وحاولت أن تمشي بشكل أسرع لكنها لم تستطع.

أغلقت عينيها ورأت نفسها تطير في الهواء. هل أتى الملاك! كانت إنفكور في الأمام. كل شيء آخر كان في الأسفل، من الجنود إلى الطريق إلى السيّارة المحترقة إلى الجسدين الممدّدين، كلّه بدا بعيدا وغير حقيقيّ كالثمر الذي ظهر لهم قبلا. كان الوقت ينفد، وكان حقيقيّا كالطريق المحترق تحت قدميها الحافيتين، كان دارو واقفا على مدخل أحد المعابد وبدا لها كما بدا من قبل حين طارت إلى الدلتا لتلتقي به. كان يرتدي قميصه الأبيض قصير الأكمام وعيونه مختبئة خلف النظارات ويحرك يده المعافاة في شعره، ويده الأخرى ما تزال معلقة لم تتعاف بعد.

خطت هيلين خطوة إلى الأمام وتعثّرت بحجر وفقدت توازنها، لكنها لم تتوقّف أو تفتح عينيها، فقد خافت أن تفقد صورته، وخافت أن تنظر إلى الخلف وترى الجنود ما زالوا يتجادلون، فلو نظرت لرات جنديّين يهرولان باتجاهها بسهولة كذئبين مفترسين جائعين.

اختنقت بأيقونة بوذا التي كانت حادة كالحصي في فمها كما لو كانت أسنانا أو قطعا من الصلصال. «من التراب وإلى التراب»، ألم تكن الأسنان دوما آخر ما يفنى في الإنسان! أغلقت عينيها بشدة لدرجة أنها استطاعت بالكاد أن ترى. كانت خائفة من الموت لكن في الوقت نفسه كانت غير خائفة، كانت الميتة التي تتحرّك إلى الموت. كان سيأتي لكنّه قد أتى مسبقا آلاف المرات. تنهّدت مرتاحة لفكرة أنّ أمرها سينتهي قريبا.

تذكّرت صور إنفكور «محيط الحليب» الذي قام كلّ من دارو ولين بتصويره قبل أن تحبّ أيّا منهما بسنوات. كان صراعا

بين الشياطين والخير لكى تتمخض تلك الأمواج وتخرج إكسير الخلود. لقد سَمَّمهم العنف جميعا، لكن أقلّ الأضرار لحقت بلين.

لكنّه سَمَّم دارو.

وبالتالى سَمَّمها هي.

انضحت لها الأمور فجأة. لقد كان مسَمَّما قبل أن تلتقي به، وقد فشلت تعويذته في أن تفعل فعلها. لم تُرد أن تتضمّن إليهم عند درج المعبد، فقد عرفت ماهيّة ذلك الاحتراق اللامع، إنّه يدعوها للموت. كان لين يحرسها من البداية إلى النهاية، لكن كل ما أرادته هو أن تعيش.

هل عرف لين؟ لكن أرادته أن يعرف أنّها لم ترد ذلك، وإنه على غير ما تظهر الأمور فقد غيّرَها وجعلها شجاعة كما لم تكن من قبل. ولو استطاعت أن تحقّق أمنية فقد تمّت أن يعرف أنّها لم تختَر ذلك الأمر بنفسها.

حاولت أن تسرع خطاها وتقنع نفسها أنّها تستطيع أن تتجو بمجرّد الرّغبة بذلك.

سمعت أصوات أقدام ترتدي أحذية فلاحين مطاطيّة تركض خلفها، ثم وقعت مغشية على وجهها دون حراك إثر ضربة أداة حادّة على ظهرها. أصيب خدّها وجبهتها وامتألّ الهواء بالدم. رفعوها إلى ركبيتها وأمسك أحد الجنود شعرها وسحب رأسها إلى الخلف مقتلعا بعض الخصلات الذهبية.

وحينئذ أغلقت عينيها ولم يعد بمقدورهم أن يلمسوها. لم تعد خائفة من تهديداتهم. كان لين إلى جانبها وعندما مدّت يدها إليه، أصبحت يدها جافّة وصلبة وأصبحت ذراعها كالأغصان. وعندما لمست شعرها كان ملمسه كأوراق الأشجار.

فتحت عينيها، لقد كانت على قيد الحياة، نظرت بعمق ودون خوف إلى وجه الجندي.

عندما سمعت أصوات غناء كانت في حالة بين الواقع والحلم. حملوها إلى جانب جثتي مات وتانر. كان القائد الجديد يعطي تعليماته عندما حدثت الأمور التي لم تستطع استيعابها، لم يكن مات في عداد الموتى لكّنه جالس الآن يضغط على ذراعه المدمى. اقتربت منه بينما أتى إليهما الجنود واستداروا حولهما وغنّوا كما لو أنهم يعلنون شعائر النصر. تمكّنت من حلّ لغز الحلم أخيرا.

أتى القائد وركع إلى جانب هيلين التي كان فمها مليئا بالسائل فتقيأت وخرجت أيقونة بوذا من فمها مع قطع صغيرة من الحصى.

التقط القائد الميدالية الصغيرة وحدّق إليها بتعجب.



(20)

## دونغ ثانه قلب واحد

عندما وصل لين إلى كامب (بيندلتون) كان واهن الروح والجسد . تعرّفت عليه شارلوت والدة هيلين من الصّور، وتعانقا كما لو أنّهما يعرقان بعضهما منذ عصور . فقد كان رابط الحزن قويًا . كان رابطها الحقيقي هو الوحيد المتبقي بالعائلة . أجلسته إلى جانبها في سيّارة البويك وقادتها على الطّريق السّاحليّ وصولاً إلى بيتها .

أصابه الدّوار من عرض الطّريق وسرعة حركة السيّارة، فنسي تعبهُ وأصبح مأخوذاً ببلده الجديد . فاجأه فيها التشابه أكثر من الاختلاف، فكما كانت فيتنام بلد ماء وأرض، كان المحيط من جهة وسفوح التّلال المعشوشبة من جهة أخرى، مرّاً بكلّ ما وعدت هيلين أن يشاهدها سوياً، أغصان الأفوكادو والبرتقال وبلدات صغيرة ببيوتها البيضاء وأسقف القرميد الحمراء وشارات أسماء البلدات التي نطقت بها شفتاها (سان كلمينت، لاغونا، سان خوان كابيسترانو) . ثمّ استدارا فجأة على منعطف صغير واستطاعا رؤية نباتات خشخاش ذهبية على مدّ النّظر . «اتّصل بي غاري يا لين، وأخبرني أنّه سمع مراسلين آخرين

يتحدثان مع هيلين بشأن الذهاب إلى كمبوديا للخروج من فيتنام، وذهب الثلاثة في اليوم التالي ولم يسمع أحدٌ عنهم شيئاً منذ ذلك الحين».

«توقفي» طلب منها لين. دُعرت شارلوت وتوقفت على جانب الطريق. شدّ مفتاح أمان الحزام وفتح باب السيّارة. ظنّت أنّه سيتقيأ لكنّه ركض إلى الحقل ونزل على أطرافه الأربعة وأحنى رأسه. أصيبت بالحيرة ونزلت من السيّارة بحذر لكنّه كان غافلاً عنها ينظر إلى الأزهار ويداه تمرّق أوراق الزهور التي طالتها.

في اليوم الأوّل لوجوده في كاليفورنيا وعلى الرّغم من إرهاقه، رجا شارلوت أن تأخذه إلى مكتب روبرت في لوس أنجلوس. وقف روبرت من خلف مكتبه وابتسم واقترب ليعانق لين، لكنّ لين كان شخصاً محترفاً أتى للعمل ولم يعر انتباهاً حتّى للمنظر الذي ظهر من علوّ عشرين طابقاً وهو أعلى بناء في أكبر مدينة زارها.

«أريد أن أذهب إلى تايلاند» قال لين.

قال روبرت: «يبدو أنّك بحاجة أن تذهب إلى المستشفى». كان قد مضى أكثر من سبع سنوات منذ أن التقوا آخر مرّة، لكنّ لين تصرّف كما لو أنّهما التقيا البارحة، أكان ذلك تأثير الحرب التي حطمت الزمن!

لم يستطع روبرت أن يعطي أهميّة للسّنوات الماضية في لوس أنجلوس، لكنّ السنتين اللتين قضاهما في فيتنام كانتا تعادلان حياة كاملة. بينما أصبح روبرت سميناً كان لين لا يظل نحيلاً كالخيوط، كأنّ الثّعب والهموم أذابته. فجأة جعلت حدّة عينيهِ الغرفة تبدو في غاية الصّغر.

«ذهبت هيلين إلى كمبوديا» قال لين بنبرة بدت منكسرة «عليّ أن أبحث عنها».

لم يعرفه روبرت بشكل جيّد فلم يتسوّى له أن يتمرّف على الكثير من الفيتناميّين خلال وجوده هناك. بقيت البلد بأكملها شيفرة مجهولة بالنسبة له. أمّا لين فقد كان دائماً مع دارو وهيلين.

الثلاثة امتلكوا الإرادة والتصميم ذاتهما. خطر له للمرّة الأولى أنهم متشابّهون، وأنّ الأمر لا يتعدى أنهم قد تلاقوا مع بعضهم في فيتنام. كانوا يتشاركون بفهم الحرب والهوس بها، ولم تكن لديه أيّة فرصة أن يصادق أيّاً منهم. كانوا يتحمّلون وجوده بينهم فقط.

«من المستحيل أن أرسلك، فهذا إجرام بحقك».

«كان أمرها يعنيك أيضاً». قال لين كما لو أنّه يتهمه، لكنّ فشل روبرت مع هيلين كان جزءاً من فشل أكبر.

«إذا كان ما فعلته هو أنّها بقيت هناك وذهبت إلى كمبوديا فهذا هو خيارها».

عامله روبرت بتهذيب يستر خلفه احتقارا ونظرة دونيّة لأنّه يمثل الشخص (الأخر). لكنّ لين استطاع أن يراهن على أنّه رجلٌ شريفٌ. حتّى في البداية لم يفهم لين لماذا تخلّى روبرت عن هيلين دون أن يقاتل من أجلها، مع أنّه كان سيخسر بكلّ تأكيد. فقط المجنون كان سيصرّ على خوض قتال يستحيل الانتصار فيه. ومع ذلك فأيّ نوع من الرّجال كان سيستخدم المنطق في أمور القلب.

«أصبح لديّ صداقات مهمة عبر السّنوات، وأنا بحاجة لمساعدتك لاستفيد منهم الآن» قال لين.

لم يقل روبرت شيئاً. «كانت هناك دوما شائعات». «يحبّ الناس الشائعات والقصص المحبوبة. ودائماً يفضلون الحكايات الأكثر تعقيداً».

«سأقولها من جديد: إنه خيارها».

«إنه خيارى أن أذهب أيضاً. أحتاج إلى بطاقة صحافية وتذكرة طائرة وأريدك أن ترسل بعض التوصيات».

تتهّد روبرت وشعر فجأة بأسوأ شعور منذ عودته، لقد كان شغف لين حارقاً لأنّ رنة صوته غيّرت طبيعة الغرفة. مرّت ببال روبرت فكرة سيئة؛ هي أنه ربّما فاته شيء ما خلال سنواته في فييتنام لحماية نفسه من الثورط. هو لم يتورّط في الحياة على الإطلاق. لكنّه طرد تلك الأفكار بسرعة؛ ولأنّ الوقت تأخّر، فمهما كان حبه لهيلين فقد اشمأز من فكرة الذهاب إليها الآن. أدرك بحزن صادم أنّه لم يكن قادراً على الحراك. «إذا أرسلتك فعليك أن تعدني بالبقاء في تايلاند».

«هل تظنّ أنني سأخاطر مخاطرة غير ضروريّة».

أجابه روبرت بسرعة: «نعم ستقوم بذلك من أجلها، فقط أنبئني بما يحدث».

«ربّما تكون مهتمّاً بموت تاجر مخدّرات كالمستر باو منذ سبع سنوات».

«خبيرٌ قديمٌ، ومن الذي يهتم ذلك؟».

«كان المستر باو رجل أعمال وقام أحد موظفيه بتحويل أموال المخدّرات إلى بنك في تايلاند، هناك الكثير من المال الذي كان ثمناً للدّماء ووقوداً للثورات».

«هل أنت ذلك الموظّف! أخبرني وإلا طردوني وساءت سمعة المجلّة». قال روبرت.

«نعم يمكن أن يطردوك». جلس لين لدقيقة وتجهّم بسبب الألم الذي أحسّ به من جديد.

«كذبت على هيلين إذ أخبرتها أنّ هناك حاجة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكنني عرفت الآن أنّ عليك أن تحاول حتّى لو لم يكن لديك فرصة».

أوما روبرت واستدار مبتعدا «اعثر عليها».

كانت الحقيقة ظاهريّا أنّه تمّ إرسال لين لتغطية الهجرة الجماعيّة من كمبوديا بعد سيطرة الخمير الحمر عليها. كانت المهمة بمنزلة حبل نجاة بالنسبة له، لكن العودة إلى شبكة جيش فيتنام الشمالي ثبت أنّ إنجازها مستحيل. فقد أخفى باو أيّ وجود رسميّ له، فلا يمكن الوثوق بالتواصل معه بعد ذلك.

فقدّ لين إيمانه منذ زمن بعيد، وقد ظهر له الآن أمرٌ يستحقّ أن يتعلق بالإيمان. بقي لين على اتّصال مع الصبي (فيسنا) بعد التّصوير في أنغكور بفترة وجيزة، وتابع عمل ذلك المصوّر المبتدئ. لكنّهما أضاعا الاتّصال منذ ذلك الوقت، فبدأ لين بالبحث عن أيّة قسّة تتقدّ هيلين كمعجزة. تورّط (فيسنا) مع الحركات القوميّة للخمير الحمر. سيفترض من يراه أنه يعادي أمريكا، لكنّ لين كان يفهم معنى حبّ الوطن.

تسلّم (فيسنا) منصبا عاليا إلى حدّ ما. تذكّر لطفهم معه فقد قدّموا له كاميرا وبعض النقود، عندما لم تكن عائلته تمتلك شيئا.

حقّق لين بذلك التّواصل مع الكمبوديّين، واكتشف أنّه تمّ احتجاز مات وهيلين كرهائن. ناقش أمر المال لكن لم يكن هناك أيّة ضمانات. تخلّى لين عن فكرة الاحتفاظ بالمال لحين إطلاق سراح هيلين، فقام بدفع الرّشاوى، كان تصرّفه ينبع من قناعة الإيمان.

في تايلاند، ذهب لين إلى الحدود الفاصلة واستخدم منظاره لكي يرى الحدود التي كان يستحيل الوصول إليها، مثلما يستحيل الوصول إلى الجانب المظلم من القمر أو إلى الجزء الفارغ من الخريطة.

تمّ نقل معظم الأجانب المتبقيين في (بنوم بنه) من الدبلوماسيين والصحافيين إلى البلدة الحدودية الكمبودية (بوي بيت) ليتمّ إطلاق سراحهم.

كان من المفترض أن يتمّ تهريب هيلين ومات مع تلك المجموعة. لكن بعد عدّة ساعات وعندما عبروا إلى الحرية في مجموعات صغيرة مهزومة لم تكن هيلين ومات معهم.

بقي لين عند الحدود بعد رحيل الجميع. تنقّلت عيناه محدقة بالطريق الضبابي المغيّر، أراها أن تظهر عند الأفق كما لو أنّ رغبته وحدها ستجعل الأمر يحدث. خطّط للعبور إلى كمبوديا تلك الليلة تحت جناح الظلام ليبحث عنها. لم تكن بلده ولم تكن الأرض أو اللّغة مألوفتين لديه، ولم يكن ليصمد أكثر من أيّام قلائل.

عاد إلى البلدة وحاول أن يرشّو أحدهم ليدلّه على الطريق، جلس في أحد المطاعم على طريق فارغ في البلدة، وطلب زجاجة جعة ووجبة وانتظر المساعدة، وعندما سمع أحد الأجانب يتحدّث بصوت عال وهو يأكل استمع لين لبعض الجمل باللّغة الفرنسيّة واستدار لينظر إلى وجه الرّجل الشّاب بشعره البني الطّويل ولحيته. أصبح المطعم حارًا بشكل لا يحتمل، وكان طعم الجعة مرّا، أخيرا وضع زجاجة الجعة على الطاولة ومشى إلى طاولة الرّجل.

«هل رأيتم امرأة تدعى هيلين؟»

هل كذبوا عليه! هل أخذوا المال وهربوا! أهنالك خطبٌ ما! نظر الرَّجل إليه خائفاً وأدرك لين أنّه كان على خطأ، وعلى الرّغم من صفر سنّه وعلوّ صوته فقد كان اهتمام ذاك الرَّجل ينصبّ على ما يحدث عند الحدود، منتظراً مَنْ لم يخرجوا بعد. «لا، لم أرَ أحداً بهذا الاسم. ومع ذلك لم يتمّ تحرير بعض أتباعنا الكمبوديّين، ولا أظنّ أنّ ذلك سيحدث. سننتظر، فهناك إشاعة عن إطلاق سراح آخرين في الغد».

لم يأت الرَّجل الَّذي دفع له لين المال على الإطلاق. عند الفجر، انتظر لين مع مجموعة صغيرة من الصّحافيين الأجانب. أتت المجموعة الّتي رآها في اليوم السّابق ومن بينهم الرَّجل الفرنسي الَّذي حيّاه بتجهم. كان هناك هدوءٌ جنائزيّ في المجموعة كأنّهم يجهّزون أنفسهم للأخبار السيّئة الّتي كانوا يتوقّعونها.

مع ظهور خيوط الشّمس الأولى الّتي أضاءت أعالي الأشجار، ظهرت شاحنةٌ صغيرةٌ على مسافة بعيدة تتقدّم وتجرّ وراءها سحابة من الغبار. توقّفت على بعد متّي ياردة من الحدود. توجّه حشد الأجانب مع حرّاس الحدود متجهّمين ومتوحّشين كالأشكال المنحوتة على المعابد. كانت أسلحتهم على أهبة الاستعداد وابتسم لين لسخافة حراستهم لبلد لم يكن هنالك أحد عاقل يرغب بالدّخول إليه. قفز الجنود من الشّاحنة وأخرجوا منها جسداً ضُرب بالأرض بشدّة فسمعوا صوت أنين عال. اندفع الرَّجل الفرنسي إلى البوابة لكنّ الحرّاس حدّروه من التّقدم. أتى شبح يترنج من مؤخّرة الشّاحنة، كان يرتدي قميصاً أزرق فاتحاً لم يتعرّف عليه. انحبست أنفاس لين عندما تعرّف على هيلين.

«هذه هي» قال لين.

«لكن يوجد اثنان فقط» قال الفرنسي.

انحنى هيلين ببطء على الجسد الواهن، جسد مات. وقف الرجل بعد دقائق طويلة مستندا عليها وبدأ يتحرك ببطء باتجاه البوابة. هللت المجموعة المنتظرة، لكن تحرك هيلين ومات ببطء شديد جعل الدليل يتباطأ في خطواته حتى توقف تماما قبل أن يصل إلى الحدود، كانت القسوة قد جعلتهم يعانون خلال خطواتهم الأخيرة باتجاه الحرية، فقد كان العون قريبا جدا لكنه عاجز عن الاقتراب. وما إن اقتربوا حتى تمكن لين من رؤية شعر الرجل الأشقر والأبيض، كان وجهه مصابا ومحروقا من الشمس وإحدى عينيه مغلقة وذراعه معلقة. في النهاية عندما اقتربا بشكل كاف ركل أحد الحراس البوابة الخيزرانية برجله الصغيرة فترج مات وهيلين عابرين الباب.

لمس لين الكدمات البنفسجية على خديها وانتفاخ عينها. هذا الجسد الذي كان يمثل كل شيء بالنسبة له قد فقده الآن. إن من الصعب أن يثق الإنسان بأنه بعد أن يأخذ الكثير لا يزال بالإمكان أن يتلقى الكثير أيضا. لكن هيلين كانت هناك على قيد الحياة. كانت حقيقته. لقد عادت هيلين من الموت.



### زهرة حسن

- من مواليد سوريا عام 1987.
- حاصلة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة تشرين.
- تعمل معلمة لغة إنجليزية في مدارس وزارة التربية بالكويت.
- ترجمت العديد من المقالات الأكاديمية في شتى المجالات.
- لها العديد من الكتابات الإبداعية والأكاديمية باللغتين العربية والإنجليزية.

د. أحمد البكري

- من مواليد القاهرة العام 1940.
- حاصل على الدكتوراه من جامعة لندن في اللغويات التطبيقية (قواعد اللغة الإنجليزية) العام 1974.
- عمل أستاذاً بجامعة الكويت - كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية من العام 1980 وحتى العام 1990.
- عمل أستاذاً بجامعة السلطان قابوس - كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية من العام 1990 وحتى العام 2001.
- له عدة أبحاث في قواعد اللغة الإنجليزية منشورة في المجلة العربية للعلوم الإنسانية التي تصدر من جامعة الكويت.
- له عدة مؤلفات في قواعد اللغة الإنجليزية للطلبة العرب، وعدة مراجعات للترجمة في سلسلة «من المسرح العالمي».
- قام بمراجعة العديد من أعداد سلسلة «إبداعات عالمية» آخرها كان راوي مراكش (رواية) العدد رقم 415.

## ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون والقلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيرى سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف : مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضاني
331	مطبغ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بتانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الحجرة المكسورة	تأليف : جوفتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافلي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناطول وجنون العظيمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف : أرتور شنيتسر
342	أرنجنندن والحارس الليلي	تأليف : إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف : فيمي أوسو هيسان
344	مدرسة الدكاتور	تأليف : تنغ - هسنغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف : إيريش كسترن - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف : سليمان جيفو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف : فريدريش شيللر

348	حكايات وخرافات أفريقية (2)	تأليف: سليمان جيفو ديوب
349	الأذغال والسهول العشبية تحكي القصة القصيرة الإسبانية الأمريكية	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	في القرن العشرين مسرحيتا: -1 محنة الأخ جيرو -2 تحول الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «أنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيتا: -1 صناعة تاريخ -2 ترجمات	تأليف: برايان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتتري
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيتا: -1 تلاميذ الخوف -2 الغزاة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام سارويان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصورة (مسرحية)	تأليف: سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي
		أندجي ماليشكا
		ستانيسلاف ليم (ستانيسواف)
		سوافومير مروجيك
364	سبع نساء... سبع قصص	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	تأليف: نويل كاورد
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: روبرت دايثيد غونساليس غاليفو
367	مسرحيتا: -1 سهرة في المقهى -2 موت ممثل مشهور	تأليف: تيان هان
368	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: مايكل هلمان

## ما صدر من هذه السلسلة

369	الملاح، (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجي شانياهسكي
370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوتر
371	هذا الجيل المحفوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو همباطي با
373	الليلة التي أمضاها ثوروفي السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي
374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	الأسيرة، (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فرغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونيكا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونيكا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراس
383	المجموعة القصصية الكاملة لارنست همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: إرنست همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لارنست همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: إرنست همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لارنست همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: إرنست همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: آرافيند آديغا
387	موطن الألم (رواية)	تأليف: دوبرافكا أوجارييسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باسكال كينيارد
389	الإحساس بالنهاية (رواية)	تأليف: جولييان بارنز
390	ياسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل إبراهيم
391	المغامرة الفامضة (رواية)	تأليف: شيخ حامد كان
392	الرجال الذين يحادثونني (رواية)	تأليف: أناندا ديفي
393	أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة	تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين
394	حكايات حكماء أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	تأليف: أمادو همباطي با
395	خرائط (رواية)	تأليف: نور الدين فرح
396	إله الصدفة (رواية)	تأليف: كريستن توروب
397	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	تأليف: ألبرتو مينديس

## ما صدر من هذه السلسلة

الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	398	تأليف: تيه نينغ
أذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	399	تأليف: سوزانا قامارو
العضارة أمي (رواية)	400	تأليف: إدريس الشرايبي
فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	401	تأليف: أنيتا ديساي
هينها (رواية)	402	تأليف: بزرگ علوي
السباحة إلى المنزل (رواية)	403	تأليف: ديبورا ليحي
الرقعة (رواية)	404	تأليف: داهيد هوتكينوس
على قيد الحياة (رواية)	405	تأليف: يوهوا
الأب (رواية)	406	تأليف: يورج أكليين
إنني أتعاقى (رواية)	407	تأليف: داهيد هوينكينوس
أوردة الزرقاء (رواية)	408	تأليف: بينلوبى هيتزجرالد
إبداعات نسائية (مجموعة قصصية)	409	تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات
الأياب (ديوان شعر)	410	تأليف: هاينريش هاينه
سبع حكايا تعود من بعيد	411	تأليف: جان كريستوف روهان
المخادع الحقيقي (رواية)	412	تأليف: توف جانسون
اليوم السابع (رواية سينية طويلة)	413	تأليف: يوهوا
الرجل الذي كان ينظر إلى الليل (رواية)	414	تأليف: جليبير سينوييه
راوي مراكش (رواية)	415	تأليف: جويديب روي - باتاجاريا
فتاة في حالة حزن (رواية)	416	تأليف: سارة نوهيتش
أكلو اللوتس الجزء الأول (رواية)	417	تأليف: تاتيانا سولي

# قسم الاشتراكات

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في تسجيل اشتراك  تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم الطابعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقد / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠٢م

البيانات	إحصائيات مالية		مجلة عالم الفكر		مجلة عالم المعرفة		مجلة الفنون		المرح الحالي
	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	
المؤسسات داخل الكويت	20	-	12	-	25	-	20	-	20
الأفراد داخل الكويت	10	-	6	-	15	-	10	-	10
المؤسسات في دول الخليج العربي	24	-	16	-	30	-	24	-	24
الأفراد في دول الخليج العربي	12	-	8	-	17	-	12	-	12
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	50	-	30	-	50	-	50	50
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	25	-	15	-	25	-	25	25
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	100	-	50	-	100	-	100	100
الأفراد خارج الوطن العربي	-	50	-	25	-	50	-	50	50

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد  
 عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.  
 وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب. 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت



## تاتيانا سولي

- تعيش في مقاطعة «أورانج كاونتي» في كاليفورنيا.
- رُشّحت لنيل جائزة بوشكارت.
- حازت هذه الرواية على جائزة «James Tait Black memorial» وجائزة «دانا».
- لها روايتان أخريان هما «شجرة النسيان» و«الفردوس الأخير».
- «أكلو اللوتس» صنّفتها صحيفة نيويورك تايمز كأحد الكتب المرموقة لعام 2010.
- ظهرت أعمالها الأدبية في أهم المجلات الأدبية منها «بوليفارد» Boulevard.



## أكلو اللوتس

حتى بعد أن عادت إلى عالمها في كاليفورنيا، سيطر عليها جنون الإياب إلى فيتنام التي انتمت إليها بكل ما فيها. شعرت بأنها كسمكة خرجت من الماء غير قادرة على التنفّس خارج حرارة تلك الأرض البعيدة ورطوبتها. تملّكها الإغراء في البعيد، شهوة الخوض بعيداً عن حياة تشعر فيها بأنها بلا شغف تعيش لأجله. كما لو أنها ستغيّر العالم. كانت تطارد نجماً مذنباً؛ ربما هرباً من شعور بالذنب بعد موت أخيها. أو توقفاً للمغامرة وعدم الاكتفاء بحياة رتيبة في وطنها كاليفورنيا.

بعد رحيل دارو الذي مرّ أمام عينيه قبل وفاته سبيل غير نهائيّ من الأخضر ووجه هيلين، عادت إلى سايبغون لتجد لين بانتظارها. لين الذي كان قلبه مغلقاً وجد نفسه يحب من جديد. وقع في حب تلك الغريبة التي أعادت إليه ذكرى زوجته المتوفاة. فحاول تعويض خذلانه لزوجته السابقة بحمايته لهيلين التي ظنت أنه يستخفُّ بها ولا يجدها كفوّاً لتكون مصورة حربية. ليجعلها تتساءل: هل الناس الذين يحبوننا أكثر هم من يحاولون إيقافنا عن عمل ما نحبه؟ لكنه حمل ثقلها في قلبه وبين يديه خارجاً بها من الخطر كلّ مرة. هو الذي مسح دمعها منذ البداية وضمد جراح الروح للحرب التي لم تنته. وظلت موجودة في كل الخسائر التي خلفتها وراءها.